

٥٧



ترجمات عبرية

- العرب فى السياسة الإسرائيلية: معضلات الهوية
- الشروط المسبقة لإقامة الدولة الفلسطينية
- انتفاضة العرب فى إسرائيل

كتابات عربية

- القدس فى الفكر الإسرائيلى



السنة الخامسة - سبتمبر ١٩٩٩

Sep. 1999



مختارات اسرائيلية

Israeli Digest

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
إبراهيم نافع
مدير المركز
د. عبد المنعم سعيد
مدير التحرير
د. عماد جاد
المنسق
أيمن عبد الوهاب
المدير الفنى
السيد عزمى
الاخراج الفنى
حامد العويضى
وحدة الترجمة
أحمد الحملى
د. جمال الرفاعى
عادل مصطفى
محب شريف
محمد إسماعيل
منير محمود

مؤسسة الأهرام شارع الجلاء القاهرة
جمهورية مصر العربية
ت: ٥٧٨٦٣٠٠/٥٧٨٦١٠٠/٥٧٨٦٢٠٠
فاكس: ـ ٥٧٨٦٠٢٣

مطابع الاهرام بكورنيش النيل

مجلة شهرية يصدرها مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية
السنة الثالثة ـ العدد السابع والخمسين ـ سبتمبر ١٩٩٩

مقدمة

الدور الأمريكي في عملية التسوية

عندما بدأت عملية التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي بانعقاد مؤتمر مدريد في أكتوبر ١٩٩١، كان واضحا أن هناك حرصاً أمريكياً كاملاً على استبعاد الأمم المتحدة وما أصدرته من قرارات بخصوص هذا الصراع .وجرى تسويق هذا الاستبعاد من خلال التأكيد على أن واشنطن ومعها موسكو (والأخيرة كعاصمة للاتحاد السوفييتي في وقت انعقاد المؤتمر) سوف تتوليا رعاية المفاوضات وتضمنا ما يترتب عليها من اتفاقات .وبعد قرابة الشهرين انفرط عقد الاتحاد السوفييتي وأصبحت واشنطن الراعي الوحيد للعملية برمتها واقتصرت المشاركة الروسية والأوروبية على حضور الوقائع الاحتفالية لتوقيع اتفاق ما، أو المشاركة في مؤتمرات ما، اقتضتها المصلحة الإسرائيلية وتبنتها الإدارة الأمريكية.
وعلى مدار الفترة الماضية اتسم الدور الأمريكي بالحيوية واستخدام كافة الأدوات المتاحة للإقناع أو الإكراه من أجل الوصول إلى ما تم التوصل إليه من اتفاقات، وذلك عندما كان المطلوب إقناع أو إكراه المفاوض الفلسطيني للتوقيع على اتفاق ما يمزق الأرض أو يشتت الشعب أو يفتح المجال أمام حلول وسط في قضايا تتعلق بصميم الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني. وقد وصل الدور الأمريكي إلى قمة نشاطه عندما تسلم الأوراق الفلسطينية ودخل في مفاوضات شاقة مع حكومة نتنياهو نيابة عن السلطة الوطنية الفلسطينية، وكانت المحصلة اتفاقاً هزيلاً جرى توقيعه في "واي ريفر"، اتفاقاً منح وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، سيئة السمعة في عالمنا العربي، الحق في التواجد الرسمي ومراقبة تنفيذ ما تضمنته مذكرة واي من تعهدات لاسيما ما التزم به الجانب الفلسطيني من "محاربة الإرهاب ."!وفي الوقت الذي نفذت فيه السلطة الوطنية الفلسطينية كل ما كان مطلوبا منها بإشراف أمريكي مباشر، فإن حكومة بنيامين نتنياهو رفضت تنفيذ ما وقعت عليه .ولم تنجح الإدارة الأمريكية في إقناع نتنياهو بتنفيذ ما جرى التوقيع عليه في واي. وكل ما أقدمت عليه هذه الإدارة كان عبارة عن دعوة الجانب الفلسطيني للتحلي بالصبر ريثما تتمكن من إقناع نتنياهو بالتنفيذ أو يطاح به في انتخابات مبكرة أو غير مبكرة في إسرائيل.
وعندما جاء باراك مسبوقا بحملة ترحيب إقليمية ودولية جرى من خلالها تسويقه باعتباره "القادم لصنع السلام مع العرب"، دعت الإدارة الأمريكية العرب للتفاؤل مؤكدة أن باراك سوف يصل بعملية التسوية إلى محطتها الأخيرة .ومن جانبه ذهب باراك إلى واشنطن وكان مطلبه المحدد من الإدارة الأمريكية التوقف عن لعب دور نشط في المفاوضات والنزول بالدور الأمريكي إلى حالة تقترب من السكون قولا وفعلا .وبعد استجابة واشنطن لكافة طلبات باراك العسكرية والوصول بالعلاقات بين البلدين إلى مرحلة تتجاوز بكثير ما يطلق عليه "تحالف إستراتيجي "إلى حالة جديدة تقتضي الاجتهاد للوصول إلى مسمى مناسب لها، وافقت واشنطن على الحد من دورها في عملية التسوية .ويدعونا هذا الأمر إلى التوقف والتساؤل عن حدود الدور الأمريكي في عملية التسوية، وهل من الأفضل للدول العربية المعنية بهذه المفاوضات أن تواصل مفاوضاتها وفق آلية مدريد مع إعادة تكييف الدور الأمريكي والتعامل معه وفق جوهره المنحاز تماما للجانب الإسرائيلي والذي يصعد ويهبط حسب مقتضيات المصلحة الإسرائيلية، أو دور "تحت الطلب الإسرائيلي"، أم أنه من الأفضل لهذه الدول والأطراف أن تتوقف لحظات وتعيد حساباتها تجاه أسس هذه العملية برمتها؟ ندرك الصعوبات الجمة المحيطة بمثل هذه القرارات بعد الشوط الذي تم قطعه بالنسبة لمسارات معينة مثل الفلسطيني، ولكننا ندرك أيضا المخاطر الكامنة وراء استمرار الوتيرة الراهنة في التسوية وكل ما يشهده الدور الأمريكي من تحولات وما يرتديه من ثياب حسب مقتضيات الحال أو الرغبة الإسرائيلية.
عموما ما قامت وتقوم به واشنطن من أدوار تجاه عملية التسوية السياسية للصراع العربي الإسرائيلي يمثل خير شهادة على ما يمكن أن تقوم به واشنطن تجاه جهود تسويته، وما يمكن لها أن تقوم به تجاه الصراعات الإقليمية في عالم ما بعد الحرب الباردة .المؤكد أن مجمل سلوكيات واشنطن في هذا المجال تكشف بوضوح عن المخاطر الكامنة في استمرار الرهان العربي على دور أمريكي فاعل في جهود التسوية الراهنة، وعلى هذه الدول والأطراف أن تدرك أنها تتفاوض وفق شروط مرجعية فاقدة للحد الأدنى المطلوب، في وقت تراجع فيه خيار المقاومة المسلحة المشروعة بموجب قرارات الشرعية الدولية ووجد من هو على استعداد للمساواة بينها وبين الإرهاب! .

د. عماد جاد

◆ دراســــات ◆

دراسة١

من كتاب / العرب فى السياسة الاسرائيلية :
معـــضـــلات الهـــويـــة

المحور الثالث : الديناميكية الاجتماعية - بين التقليدية والحداثة

المحرر : كيس فيرو

١ - هوامش فى مجتمع هامشى : الخصوصية البدوية
بقلم : أسعد غانم

على مدى سنوات طويلة يبرز التجاهل من جانب الحكومة والساسة تجاه العرب مواطنى اسرائيل ، والى حد معين هناك ايضا تجاهل من جانب الوسط الاكاديمى فى اسرائيل ، المعنى ببحث ودراسة المجتمع الاسرائيلى . وفى اعتقادى ان العـرب ليســوا فى وضع المهيـمنين فى المنظومة الاسرائيلية، انهم هامشيون . غير اننا لا يمكن ان نفهم المجتمع الاسرائيلى دون ان نفهم المواقف تجاه العرب ، ومواقف العرب تجاه الدولة. وعندما نتحدث عن اسرائيل كدولة ديموقراطية - ليبرالية ، فإننا لا نعتبر ذلك معيارا كافيا للحكم علي علاقتها بالعرب الذين يمثلون الجماعة غير اليهودية الأكثر تاثيرا فى الدولة كما ان ذلك ليس معيارا كافيا فى اعتقاد العرب للحكم على الدولة وعلى ايديولوجيتها الرسمية.

والسؤال هو : ماذا يحدث لاقلية عندما تصطدم بالستار الحديدى لأغلبية عرقية قومية، فلا يسمح لها باختراقه ، ولا تمنح المساواة المطلوبة ، بل ويتم معارضة أى تغيير ولو شكلى ، يتيح لهذه الأقلية ان تكون مقبولة ومنضوية داخل هذه الاغلبية. ذلك هو اساس النقاش الذى أود ان اطرحه .

فى الادبيات البحثية حول العرب فى اسرائيل تطور موقفان لا ثالث لهما ، مازال معظم الباحثين المشتغلين بقضايا العرب فى اسرائيل يتمسكون بهما . الموقف الاول هو " فرضية التطرف" ، ويعد ابرز من يمثلها ايلى ركس من جامعة تل أبيب ويعقوف لنداو من الجامعة العبرية فى القدس ، وبعض الباحثين الآخرين . والموقف الثانى هو "فرضية التسييس " التى بدأها سامى سموحة ، وعلى مر السنين التف حولها المزيد من الباحثين ، مثل نديم روحانه ، مجيد الحاج، اورن يفتحال وآخرين . وأعتقد ان هذين الموقفين ليس فيهما ايضاح كاف لوضع العرب فى اسرائيل - فهؤلاء الباحثون يتحدثون عن نفس الموضوع ، لكنهم فقط يستخدمون طرق بحثية مختلفة. فسواء هؤلاء أو اولئك يتحدثون عن عملية الاسرلة أو عن عملية الفلسطنة .

وفى اعتقادى انهم يتناولون أمرا واحدا - التطور الطبيعى للأقلية .

ان نظرية التطور الطبيعى تطرح مفهومين اود مناقشتهما .

المفهوم الاول هو ان العرب فى اسرائيل قد اجتازوا نكبة ١٩٤٨، والآن يجتازون عملية تبلور قومى ، من خلال بناء زعامة وأطر حكم ذاتى خاصة بهم . اى ان الجماعات الفرعية بين عرب اسرائيل - المسيحيين ، المسلمين ، الدروز ، البدو الشماليين ، الجنوبيين ، النقب ، المثلث ، الجليل - تتنازل شيئا فشيئا عن هوياتها المستقلة، وتنتصر لهوية واحدة ، هى هوية قومية - فلسطينية ، وبالطبع وبشكل متواز هوية مدنية اسرائيلية .

المفهوم الثانى فى نظرية "التطور الطبيعى " تقول ان العرب فى اسرائيل يتعاملون اكثر فأكثر بصورة فعالة مع مشاكلهم وبالتدريج فإن مشاكلهم آخذة فى الحل على مر السنين ، ليس فقط لانهم اصبحوا اكثر حداثة وتمدنا بل ايضا لان الدولة تقف فى صالحهم ، فقد اصبحت المنظومة الحاكمة اكثر ديموقراطية ومستعدة للتعامل بصورة اكثر ايجابية مع مشاكل العرب .

اما النظرية البديلة فهى نظرية "التطور المحفوف بالمخاطر" وحسب هذه النظرية التى اتمسك بها ، ليست هناك عملية تبلور قومى مثل التى تحدث عنها الباحثون الآخرون وسأفند موضوع هوية قومية فلسطينية واحدة ، والادعاء بان العرب لديهم زعامة قطرية وانهم يقيمون مؤسسات قطرية ايضا . فليس هناك خط تطور من هذا النوع ، تحــدث فى اطاره عملية فلسطنة، وفى اقوال سامى سموحة ادلة تثبت ذلك (انظر دراسته فى المحور الاول) . وحسب الاعداد التى يسوقها سموحة ، فان الانتماء القومى الفلسطينى يتراجع بشكل ملموس على مدى سنوات ، اذن مـاذا اصح من شواهد تجريبية بشأن تراجع غاية التبلور القومى لدى العرب؟

ان البحث فى قضايا عرب اسرائيل يعانى ، فى اعتقادى ، من حقيقة ان الباحثين بدأوا الاهتمام بالعرب فى اسرائيل فقط فى منتصف السبعينيات عندما هبت وسطهم يقظة قومية وطنية مؤثرة بعد "يوم الارض" واذا تتبعنا ما حدث من تطور منذ منتصف السبعينيات ، نرى انه فى منتصف الثمانينات ، وقبل بدء الانتفاضة ، كان هناك تراجع فى مستوى التبلور القومى للعرب فى اسرائيل وفى وضع المؤسسات القيادية الخاصة بهم . وفى المرحلة الاخيرة لا نسمع ان لجنة المتابعة تنظم مظاهرات جماهيرية، وهذا ليس بالصدفة ، فالواقع انهم لا يستطيعون اخراج الناس الى الشوارع . والذى يحدث هو انه قد بدأت لدى العرب فى اسرائيل عملية تعلق بالفكر البراجماتى ، تفتت الى هويات أدنى . وعلى مدى الاعوام هناك ابراز اكثر لهويات تتبع مناطق : الجليل ، المثلث، النقب ، والأكثر من ذلك هو ابراز الهويات الدينية. والدليل على ذلك ما ساقه سموحة فى بحثه بوضوح : فبناء على الاستطلاعات التى اجراها ، فالهوية السائدة لدى العرب فى اسرائيل هى الهوية الدينية.

واذا كان الامر كذلك فادعائى الاول هو ، ان عملية تفشى الفكر البراجماتى آخذة فى الاتساع ، أى عملية التباعد بين الجماعات المختلفة لدى عرب اسرائيل .

ثانيا ، صحيح ان الدولة اصبحت اكثر انفتاحا على المشكلات العربية فى اسرائيل ، وصحيح انها تعطى اكثر ، لكن شعور المحنة لدى العرب يتزايد ويتسع والمعطيات تظهر ان الفجوات بين اليهود والعرب زادت اتساعا على مر السنين ، اذ ان معدل التطوير والتنمية لدى اليهود اكبر بكثير منه لدى العرب . فالعرب يتقدمون ببطء شديد ، لكن الانطلاقة لدى اليهود كبيرة، لذا فالفجوة تتسع وتعمق الشعور بالاحباط .

وسأتحدث عن البدو فى اسرائيل ، ولكن يمكن التطرق ايضا الى المسيحيين ، والدروز، والى ابناء الجليل ، والمثلث ، والنقب - ولو انه من الواضح وجود اختلاف وان كان طفيفا على الاقل بين الجماعات .

*** البدو فى اسرائيل والبدو فى النقب:**

يصل تعداد البدو فى اسرائيل حولى ١٥٠,٠٠٠ يمثلون حوالى ١٨٪ من السكان غير اليهود فى دولة اسرائيل . انها أقلية مؤثرة . والبدو يسكنون فى حوالى ٢٦ تجمعا سكنيا معروفا ، وبالاضافة الى ذلك هناك ايضا عشرات التجمعات السكنية غير المعروفة . ففى النقب يعيش ١٠٠,٠٠٠ بدوى فى سبعة بلديات وفى ٢٨ منطقة غير معترف بها تقريبا ، وكذلك مئات المخيمات المنتشرة فى النقب الشمالى . فى المناطق السكنية غير المعترف بها فى النقب يسكن حوالى ٥٠,٠٠٠ يشكلون نصف بدو النقب تقريبا . وفى الجليل هناك حوالى ٥٠,٠٠٠ بدوى وسكان من اصل بدوى ، ومازالوا يعرفون انفسهم كبدو بدرجة معينة ويتم تصنيفهم على هذا النحو فى وزارة الداخلية. وهم يعيشون فى مناطق سكنية معترف بها تقريبا ، وفضلا عن عشرات المناطق السكنية غير المعترف بها .

والبدويون يمثلون طائفة شابة فى معدلات أجيالها فحوالى ٦٠٪ دون سن ١٤ ، أى ان التركيبة السكانية تختلف قليلا عن بقية العرب ، وتختلف كثيرا عن جماعات اخرى بين العرب ، كالمسيحيين مثلا . وبالنسبة لاشتغال البدو فى النقب ، فهناك انخفاض فى العمل الزراعى ، من ١٦٪ عام ١٩٨٣ الى ٩٪ عام ١٩٩١ ، وهناك ارتفاع فى الاشتغال فى مجال البناء : حوالى ٢١٪ فى عام ١٩٩١ مقابل ١٣٪ فى عام ١٩٨٣ . وهناك فى الخدمات بالطبع ارتفاع كبير : ففى عام ١٩٩١ عمل ٢٧٪ مقابل ١٦٪ عام ١٩٨٣ وقد اثر هذا الأمر على جوانب اخرى فى حياة السكان البدو ، وسأتعرض لها تباعا.

ان السكان البدو تواجههم مشكلات خاصة . اولها هى مشكلة ملكيات الاراضى . والمتكلة لدى بدو النقب لا تقل خطورة ، انها تختلف تماما عما لدى العرب فى اسرائيل . وقد وجدت مشكلة الاراضى فى الجليل والمثلث طريقها الى الحل تقريبا ، وعندما نفذت الدولة عمليات المصادرة اخذت اراض من العرب ، وبقوا هم تقريبا بدون اراض . فى غضون ذلك لم يثر العرب هذه القضية كموضوع رئيسى فى صراعهم وان كان كقوة دافعة ربما تحول الى موضوع اساسى فى المستقبل .

ماهى ابعاد الصراع بين البدو فى النقب وبين الدولة حول بسط النفوذ على الاراضى ؟ عندما توجهت الدولة لتنظيم مسألة الاراضى من الناحية القانونية والقضائية ، طلبت من البدو المجيئ وعرض ما تحت ايديهم من اراض لتسجيل الاراضى التى يعتقدون انها ملكهم .

فطلب البدو فى النقب تسجيل ٨٠٠,٠٠٠ دونم بإسمهم بينما كانت الدول مستعدة لمنحهم ٢٨٠٠٠ دونما فقط وهنا توجد فجوة شاسعة بين وجهة نظر الدولة والبدو بشأن من يملك الاراضى .

ماهو مصدر هذا الامر ؟ اولا ، رغبة الدولة فى ابعاد البدو عن اراضيهم. وتنبع تعقيدات المسألة من طريقة تسجيل الاراضى ، فطبقا للتعامل السائد فى المجتمع البدوى لا يسجل البدو اراضيهم فى تابو مقدس ، سواء فى

فترة الانتداب أو قبلها .فقد كانت هناك موافقة متعارفة بأن هذه الارض ملك بدوي ، ويقوم شيخ القبيلة بتقسيم مناطق النفوذ ووضع حدود كسب العيش وحدود الجوار لهذه الاراضي لهذه الجماعة او للاخرى . إذن فلم يكن هناك تسجيل بالمعنى الحديث .

ايضا في الجليل هناك بالطبع مشكلة بالنسبة للسيادة على الاراضي لدى العرب والبدو الذين يعيشون في تجمعات سكنية غير معترف بها . فالدولة لا تعترف بملكية الاشخاص للمناطق السكنية التي مازالوا يعيشون فيها .

كانت هناك محاولة لصالح العرب ابان حكومة رابين - بيريز ، لكن كل شئ توقف فجأة . وتم ابتعاث رسائل تفيد بان الدولة لا تعترف بأي جزء من المناطق السكنية التي اعترفت بها حكومة رابين - بيريز ، وأنها غير مستعدة لتنفيذ هذا الامر وأي شئ يترتب عليه .

هناك كذلك مشكلة خطيرة تواجه البدو في الجليل ، فأولئك الذين كانوا في المنطقة منزوعة السلاح بين سوريا وإسرائيل ، وعبروا حدود سوريا عام ١٩٤٩ ، يرفعون اصواتهم على مدى السنين مطالبين بالعودة الى اماكن تجمعاتهم السكنية، وبالطبع بالعودة واستعادة ملكيتهم على اراضيهم . غير ان الدولة غير مستعدة للتنازل عن اي شئ لصالحهم في هذا الموضوع .

مشكلة أخرى للبدو، يعانون منها اكثر من بقية العرب ، وهي شكل أو صورة تجمعاتهم السكنية . فالدولة ليست مستعدة لاعطاء البدو ما تعطيه لليهود في النقب . وهي تسمح لليهود بالسكن في المدينة ، أو في البلدة أو في مستوطنة جماعية. ، واليهودي يمكنه الاختيار بين جميع الفرص المتاحة. لكن الدولة تريد ان تجبر البدو على العيش في سبع بلديات فقط، ولا تمكنهم من بناء تجمعات سكنية موقتة في النقب ، والدولة لا تعطيهم فرصة لتطوير سكناهم للتلائم اكثر مع طابع حياتهم ، بل تتعنت باجبارهم على السكن والاقامة في تجمعات سكنية معينة بهدف تركيزهم أو تجميعهم ، وبعد ذلك تفرض سيطرتها على الاراضي التي ينتشر عليها البدو الآن .

هناك مشكلة ثالثة ، داخلية ، لدى السكان البدو ، وهي مشكلة "الحداثة الجزئية" وهي الصراع بين الحداثة والتقليدية. ان جزءا من تفسير ازمة السكان العرب جميعهم هو عملية التحديث الجزئي " ، بمعنى وجود مجالات متقدمة جدا بجانب مجالات تقليدية جدا . وهذا التناقض يخلق صراعا محتدما . ولدى البدو فان هذا الصراع اكثر بروزا منه عند بقية العرب ، الذين اجتازوا في الوقت نفسه عملية تمدن متقدمة ، وربما كان لديهم تشجيعا اكثر لتبني قيم النمط الحداثي والغربي .

ومشكلات التعليم لدى البدو تمثل بندا آخر في أزمتهم . فعلى سبيل المثال ، نسبة الحاصلين على الثانوية العامة لدى اليهود في اسرائيل تقترب من ٥٠٪ ، ولدى العرب حوالي ٢١٪ ولدى البدو حوالي ٦٪ .

وقد نشر مكتب رئيس الحكومة مؤخرا الاستيعاب الاجتماعي الاقتصادي للتجمعات السكنية في اسرائيل . فجاء مواطنو تل ابيب في المرتبة الاولى، وجميع العرب يأتون في أقل خمسة مجالات من بين عشرة مجالات ، ونصف التجمعات السكنية البدوية تأتي أدنى المجالات عامة ، أما التجمعات التي تأتي في قاع السلم الاجتماعي الاقتصادي لدولة اسرائيل فتقع في رهط وتل شيفع . ومرة اخرى . فإن هذه المشكلات لا تقتصر على البدو بصفة خاصة ، لكنها اكثر خطورة لديهم عن بقية العرب ، كما اسلفنا .

وهناك شواهد على تطور مختلف في السلوك الانتخابي لدى البدو ، مقارنة ببقية العرب ، فهناك اكثر من ٧٧٪ من اجمالي العرب صوتوا في الانتخابات الاخيرة ، ولكن من البدو ٦٩٪ فقط. ويعد ذلك فرقا مؤثرا في نسبة المشاركة كما ان طبيعة التصويت مختلفة : فقد حصلت قائمة حداش من العرب عموما على ٣٧٪ من الاصوات ، وهي القوة المهيمنة - ولكن لدى البدو حصلت حداش على ٥٪ فقط. وتلك ايضا دلائل على عملية تطور منفصلة. فقد صوت ٦٠٪ من البدو للقائمة الاسلامية وللحزب العربي الديموقراطي ، مقابل ٢٥٪ من كل العرب الباقين .

وبالمقارنة بين استطلاع المواقف الذي اجراه سموحة عام ١٩٨٨ مقابل الذي جرى عام ١٩٩٥ يبرز انخفاض في نسبة العرب الذين يصفون انفسهم كفلسطينيين او كفلسطينيين - اسرائيليين ، لصالح اولئك الذين يعرفون انفسهم كاسرائيليين فقط . وحدث ايضا تراجع في نسبة العرب الرافضين للطابع اليهودي الصهيوني للدولة . ومن بين العرب ، كانت الجماعة الاشد رفضا لدولة اسرائيل كدولة يهودية صهيونية هي البدو في النقب ، وإن برزت نسبة الموافقة المرتفعة على طابع دولة اسرائيل يهودية صهيونية لدى بدو الشمال . وتشير هذه الفجوة الى البراجماتية داخل الجماعة البدوية.

هناك كذلك فروق في تطور المواقف تجاه اسئلة او اشكاليات اساسية تواجه السكان العرب ، وهي الاشكاليات المرتبطة بتقرير المصير . وعلى وجه العموم ، هناك تراجع على مر السنين في الهوية الفلسطينية لصالح الهوية الاسرائيلية ، ولكن هناك فروقا مؤثرة بين بدو النقب وبين بدو الشمال ، وبينهم وبين بقية المسلمين . فمن بين الجماعات الثلاث (بدو النقب ، بدو الشمال ، والمسلمين غير البدو) يبرز بدو النقب باعتبارهم اصحاب النزعة الفلسطينية الاقوى ، وبدو الجليل باعتبارهم اصحاب النزعة الفلسطينية الاقل، قوة هذه الفوارق المتشددة تعكس بقوة الشقاق الداخلي وسط الطائفة البدوية.

*** تطور الازمات :**

في الختام فإن العرب بصفة عامة ، ومن ضمنهم البدو ، يمرون بعملية اضفاء للطابع البرجماتي بصورة موسعة . وهي عملية تتجه الى مرحلة اكثر تأزما عن التطور المعياري . وهناك اربعة تفسيرات لمشكلات البدو ، وثلاثة

منهم يسرى مفعولهم بالنسبة لبقية العرب:
التفسير الاول هو السياسة التى تمارسها دولة اسرائيل . فالعرب يصطدمون بحائط حديدى يعكسه وجود اسرائيل كدولة يهودية ، ليس فقط على المستوى الرمزى ، بل ايضا كصاحبة سياسة عنصرية ظالمة وواضحة فى جميع المجالات ، وعلى كافة المستويات . ويشعر العرب فى اسرائيل بعدم وجود اي استعداد يبشر بالخير ، الامر الذى يخلق شعورا متزايدا بالحزن والضائقة المتأزمة .
فالدولة مستعدة ان تنظر بعين الاعتبار بالنسبة للعرب فى نقاط صغيرة ، وهذا يعتبر السقف المحتمل لهم . ولكن عندما يأتون ويقولون : اننا نريد تحقيق هذه الوعود ، تقول الدولة لهم ليس لدينا ميزانيات . وذلك ليس الا التزاما من قبل الدولة لمواطنيها اليهود اكثر من بقية المواطنين ، وهى تحرص على خدمتهم اولا وقبل كل شئ . ويمكن ان نسوق امثلة كثيرة على ذلك بدءاً من تخصيص الميزانيات وحتى مناطق الاختصاص ومن السيطرة على الاراضى وحتى العمل فى الخدمة العامة، وفى جميع المجالات الاخرى . ومن هذا بالطبع تنبع الحاجة لتحقيق سيطرة الدولة اليهودية على اراضى البدو.
التفسير الثانى للمحنة ولعملية تعميق مشاكل العرب عامة، والبدو خاصة، هو التعقيد الداخلى ، الاجتماعى - الثقافى والتقليدى . فهناك بناء قبلى يعوق للغاية أى تطورات ، فوضع الفرد متداع تماما امام وضع الجماعة. هذه العوامل تسد الطريق امام تطور السكان العرب بصفة عامة وتطور البدو بصفة خاصة .
التفسير الثالث هو انعكاسات النزاع الاسرائيلى العربى . فقد أوجد هذا النزاع فى عام ٤٨ انفصالا بين العرب فى اسرائيل وبين العالم العربى . ويبدو ان هذا الانفصال استمر قائما حتى اليوم ، لاننا لا يمكن ان نميز اى مرجعية لتطور علاقات ما بين العرب فى اسرائيل وبين العالم العربى .
كما ان هذا الانفصال طال ايضا الساحة الثقافية والسياسية والاجتماعية ، والتى فى اطارها تطور العرب فى اسرائيل وحتى نهاية فترة الانتداب . وقد جاء اتفاق السلام مع مصر - الى حد بعيد - على حساب البدو : فقد نقلت الدولة المنشآت العسكرية من سيناء الى النقب ، فقد كانت فى حاجة الى اراضى البدو ، ولذلك بادرت بعملية تجميع للبدو ، حتى تستغل اراضيهم فى اغراض عسكرية ، ولانشاء المطار العسكرى فى النقب ، بالاضافة الى مشاريع اخرى .
التفسير الرابع للمشكلة الخاصة بالبدو ، وبالتحديد فى النقب ، هو الانفصال بين البدو فى النقب وبقية العرب فى الشمال . وهو انفصال مؤثر . فبدو النقب منسيون تقريبا فى صراع العرب لتحسين اوضاعهم . فعرب الشمال الاسرائيلى لا يشعرون تقريبا بمشكلات البدو . فليس هناك من جانبهم اى تعاون او خطوات للتعارف مع بدو النقب . وهكذا ، فعرب النقب لا يعانون فحسب من مشكلات خاصة بهم ، بل يشعرون اكثر وأكثر بأنهم هامشيون ، ليس فى الدولة فقط ولكن ايضا بين عرب اسرائيل .

٢ - العشيرة فى السياسة العربية : تكيف مع أنماط متغيرة

بقلم : محمد امارة

تشير الكتابات المتخصصة المشتغلة ببحث المجتمع العربى فى اسرائيل مثلما فى بقية الدول العربية - بشكل واضح - الى ان الايمان بالعصبية العائلية مازال سارى المفعول رغم التغيرات الحادثة فى هذا المجتمع . وفى المجتمع الاسرائيلى الواسع لم تؤد التغيرات السياسية والاقتصادية التى حدثت بعد ١٩٤٨ وإقامة دولة اسرائيل، الى اختفاء العشيرة على المستوى الاجتماعى وعلى المستوى السياسى الداخلى .
وترى ابحاث مختلفة ان هناك اضمحلالا فى وضع العشيرة الحديثة . فالبحث الذى اجراه ابو جوش فى حقبة الستينيات أظهر، انه بين ابناء العشيرة من المحتمل ان تثور خلافات فى الرأى حول مسألة تتعلق بالشؤون الدينية ، أو السياسية والاقتصادية ، ولكن فى نفس الوقت فان جميعهم حريصون على توحيد وتجميع صفوفهم فى شؤونهم القروية من اجل العشيرة . فبالرغم من الاختلاف فى الآراء الذى قد يظهر فى مجالات مختلفة، فإن الاحساس بتطابق الرأى والانتماء مازال قويا بين ابناء العشيرة.
ومشاعر التوافق والتطابق مع العشيرة يسمى عصبية (أى ، الولاء والانتماء غير المحدود لعائلة أو لقبيلة) وهى التى تبقى العشيرة كوحدة واحدة . هذه المشاعر تبرز فى ظل النزاعات ، وأيضا فى انتخابات الحكم المحلى، عندما تتكاتف العشيرة ككتلة واحدة . ولكن حتى فى هذه المجالات طرأت تغييرات ملموسة مؤخرا . وتجميع العشيرة يرتبط بعدة عوامل. وقد ضعفت هذه العوامل بمرور السنين ، والسؤال المطروح هو ، الى اى مدى مازالت العصبية قوية بين ابناء العشيرة . وقد أجمل ستاندال (عرب اسرائيل : بين المطرقة والسندان، ١٩٩٢) العوامل المختلفة لتجميع أو اضعاف العصبية فى القرى، كما يلى : بنية التشغيل ، مستوى ثقافة ابناء القرية ، التركيبة الطائفية ، البعد عن المدينة ، حجم القرية ، موقعها الجغرافى (فى جبل أم سهل) ، طبيعة بيئتها ، البعد عن الحدود ومنظومة الخدمات والبنية التحتية.
سؤال آخر وثيق الصلة يتصل بالتغيير : ماهو عمق التغيير فى العشيرة وفى أية مجالات ، وفى أية قطاعات ، وماهى السمات الاجتماعية والديموجرافية لدوافع التغيير فى العشيرة ؟ ودراسة التغيير فى وحدة العشيرة كبنية واحدة لن تفيد فى فهم متعمق لطبيعة التغيير وماهيته . فقد رأينا مثلا ، انه فى المجال الاقتصادى قد حدث فى العشيرة تغييرات سريعة ومؤثرة ، لكن الامر لم يظهر بما يكفى فى المجال السياسى والاجتماعى . وباختصار اذكر ، ان ابحاثا مختلفة تظهر ان التغيير فى المدينة اسرع وأعمق

عنه فى القرية ، وهو بين المسيحيين اكثر منه فى اوساط جماعات دينية اخرى . كذلك ، بين اصحاب التعليم العالى كان التغيير اسرع منه وسط ذوى التعليم المنخفض، وهو لدى السكان الذين على صلة ناشطة ومباشرة مع المجتمع اليهودى يعتبر تغييرا اكثر مما لدى هؤلاء الذين على صلة ضعيفة بالمقابل .

وبعد قيام الدولة كان هناك سيطرة تامة فى السياسة الداخلية للعشيرة والقوى التقليدية . ايضا بمرور السنين ، ومع دخول قوى اخرى، احتفظت العشيرة بقوتها ، لكن الامور ليست كذلك فى السياسة القطرية . فى الخمسينيات والستينيات لعبت العشيرة دورا هاما ورئيسيا فى هذا المجال ، ولكن منذ السبعينيات ضعفت قوة العشيرة ولم يعد لها دور هام وحاسم.

وفى بحثى هذا سأتحدث عن السياسة العربية الداخلية وليس القطرية ، ذلك نظرا لأن انخراط العشيرة فى السياسة الداخلية ، اى الحكم المحلى، اكثر اهمية وديناميكية ، ونظرا لان دور العشيرة كعامل رئيسى فى السياسة القطرية آخذ فى التقلص، فليس لها تمثيل مناسب، وهى ليست بالتنظيم الأهم.

أولا ، سألقى الضوء على ثقل العشيرة فى السياسة العربية على المستوى المحلى ، على مر السنين ، اى منذ قيام دولة اسرائيل وحتى اليوم . ثم بعد ذلك سأتناول العوامل المختلفة المؤثرة على البناء العشائرى وعلى انعكاساتها على المجال السياسى.

العشيرة ووزنها السياسى على المستوى المحلى :

بعد قيام الدولة حدثت تغييرات ميزت العشيرة ، التى كانت حتى ذلك الحين التنظيم السياسى الوحيد على المستوى المحلى . هناك قيمة واحدة مؤثرة برزت فى علاقات القوى بين العشائر . إذ بفضل شعور الامن الداخلى الذى وفرته الدولة، بدأت عائلات صغيرة تنتمى الى عشائر كبيرة، وأيضا عشائر صغيرة مستقلة ، تعمل بشكل منفرد، دون خوف من العشائر الكبيرة . وكان لدخول الحكم المحلى الى القرى دور فى تقوية هذا الاتجاه . هذه التغييرات ادت ايضا الى صعود قوى أخرى فى القرى ، تمثلت فى حركات معارضة واحزاب سياسية وخلال الستينيات كانت هناك مجرد بذور تغير ، لكن اليوم يمكننا ان نميز هذه القوى بوضوح ، فى صورة حركات وأحزاب أو قوى مستقلة .

ولكن رغم التغيير الهيكلى فى دور العشيرة ، فإنها مازالت تعتبر عنصرا سائدا فى السياسة الداخلية العربية . والجدير بالتأكيد ، انه فى نفس الوقت قد حل تغيير فى انماط عمل العشائر . وتميز بوضوح فى هذا الصدد تعاونها مع قوى أخرى ، مثل الاحزاب والقوى المتعلمة والمثقفة ومع جيل الشباب .

وفحص نتائج انتخابات رؤساء السلطات المحلية فى اعوام ١٩٨٩ و ١٩٩٣ نجدها تشير بوضوح الى التوجه السابق بناء على ما يقدمه الجدول التالى :

رؤساء مجالس منتخبة فى وسط العرب فى أعوام ١٩٨٩ و ١٩٩٣ حسب انتمائهم السياسى (*)

الانتماء السياسى / عام	١٩٨٩		١٩٩٣	
	العدد	٪	العدد	٪
عشيرة	١٨	٣٢,١٥	٢٣	٣٩
حزب	١٠	١٧,٨٥	٨	١٣,٥٥
اندماج عشيرة وحزب	٢٨	٥٠	٢٨	٤٧,٤٥
الاجمالى	٥٦	١٠٠	٥٩	١٠٠

(*) هناك مجالس لم تحدث فيها انتخابات ، وأخرى كان بها لجنة مشرفة.

وقد بدأ اهتمام الاحزاب بالحكم المحلى، وخاصة اهتمام الحزب الشيوعى، فى نهاية الستينيات . ومن المفترض أن الحزب الحاكم ، ماباى ، لم يتدخل بصورة حادة فى الحكم المحلى بالوسط العربى، مثلما انتهج الحزب الشيوعى متأخرا عن ذلك ، نظرا لان الزعامة التقليدية كانت مسيطرة والعشيرة كانت تقود ، تقريبا دون منافسين ، وهذه الزعامة واءمت سياستها مع مصالح الحزب الحاكم ، مثلما تشير أقوال فظة وردت فى (القرية العربية فى اسرائيل - بؤرة سياسية - قومية متجددة" ، نظرات ١٩٨٥) :

حتى أواخر الستينات كان نجاح ركاح على المستوى البلدى القروى محدودا . فقد تحولت المصادر الاساسية حتى آنذاك لتأسيس قوة الحزب البرلمانية . وقبل انتخابات ١٩٦٩ كان الشيوعيون لديهم تمثيل فى خمسة مجالس محلية عربية فقط. وبعد حرب الايام الستة، منذ بدأت طفرة فى وضع الحزب بين السكان العرب ، يبدو ان قيادة الحزب اعادت تقييم اسلوبها فى السياسة القروية . وكانت النتيجة ، ان المجال البلدى قد أهمل (...) ويمكن ان تعطى هذه الجبهة لركاح شرعية لممثلى المعسكر المعتدل ورؤساء العشائر ، من خلال تعاون على اساس برنامج يمثل حدا ادنى مشتركا.

هذا التوضيح المحبط يمكن ان يشير الى الى عدة ظواهر : اولا ، لم تكن هناك احزاب عربية عملت فى المجال المحلى ، وكان ركاح الحزب الوحيد الذى بدأ العمل مع نهاية

الستينات. ثانيا ، عندما بدأ ركاح الاهتمام بالنشاط على المستوى المحلي، ثبت ان الاحتمال قائم امام قوى اخرى للعمل على الساحة .
وعلى مر السنين استطاعت احزاب وحركات عربية اخرى القائمة التقدمية للسلام والمساواة ، الحزب العربي الديموقراطي والحركة الاسلامية - ان تحصل على نصيب محترم في السياسة العربية الداخلية. وإحدى نتائج ذلك ، ان سيادة العشيرة في السياسة الداخلية في الخمسينيات والستينات نبعت من انعدام البديل خلال تلك السنوات . بالطبع ، لا يمكن ان نصل الى هذا الاستنتاج الشامل دون ان نأخذ في الاعتبار عوامل اخرى كالتعليم والاقتصاد وغيرها .
ولم يكن التغيير في السياسة العربية الداخلية من حيث شكل التنظيم فحسب، كما ذكرت آنفا ، بل ايضا من حيث تبني طرق عمل ووسائل حديثة ، مثل استخدام وسائل الاعلام والانتخابات الداخلية. واليوم فإن ترجيح زعامة العشيرة اصبح في حالات كثيرة يتم عن طريق اجراء انتخابات داخل العشيرة ، ونشهد بالفعل انتشار هذه الطريقة خلال التسعينيات بين عشائر كثيرة في المثلث والجليل.
تغيير آخر تمثل في استخدام وسائل الاعلام . فقبل عصر محطات التلفزيون الخاصة لعبت المراكز القروية دورا هاما في تعبئة الرأي العام لصالح المرشحين . وكان الهدف مزدوجا : اما اقناع اعضاء من عشائر اخرى بالتصويت لصالح مرشح واحد يمثل العشائر الكبرى ، بحجة ان سياسته لن تكون في غير صالح اعضاء من قبائل اخرى. أو حتى اقناع رجال من نفس العشيرة (الذين يعتبرون بصفة عامة من المتعلمين أو المثقفين) بعدم التصويت لصالح مرشح واحد ، او اقناع الناخبين عموما ، ان البرامج الانتخابية للعشائر قطرية شاملة : فهي لا تهتم بالشؤون البلدية الداخلية فحسب ، بل ايضا بالشؤون القومية. وقد ادى دخول المحطات التلفزيونية الخاصة الى الوسط العربي الى اتساع استخدام وسائل الاعلام في الانتخابات المحلية في التسعينيات فمثلا ، خلال الانتخابات الاخيرة في أم الفحم عملت محطتان متنافستان - الحركة الاسلامية والشيوعيون مع حلفائهم - على محطة التلفزيون المحلية "اسكندر للسلام" على مدار اليوم تقريبا . كذلك ، استخدم غالبية المرشحين من قرى قريبة هذه المحطة لكي تستحوذ على قلوب الناخبين .
بالاضافة الى اختراق الانتخابات الداخلية ووسائل الاعلام للمنظومة السياسية حدثت على مر الاعوام تغييرات في مميزات رؤساء المجالس العربية. وللحقيقة اذكر، فإن صفات رئيس مجلس عربي اليوم ، حسب احد الابحاث : انه رجل ، تعليمه متوسط فأقل ، وأثبت وجوده في عمل متواصل في مجالات تشغيل آخرين. وقد تعين رئيس مجلس متميز باحدى العائلات الكبرى، وانتخب ايضا طبقا لانتمائه السياسي .

تغيير آخر جدير بالتنويه حدث في المجالات التي يعمل بها رؤساء المجالس المحلية ، ففي الخمسينيات والستينيات تركز عمل رئيس المجلس في مجال الشؤون البلدية ، ولم يتدخل في الشؤون السياسية القطرية في عمومها . لكن هذا الاتجاه بدأ يتغير في السبعينيات ، فأصبحت السياسة القطرية جزءا هاما من السياسة الداخلية .
ويجب التأكيد ، ان ركاح هي التي قادت انتشار الحكم المحلي ايضا الى قضايا قطرية وقومية ، بل وحتى المشكلة الفلسطينية . وقد عبرت لجنة رؤساء السلطات المحلية عن هذه السياسة بوضوح تام .
والواقع ، ان الساحة المحلية لها أهمية كبيرة في السياسة القطرية، فقد تحولت القرية في السنوات الاخيرة الى بؤرة نشاط للسياسة العربية، لكون ان غالبية العرب هم قرويون ، ويشكلون هدفا هاما لتعبئة الرأي العام وحشد التأييد السياسي . وكثير من السياسيين العرب من كل اتجاه يعتبرون نشاطهم في المجال القروي "نقطة انطلاق في طريق تقدمهم الشخصي، سواء في اطار مجتمعات الحكم المحلي أو عبر المشاركة في اللجنة القطرية لرؤساء المجالس .

مبررات الحفاظ على قوة العشيرة :

أشرت الى ان العشيرة هي القوة والتنظيم الذي يقود السياسة الداخلية للمجتمع العربي. فالاحزاب مازالت لم تلعب دورا رئيسيا وحاسما في هذا المجال ، وكما اوضحنا آنفا فالسؤال : ماهي العوامل التي ادت الى الحفاظ على قوة العشيرة في السياسة ؟ وفي الحقيقة فقد ساهمت عدة عوامل في التغير الذي طرأ على الهيكل الوحيد العائلي : التغير الاقتصادي العميق ، انتشار التعليم العالي وسط الشباب وصلتهم بالمجتمع الاسرائيلي ، والذي تأثروا به بدرجة كبيرة في غالبية المجالات ، وأيضا تعاظم الامن الشخصي.
بالمقابل يمكن ان نذكر العوامل التي تساهم في اضعاف قوة العشيرة ، ويمكن ان نميز العوامل المعاكسة، اي تلك التي تحافظ عليها . والابحاث المختلفة تكشف عن نتائج متناقضة. بعضها درس العشيرة على مستوى الزعامة وآخرون بحثوها على المستوى المعياري . وعندما ننظر الى هذين المستويين لدى نفس الباحثين ، نجد صورة هامة . فكما يوضح الحاج في دراسته ("العشيرة العربية في اسرائيل" ١٩٨٠) .
احد الاخطاء البارزة الذي وقع فيه باحثون كثيرون عندما تعاملوا مع العشيرة العربية في اسرائيل كان عدم التمييز بين الادوار الواقعية العملية للعشيرة (المستوى القيادي) وبين المواقف تجاه العشيرة (المستوى المعياري) (...) على المستوى القيادي هناك دوران اساسيان للعشيرة اليوم هما الدور السياسي والدور الاجتماعي .
وتفيد رؤية الحاج اكثر لتحليل التغييرات بين العشائر : فمن ناحية هناك وعي كبير بان الفرد مهم امام نفسه ويريد ان ينفصل عن العلاقات الجماعية التي تثقل عليه ، ومن

ناحية اخرى لم يظهر ما يعبر عن ذلك فى السلوك . هناك تعارض بين الموجود والمرغوب .
وقد وجد الحاج فروقا شاسعة بين المواقف وبين السلوك . يقول ، هناك رفض تام للاخلاص العشائرى الاعمى . عندما درس الحكمة العربية القائلة (انا واخويا على ابن عمى، وانا وابن عمى على الغريب) ، وجد ان ٢٥٪ فقط قبلوا بهذه العبارة أو صدقوا على مضمونها .
وعلى اساس اتجاهات الحداثة كنا نتوقع ان يحدث انحسار فى وضع ومكانة العشيرة على المستويين ، السلوكى والمواقفى . لكن نتائج الحاج وآخرين تناقض هذه الاطروحة. ولكنى نفهم هذا التناقض يجب دراسة المجالات التى حدثت فيها تغييرات فى المجتمع الاسرائيلى على اتساعه:
أ - المستوى الاجتماعى . التغير الاقتصادى العميق بين اوساط العرب لم يؤد الى هجرة من القرية الى المدينة . أى ان ابناء نفس العشيرة ظلوا فى نفس القرية ، وهذا أدى الى نمو العشيرة . بمعنى آخر ، لم تظهر عملية انتقال من القرية الى المدينة كما حدث فى جميع المجتمعات فى العالم الثالث. ايضا ظاهرة الهجرة الداخلية بين التجمعات السكنية العربية غير موجودة تقريبا ، وذلك يشير الى ظاهرة فريدة من نوعها بين الاقلية العربية فى اسرائيل . ونتيجة لذلك ، فان شبكة علاقات العرب لم تكن متنوعة ومكدسة . ويفسر الحاج . ان عدم التحرك الديموجوافى "جعل تمركز العشائر وظهورها فى اطار وحدة اجتماعية ، يجد الفرد بها مكانه بدءا من متطلبات لهوه وحتى متطلبات الزواج . هذا التمركز ادى الى ان يرى الفرد علاقته مع العشيرة امر ثابتا على مدى الايام، وليس مجرد ظاهرة متغيرة. التعلق الاجتماعى بالعشيرة يزداد مقابل علاقة رفض وشك يلقاهما العربى من جانب السكان اليهود فى اسرائيل .

ب - العلاقة بالمجتمع اليهودى : يتحدث كثير من الباحثين عن العلاقة مع المجتمع اليهودى كأحد عوامل التغيير فى الوسط العربى ، لكنهم لم يتعرضوا لشكل ومضمون هذه العلاقة. صحيح هناك علاقات مع اليهود ، لكنها قليلة للغاية . فالعرب يعيشون فى عالم خاص بهم، وعلاقاتهم مع اليهود تجلب المعاناة والمهانة بمفاهيم كثيرة. أى العلاقة روتينية ، ومجموعات قليلة فقط طوت وبلعت تأثيرات هذه العلاقة . لذلك عندما نتحدث عن عملية التحديث أو الاسرلة كنتيجة - على الاقل جزئيا - كنتيجة للعلاقة مع اليهود ، يجب ان نحترس ، لان قدرا كبيرا من هذه العلاقة ليس عادلا أو يتسم بالمساواة والندية ، وأيضا مرتبط بمهانات كثيرة .

ج - التعليم للطفل العربى . تلك قضية اخرى، اذ حسب أفضل معلوماتى، فإن الباحثين لم يتعاملوا معها عندما حللوا المجتمع العربى ، وهى تعليم الطفل العربى. واظهر باحثون كثيرون ان الوالدين يعلمون الطفل التبعية والانصياع . واعتقادى ان التغييرات فى التوحد الاسرى أو العائلى والتغييرات فى تعليم الطفل تحدث فقط بين طبقات محددودة جدا ، ومازال التعليم العربى تقليديا ولم يتغير بشكل جوهرى . كذلك ، القيم التقليدية والدينية هى السائدة ، ولم تتغير بصورة قوية . هذه الحقائق تكشف انه لم يحدث تغيير جوهرى فى تعليم الطفل العربى . فمكان الطليعة الممنوح لكبار السن مازال حتى اليوم فى مجالات مختلفة. كذلك يحتل الدين والتقاليد مكانا بارزا . وفى احد ابحاث الحاج ورد : "المقولة الوحيدة التى حظيت بتأييد كبير هى المقولة التى تشير الى ارتباط نفسى بالعشيرة : (ان مال عليك الدهر عليك بالأهل) وذكر ٧٧٪ ، انهم يوافقون على مضمون هذه المقولة".
وأحد التبريرات التى ساقها باحثون عديدون واعتمدوا عليها ، هو ان العشيرة تلعب دورا اساسيا على المستوى المحلى مع غياب البديل ، وأعتقد ، ان هذا التبرير او التفسير حزئى ، ولا يصلح قاعدة او اساسا لعرض المشكلة . لأن السكان العرب لو كانوا غير راضين عن العشيرة كتنظيم سياسى ، لكان باستطاعتهم تشكيل اطار بديل .
هناك ايضا عوامل حافظت على قوة العشيرة . يقول الحاج ان البدائل ليست عملية طبيعية او استمرارية لما سيكون ، بل عملية اضطرارية : (...) انها بدائل ليست نتيجة اختيار طبيعى ولا تشكل استمرارا طبيعيا للوضع الذى كان قبل قيام الدولة : على المستوى السياسى، تحييد عدم المساواة على المستوى البرلمانى ، وبالنسبة للمجال الاقتصادى ، ارتباط متزايد بالوسط اليهودى المسيطر ونتيجة ذلك هو عدم الامان الاقتصادى أى علاقة انكار ورفض وشك من جانب السكان اليهود على المستوى الشخصى .
كل هذه العوامل المذكورة آنفا تساهم فى تجميع الفرد حول الانماط التقليدية داخل القرية ، لكى يحصل على تعويض نفسى وسط الجماعة المحلية عوضا عن العلاقة مع المجتمع.

*** خلاصة ونتائج :**

ان التغيير العشائرى الملموس حتى اليوم لا يعدو ان يكون هيكليا وليس قيميا - جوهريا . يمكن الحديث عن تغييرات قطية فى المجالات المختلفة مثل تنظيم العشيرة ، سماتها ، اوجه نشاط الزعامة العشائرية . لكن الحقيقة المستخلصة ، ان العشيرة مازالت التنظيم السائد فى السياسة العربية الداخلية . طالما بقيت الظروف التى ذكرتها فيما سبق ، فلن تحدث تغييرات مؤثرة وستظل العشيرة هى التنظيم السياسى السائد فى الوسط العربى .
وفى اعتقادى ، ان تغييرا قطريا شاملا بعيد المدى هو فقط الذى يمكن ان يؤدى الى اضعاف العشيرة. اتفاقات سلام مع الفلسطينيين ، وأجواء اكثر راحة فى العلاقات بين

الاقلية العربية والاغلبية اليهودية، وقبول اكثر للحقوق على المستوى المدني . ذلك سيؤدى الى تغيير فى السياسة الداخلية العربية . فمثلا ، دمج العرب فى مهام ومناصب كبيرة على المستوى القطرى وعلاقة اكثر فعالية ورحابة مع كل الطبقات ، سيسهم فى تغييرات ايضا فى السياسة الداخلية العربية .

٣ - النساء العربيات والسياسة : هوية جنسية أم هوية قومية

ياعيل ياشى

يعد بحثى هذا محاولة لاثارة الاهتمام تجاه موضوع لم يحظ حتى الان بالانتباه الذى يستحقه من الباحثين ألا وهو ، هوية النساء العربيات فى دولة اسرائيل. وقد ظهر أمامى مدى التجاهل لموضوع النساء العربيات فى اسرائيل من خلال دراسة دقيقة للكتابات البحثية التى تتعامل مع عرب اسرائيل. وهناك باحثون معروفون ولهم شهرتهم مثل ايلى ريخس ، وسامى سموحة ،. ويعقوف لنداو ، الخبراء فى خبايا المجتمع العربى فى اسرائيل ، احسنوا تحليل عناصره وسماته ، لكنهم لم يتعرضوا مطلقا لقضية النساء. كما ان عرضا واستطلاعات جرت فى هذه الاونة (كتلك التى اجراها سامى سموحه وأسعد غانم) افتقدت مكانة ووضع النساء .

صحيح أن جنس عينات هذه الاستطلاعات حدده القائمون عليها الا انه الى حد ما لم يتم بطريقة علمية، ولم تتوافر نتائج بالنسبة للاختلافات بين الرجال والنساء فى المجتمع العربى. "فالعرب" هم حتى الان من عينة واحدة، اذ ان اوجه التمايز تأتى على اساس الدين أو الوضع الاقتصادى - الاجتماعى (مدينة أو قرية، متعلمون أم قليلو التعلم ، الخ) وليس على اساس الجنس.

وقد ضايقنى هذا الأمر وحفزنى الى المبادرة ببحث الأمر ، وإن كان باطار معيارى صغير ،، وأننى مدركة لمعوقات هذه التجربة : اجراء البحث فى مكان واحد ، فى مدينة شفرعام (شفاعمرو) ، ان معدل التمثيل للسكان العرب عموما لم يدرس جيدا ، وفى وقت واحد.

والبحث لم يرصد تطورات على مدى السنين. اضف الى ذلك ، انه بسبب النطاق المحدود للعينة البحثية فلم نجد تمييزا مؤثرا بين نساء ينتمون الى دين أو جماعة عرقية ما بين السكان العرب (مسيحيات ، مسلمات ، درزيات ، بدويات) . وبناء على ذلك يجب التعامل بحذر شديد مع النتائج التى استخلصها البحث والنظر اليها باعتبارها اول خطوة فى اتجاه هام وجدير بالالتفات ألا وهو بحث وضع وهوية النساء العربيات فى اسرائيل .

- الاطار النظرى :

السؤال الاساسى المطروح فى البحث حول النساء العربيات فى اسرائيل يتعرض لمكونات هويتهن . فالنساء العربيات موجودات بين المطرقة والسندان . فهن عربيات فى دولة يهودية من ناحية . وكنتيجة لذلك فهن يعانين من مشاعر الظلم التى تعانيها أقلية مغبونة الحقوق . ومن ناحية أخرى فهن نساء فى شريحة سكانية عربية تحكمها معايير ساذجة وقديمة. وفى هذه الحالة ايضا فانهن قد يتشبعن بعدم الاستقرار ومشاعر الاحباط والعجز . ان مشكلة هوية النساء العربيات حادة بصفة خاصة باعتبارهن "أقلية داخل أقلية" ان اشكالية من ينتسب الى جماعة اقلية داخل اقلية هى اشكالية مزدوجة : هل تتطور الهوية بما يتناسب ويتلاءم مع قيم الاغلبية الاولى أم الاغلبية الثانية؟ أو ربما تتطور هوية خاصة لا علاقة لها بهذه الاغلبية أو تلك ؟ يمكن توقع ان النساء العربيات ، كأعضاء فى جماعة اقلية ، سيخترن الهوية التى تقلل الى ادنى حد من مشكلات التكيف مع البيئة . هل يتصرفن كعربيات ويتجاهلن الاساس النسوى لهويتهن . أو يفضلن الهوية النسائية ويتجاهلن المشكلات القومية للسكان العرب ؟ تلك هما الاشكاليتان الاساسيتان فى حياة المرأة العربية فى اسرائيل.

ان مشكلة الهوية تتفاقم مقابل التغييرات الحادثة فى المجتمع العربى . وقد بدأت اعداد من السيدات فى اعتلاء اماكن جيدة فى مجالات مختلفة من النشاط الاجتماعى . وهذا الوضع الاشكالى . الخروج من الجدران من ناحية والحفاظ على الانماط التقليدية العائلية من جهة أخرى ، يضع صعوبات ومعوقات كثيرة فى طريق المرأة العربية . فهى تقابل الاساليب المتسربة من جهة السكان اليهود وتتأثر بالتيارات المؤيدة لحرية المرأة وحقوقها فى المساواة ، هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تستمر على اخلاصها لمجتمعها ، كامرأة لا تؤيد هذه الافكار . فكيف أثرت هذه الاشكالية على مواقف المرأة العربية ؟ هل تبنت لنفسها هوية مؤسسة على مصالحها كامرأة ، أم حافظت على خصوصيتها العربية؟

وهكذا فإن الهويتين المتناقضتين للنساء العربيات هى الهوية العربية والهوية النسوية . ومن الناحية النظرية يمكن ان نجد اربعة روابط بين هاتين الهويتين ، على النحو التالى:

١ - الرابطة الاولى هى هوية قومية قوية الى جانب هوية نسائية متدنية، هذا الارتباط يتطلب القاء الضوء على المشكلات القومية التى يعانيها مواطنو دولة اسرائيل العرب. كذلك فى دول اخرى اعلنت انتهاج طرق التحرر القومى ، يمكن ان نجد نساء فى طليعة هذا الصراع . ومن ابرز الأمثلة على ذلك - انديرا غاندى فى الهند، السيدة بندرنايكا فى سيريلانكا ، كورزون اكينو فى الفلبين ، وجولدا مائير . ولم تكن لهؤلاء السيدات اللاتى قدن امما هوية نسائية طافية على السطح ، حسب ما توافر من شواهد . النكتة المشهورة عن جولدا مائير تقول ، انها الرجل الوحيد فى الحكومة. وفى اوساط السكان

الفلسطينيين هناك ايضا سيدات زعيمات (وأبرز مثال هي حنان عشراوي) . ومن المفترض انهن ايضا لا يعتبرن العمل العام نقطة استقطاب لهوية نسوية ، بل انهن يعطين اولوية للمتطلبات القومية.

٢ - الارتباط الثاني هو هوية نسوية قوية مع هوية قومية متدنية . ما الذي نتوقعه من ارتباط كهذا ؟ ان الانتاج البحثي يعرض لنا ثلاثة تفسيرات لتطور الهوية النسائية: تفسير اقتصادي اجتماعي، تفسير مجتمعي ، وتفسير الاستقلال الذاتي. فالتفسير الاول مرتبط بتغييرات في وضع المرأة ، خاص في الدول الغربية الديموقراطية . فالتغيرات التي حدثت في مجتمعات الوفرة لم تنسحب على النساء . فارتفاع مستوى التعليم والانخفاض في الانجاب جعل الكثير من النساء يخرجن الى العمل خارج بيوتهن . وهذا يصدق ايضا الى حد ما على شريحة من النساء العربيات في اسرائيل اللاتي خرجن عن الاطار المنزلي بدرجة اكبر مما كانت عليه في الماضي . صحيح ان النساء العربيات مازلن بعيدات عن مستوى معيشة نظرائهن اليهوديات ، ولكن هناك ارتفاع ملحوظ في مستوى تعليمهن . ايضا في الانجاب ، الذي مازالت نسبته مرتفعة جدا بالنسبة للمعدلات الغربية ، حدث انخفاض كبير .

التفسير الثاني يتصل بالهوية النسوية وعلاقتها بالانماط الاجتماعية للسيدات . فالنساء الشابات ولدن وسط عصر جديد ، تحولت فيه المساواة بين الجنسين لتصبح النموذج السائد . ان ازدهار الحركات النسائية في انحاء العالم الغربي قد أدى الى انه على الاقل من الناحية اللفظية فإن فكرة المساواة بين الاجناس تحظى بتأييد واسع ، خاصة بين النخب . صحيح هناك فجوة بين ما يقال وما يتم بشأن مساواة المرأة ، غير ان الاقوال المحلقة تخلق جوا من المساواة وتدفع بالهوية النسائية، والنساء العربيات (خاصة الشابات) تخضعن لقانون تعليم اجباري يتلقين بموجبه تعليمهن في مدارس دولة اسرائيل. انهن معرضات اذن لبرامج ومبادئ تنادي بالمساواة بين الجنسين .

والتفسير الثالث يتعلق بمدى استقلالية المرأة . ويمكن تعريف المرأة انها مستقلة ، عندما تصبح قادرة على اعالة نفسها وان تقف على قدميها . وهدف نفس السيدات اللاتي يحولن الحياة الزوجية الى عزوبية أو يفضلن ان يكن امهات غير متفرغات بدلا من وضع انفسهن في معمعة الزواج . ولا نستطيع أن نقرر بأن هذه الظاهرة منتشرة بين السكان العرب في اسرائيل . في نفس الوقت ، فازدياد عدد النساء اللاتي يخرجن للعمل خارج اطار منزلهن - وإن كان معتدلا في آن واحد - يعطى احتمال لتطور حركة نسائية على اساس مكونات الاستقلالية الذاتية .

٣ - الارتباط الثالث هو هوية قومية ضعيفة وهوية نسائية ضعيفة: هذا الربط هو نتيجة الضرر المزدوج. وهو يأتي نظرا لكون النساء العربيات يقعن بين المطرقة - القومية العربية في اسرائيل - والسندان - السلطة الابوية في المجتمع العربي.

فالنساء اللاتي يمثلن اقلية داخل الاقلية تشعرن بظلم أو انكار مضاعف . فهن منقطعات الصلة عن التيار الرئيسي للقومية العربية باعتبارهن نساء لا يتوقع منهن ان يلعبن دورا فاعلا في الحياة العامة. وفي نفس الوقت منقطعات الصلة عن تيار الحركات النسائية الحديثة نظرا لانهن لا يتعرضن لاية دعاية نسائية وليس لديهن فرص كثيرة لتطوير هويتهن النسائية ، فهن مكبلات بقيود التقاليد ، ويعيشون نمط حياة كان يعيشه اجدادهن ، وأمهاتهن وإخواتهن الكبيرات ، فالحياة تمر عليهن دون ان تصادفهن الفرصة لتطوير اي هوية خاصة بهن ، فيما عدا تلك المرتبطة بعالمهن الخاص : ادارة شؤون المنزل وتربية الاطفال . ومن الممكن تصور ان غالبية العربيات اللاتي تعشن في دولة اسرائيل ويتعرضن احيانا للعنف داخل الاسرة ، تجاهرن بمزيد من القوة بشعورهن بالظلم المضاعف .

٤ - الرابطة الرابعة هي الاندماج الايجابي بين الهويتين القومية والنسائية . وفي اطار هذه الرابطة ليس هناك فرق بين التوجه النسائي والقومي . هما شعاران متجاوران فوق علم واحد ، مثل الرفاهة والامن ، ولا يمكن انكار وجود الهويتين اللتين من الناحية النظرية على الاقل ، لا تنفي احداهما الاخرى. فالنساء ذوات هوية مزدوجة - على هذا النحو - يتوافقن بقوة مع المشكلات النسائية. وبمرور الزمن يختزن مشاعر قومية . اضف الى ذلك ، ان تحرير المرأة من قيود التقاليد لا يمكن ان يتحقق دون التقدم باتجاه استقلال قومي . وفي هذه الحالة لا تأتي هوية على حساب الاخرى، بل مكملة لها.

- وضع النساء العربيات في اسرائيل:

رغم حقيقة ان مستوى معيشة السكان العرب في اسرائيل ارتفع بصورة ملموسة في العقد الاخير ، فلم ينعكس هذا الارتفاع دائما على مستوى المرأة ، الذي مازال يتسم بمكونات اجتماعية اقتصادية متدنية نسبيا ، بالمقارنة مع المرأة اليهودية . فالمرأة العربية أقل تعليما وعدد اولادها اكثر . وتشير البيانات ان نسبة السيدات العربيات المتعلمات اقل من ٨ سنوات في المدرسة كان ٥٤,٧٪ عام ١٩٩١ ، مقابل ٤٩,٧٪ في الرجال العرب ، و٢١,٣٪ بين السيدات اليهوديات . والمعطيات المطابقة بالنسبة لذوات التعليم العالي (١٣ عام تعليم أو اكثر) هم ٧٪ من السيدات العربيات ، ١٠,٩٪ بين الرجال العرب ، و٢٩,٩٪ للسيدات اليهوديات وهناك فقط ٣٥,٤٪ من النساء العربيات عملوا خارج ميزانية منزلهم ، بالمقارنة مع ٤١,٦٪ بين اليهوديات (بيان احصائي عام ١٩٩٢) وفي نفس العام كانت نسبة الانتاجية بين النساء العربيات ٤٧,٠ مقابل ٢,٠٥ بين اليهوديات . كذلك في الساحة السياسية لم يتحسن دور المرأة العربية ، ولم تعمل اي امرأة عربية في الكنيست . ونسبة النساء في الحكم المحلي

ضئيلة للغاية .
فى نفس الوقت ، لا يمكن تجاهل التغيرات التى حدثت فى وضع المرأة العربية خلال العقد الاخير . فى عام ١٩٨٥ كان حوالى ٦٠٪ منهن من ذوات ثمانى سنوات تعليم أو اقل ، و ٦,٥٪ فقط تعلموا ١٣ عاما أو اكثر . وبعد عشر سنوات انخفضت نسبة ذوات التعليم الضئيل الى ٤٣,٨٪ وتضاعف عدد المتعلمات ليصل الى ١٣,١٪ . كذلك طرأ تحسن ما فى تشغيلهن . فى عام ١٩٨٥ كانت نسبة الرجال فى قوة العمل المدنى ٦٧,٤٪ ، وفى عام ١٩٩٥ كانت هذه النسبة ٦٦,٨٪ . هناك اذن شواهد على تقدم ما ، رغم انه بطيئ وتدريجى ، فى وضع المرأة العربية فى اسرائيل . فكيف اثر هذا التقدم على مكونات هويتها ؟

- البحث :
ان البحث الذى تناول بالدراسة مكونات هوية النساء العربيات جرى فى مدينة شفاعمرو (شفرعام) سنة ١٩٩٣. سكان البحث يبلغ عددهم ٣٣٩ سيدة عربية تم اختيارهم بشكل عشوائى من سجل سكان القرية. والنساء العربيات اللاتى شملن مسلمات ومسيحيات ودرزيات ، تساوت مع مجموعتين أخرتين . الاولى ضمت ١١٧ رجلا عربيا تم اختيارهم ايضا بصورة عشوائية من بين سكان شفرعام ، المجموعة الثانية ضمت نموذج من نساء يهوديات (٥٧٦ اجمالى) . وافتراضى الاساسى كان :اذا كانت النساء العربيات اصبحن اكثر شبها بالنساء اليهوديات فى وجهة نظرهن وفى مشاركتهن السياسية ، سيمكن افتراض ان هويتهن النسائية ستكون لها الاولوية بدلا من الهوية القومية . وتشير الدلائل الى هوية قومية قوية جدا لدى الرجال العرب عنها لدى السيدات اليهوديات . والموقع المتدنى على جدول الهويتين يشير الى "ظلم مضاعف" وانقسام التخيل بين نساء يهوديات وبين رجال عرب يشير الى ربط الهويتين . ومدى التخيل بين مجموعة البحث (النساء العربيات) وبين المجموعتين الاخريين (الرجال العرب والنساء واليهوديات) تم اختباره بسلسلة اسئلة فى موضوعين : المواقف تجاه وضع المرأة وأنماط المشاركة السياسية .

- المواقف من وضع المرأة (هوية نسائية):
رغم حقيقة ان "المساواة" هى مصطلح مركب ، له مدلولات كثيرة ، فان هناك اتفاقا واسعا حول تحديد وتعريف مشكلات "نسائية" يمكن ان تكون بؤرة هوية نسائية . والاسئلة التى طرحت على عينات البحث تعاملت مع موضوعين : وضع المرأة فى الساحة السياسية وفى الاسرة. وتعرض السؤال الاول لمدى تأييد انشاء حزب للنساء ، وكما هو معروف . كانت هناك محاولتان فى الماضى السياسى لدولة اسرائيل من أجل التقدم بقائمة نسائية فى انتخابات الكنيست لكنهما ذهبتا ادراج الرياح. ونسبة تأييد الحزب النسائى بين العربيات عالية للغاية بالمقارنة مع نفس النسبة بين النساء اليهوديات . هل هذا التأييد ينطلق من عدم الفهم لمعنى حزب نسائى ؟ هل يعبر عن احباط عميق لدى النساء باعتبارهن أقلية داخل أقلية ؟ هذه الاسئلة ليس لها اجابة حتى الآن .
السؤال الثانى ناقش مدى الموافقة على مقولة ، ان "السياسة هى امر اسوأ من ان تشتغل فيه النساء". هذه المقولة تعكس نفور النساء من صراعات القوة. فإحساسهن ورقتهن تجعلهن يفضلن العمل فى قضايا التربية والشؤون المنزلية، وأنهن لن ينجحن فى اعمال أو انشطة تنافسية مثل السياسة. كان معدل الاتفاق مع هذه المقولة منخفضا لدى مجموعتى النساء العربيات واليهوديات ، ومرتفعا للغاية بين الرجال العرب .
أما السؤال الثالث فتعامل مع القدرات الادارية للنساء . وطبقا لعبارة "المرأة الخاصة" التى تقر فى بيتها ، فإن المرأة ليست مؤهلة لادارة الشؤون الاخرى كنظرائها من الرجال المسيطرين على الساحة الاجتماعية . ايضا فى هذا الشأن رفضت النساء هذا المفهوم التقليدى المحافظ ، من خلال تعبيرهن عن ان القدرات الادارية للنساء لا تقل بحال عن قدرات الرجال. وكان هناك اتفاق بين الرجال العرب اقل بكثير مما هو متوقع.
أما بالنسبة للمسائل المتصلة بالاسرة فكانت مواقف النساء العربيات محافظة وتقليدية اكثر مما لدى النساء اليهوديات ، لكنها اكثر مساواة مما يراه الرجال . وقد عرضت على عينات البحث ثلاث مقولات :
أ - عندما يعمل الزوجان يجب تقسيم اعمال البيت بالتساوى بين الرجل والمرأة .
ب - للمرأة الحق فى ان تتقدم فى مجال تخصصها مقابل عدم استقرار ما بالنسبة لافراد اسرتها .
ج - يجب ان تتمتع المرأة بحق الاجهاض .
وبالطبع ، فإن الوعى الانثوى اقل انتشارا بين النساء العربيات عنه بين اليهوديات . فنسبة العربيات اللاتى ايدن التقسيم المتساوى للمهام المنزلية هى ٨٥,٨٪ مقابل ٩٣,٥٪ لليهوديات .
ونسبة الرجال المؤيدين لتقسيم متساو لأعمال المنزل تصل الى ٧٦,٦٪ فقط (وهى نسبة ليست قليلة فى حد ذاتها ، لكنها اقل بكثير من النساء) . اضف الى ذلك ان نساء عربيات اكثر (٧٤,١٪) من اليهوديات (٦٤٪) ذكرن ان للمرأة حق التقدم فى مجال تخصصها على حساب بعض الاضطراب لافراد اسرتها. وكانت نسبة الرجال المؤيدين لذلك ضئيلة جدا (٥٩,٨٪) .
الفجوة الكبرى بين السكان النساء تتعلق بقضية الاجهاض . حق المرأة فى جسدها غير معترف به فى دولة اسرائيل التى قررت وقف الحمل عن طريق جمعيات خبراء (الواقعات تحت تصرف اطباء وباحثين اجتماعيين) تعينها الدولة. ولكى تستطيع المرأة اجهاض حملها يجب ان تخضع لعدة معايير ، جميعها فعالة وناجحة (سن المرأة ، حالتها الصحية، صحة الجنين ، مصدر الحمل) والامر ليس مجرد

رغبتها فى ذلك . وتأييد حق الاجهاض كان منتشرا للغاية بين النساء اليهوديات. فحوالى ٨٠٪ من عينه البحث من اليهوديات يعتقدن ،انه لا يجب ان نفرض على المرأة حملا غير مرغوب فيه . وبين العربيات فان الموافقة على حق الاجهاض تقل بمقدار النصف تقريبا (٤٤،٥٪) الا انه فى هذا الموضوع ايضا الذى تبدى النساد العربيات تحفظا خاصا تجاهه ، هناك فجوة كبيرة بينهن وبين الرجال ، فأقل من ثلثهم (٣٠،١) يؤيدون حرية الاجهاض للمرأة.
ويعرض جدول (١) جميع بيانات المواقف تجاه وضع المرأة فى السياسة وفى الاسرة بين شرائح السكان الثلاث من البحث . ومن هذه البيانات تظهر صورة واضحة تماما للتصور العام بين النساء العربيات واليهوديات ، والفروق بين المجموعتين فى اوساط السكان العرب. وأغلبية الفروق بين العربيات واليهوديات - ماعدا تأييد انشاء حزبى نسائى - لم تكن ذات اهمية احصائية ، مع ان هناك فروقا هامة (احصائية) فى كل سؤال من الاسئلة المطروحة .
بالاضافة الى ان مقارنة المتوسطات الاحصائية تجاه المواقف تشير الى تقارب كبير بين النساء العربيات واليهوديات (٦٥،٢ و ٦٧،٠) وتشير الى فجوة كبيرة بينهن وبين الرجال العرب (٥٤،٩) ، الذين تتسم مواقفهم بطابع محافظ اكثر تقليدية .
بذلك ، وبناء على النتائج الاولية والنسبية لهذا البحث، يتضح ان الهوية الجنسية فى حياة النساء العربيات تحظى بأهمية أكثر من الهوية القومية .

- المشاركة السياسية :
ان المشاركة المتواضعة للنساء فى السياسة تظهر كأحد النتائج الواضحة والدامغة للعلوم الاجتماعية. وضآلة مشاركة النساء فى السياسة لها ثلاثة أسباب رئيسية : أولا ، كما ذكرنا سالفا ، طابع النساء غير المؤهل لتحمل ادوارها فى صراعات القوى. فالبناء النفسى لهن والهرمونات المتدفقة فى اجسادهن تحول اهتماماتهن الى مجالات اخرى . فالنساء رقيقات ، ومتطلعات ولكن طيبات كما يقول الباحثون . لذلك ، ما الذى يعنيهم فى السياسة القذرة؟
التفسير الثانى يتصل بالمهام اليومية ، فالمعروف انهن يتدبرن شؤون المنزل وتربية الأطفال . وعندما تأخذ فى الحسبان ان جزءا كبيرا منهن يعملن ايضا خارج المنزل، فلا عجب الا يتبقى لديهم الوقت للاشتغال بالسياسة .
التفسير الثالث هو تفسير ثقافى : اذ منذ ولادتهن تعتزم النساء ان تقوم بأعمال تحت إمرة فرد وليس كثيرين. فالمفاهيم الاجتماعية التى تعطيها لهن المؤسسات التعليمية والاعلامية ، بداية من الحضانة وحتى التعليم العالى ، تبعدهن عن الساحة السياسية .
ودراسة الهيكل الحاكم فى دولة اسرائيل يشهد بتضاؤل دور النساء فى القيادة . فتمثيل النساء فى الكنيست لم يتجاوز نسبة ١٢٪ ، وهو بصفة عامة قليل للغاية .

جدول يبين : المواقف تجاه قضايا نسائية، جنسية وقومية (الارقام بالنسب المئوية)

القضية / التصنيف	سيدات يهوديات	سيدات عربيات	رجال عرب
حزب نسائى	٤٨،٥	٦٧،٢	٤٨،٦
السياسة مزرية بالنسبة للنساء	٢٤،٥	٢٩،١	٣٧،٦
للنساء قدرات نسائية	٨٩،٧	٩٠،٥	٧٦،٨
تقسيم متساوى لاعمال المنزل	٩٣،٥	٨٥،٨	٥٦،٦
للمرأة حق التقدم فى تخصصها	٦٦،٤	٧٤،١	٥٩،٨
حرية الاجهاض	٧٩،٤	٤٤،٥	٣٠،١
المتوسط	٦٧،٠	٦٥،٢	٥٤،٩
اجمالى	٥٧٦	٣٣٩	١١٧

فاشتغال النساء كوزيرات فى الحكومة أمر نادر. وجولدا مائير تعد استثناء يؤكد القاعدة. حتى فى الحكم المحلى ، وهو الاقرب لطبيعة المنزل ويهتم بقضايا تستجيب للاحتياجات الملحة للمرأة ، لم تحظ النساء بتمثيل يتناسب مع نسبتهم من السكان . والان لا تشغل المرأة أى رئاسة بلدية ، ونسبة عضويتهن فى مجالس المدن ضئيل جدا.
ان القوة السياسية للنساء العربيات أكثر ضعفا من النساء اليهوديات . وحتى الأن لم تشغل اى سيدة عربية مقعدا بالكنيست . وكانت هناك فى السابق سيدة تولت احدى السلطات المحلية (فيوليت خورى) الا انها كانت ايضا ظاهرة نادرة ولم تبشر باستمرارها. وفى انتخابات الكنيست الـ ١٤ ، رشحت ولأول مرة سيدة عربية فى مكان جيد على قائمة حزب العمل للكنيست (وهى نادية حيلو) لكنها لم تفز بالمقعد المأمول.
كما وأنه فى موضوع المشاركة السياسية ، طلبت المساواة بين السيدات العربيات واليهوديات ، وبين النساء والرجال العرب . والمشاركة السياسية كما يعرضها جدول ٢ ، اختبرت السبعة أفرع التالية :
أ - قوة التأثير : عادت الابحاث فحددت دور هذا العنصر فى النشاط السياسى . عندما يعتقد المواطن ان لديه قوة التأثير على قرارات سياسة عامة ، فإنه - أو إنها - يميل الى دخول الساحة السياسية والعمل من اجل تحقيق اهدافهم.
ب - طلب المعرفة او البحث عن المعلومة: ويتم ذلك عموما عن طريق الافصاح طواعية لوسائل الاعلام الجماهيرية وخاصة للبرامج السياسية التلفزيونية .
ج - التحاور حول قضايا سياسية مع افراد الاسرة

جدول يبين : المشاركة السياسية ، حسب الجنس والقومية ١٩٩٣ (بالنسبة المئوية)

التصنيف / المعامل	نساء يهوديات	نساء عربيات	رجال عرب
قوة التأثير	٣٢,٢	٣٦,٥	٤٨,٧
البحث عن المعلومة	٦٦,٤	٧٧,٠	٧٩,٤
التجاور فى السياسة	٦٦,٩	٥٢,٠	٥٥,٩
عضوية فى حزب سياسى	١٠,٩	١١,١	٢١,٢
الاقتراع	٨٤,٧	٨٩,١	٨٠,٥
عضوية منظمة عامة	١٧,٦	٣٧,٥	٢١,٧
مشاركة فى التظاهر	١١,٠	١٤,٢	١٣,٤
المتوسط	٤١,٤	٤٥,٣	٥٤,٨
اجمالى	٦٤١	٣٣٩	١١٧

والاصدقاء : المزاج السياسى الساخن الذى يميز دولة اسرائيل يقوى افتراض ان مثل هذه الحوارات ستكون مكسبا بين السكان المعنيين .

د - العضوية فى الاحزاب . وتشير النتائج الى ان دولا غربية كثيرة حدث بها انخفاض وتدن فى قوة الاحزاب وازدياد فى قوة منظمات عامة اخرى. فى نفس الوقت فان العضوية فى حزب ما ، مازالت احد الدلائل الواضحة للتدخل والمشاركة السياسية .

هـ - الاقتراع فى الانتخابات الاخيرة. اذ ان نسبة المقترعين فى الانتخابات العامة فى اسرائيل تعد منخفضة نسبيا ، لكن الاقتراب من صناديق الاقتراع والمشاركة فى هذه العملية يعتبر ميزة هامة للمشاركة السياسية .

و - العضوية فى منظمة عامة. لا تأتى عضوية المواطن فى نقابة العمال او فى أى نقابات مهنية ، إلا من خلال رغبة حرة فى المشاركة ، وليس رغما عنه .

ز - المتغير الاخير هو المشاركة فى التظاهر . تلك هى المشاركة الفعالة والمباشرة التى تفرض استغلالا أمثل للوقت والجهد .

تعد النتائج المأخوذة من البيانات المعروضة فى الجدول المرفق مفيدة . اذ يتضح ان النساء العربيات تملن الى دخول عالم السياسة بدرجة اكبر من النساء اليهوديات ، وهن فى ذلك يشبههن بدرجة ما الرجال من نفس القومية . فهن يتمتعن بقوة تأثير عالية ، وباحثات عن المعلومة السياسية ، وعضوات فى منظمات عامة، بما فى ذلك احزاب سياسية ، وهن يقترعن اكثر ويملن اكثر الى الاشتراك فى المظاهرات . هناك مجال أو بند واحد تقل ممارسة السيدات العربيات بشأنه عنه لدى اليهوديات اذ انهن لا يجرين حوارات فى السياسة بنفس الدرجة التى تقبل عليها اليهوديات . ويمكن الافتراض ان دخول النساء العربيات الى الساحة السياسية لا ينبع من رغبة شخصية ، بل من توافق مع الفكرة القومية . فعنصر اهتمامهن الذى يفوق التوقع هو لكونهن عربا وليس لكونهن نساء . اذن فإشكال المشاركة السياسية للنساء العربيات يشير الى هوية قومية بارزة.

الخلاصة :

الاستنتاج الرئيسى لهذا البحث الاستكشافى هو ، انه من بين البدائل الاربعة الماثلة امام النساء العربيات هوية جنسية ، هوية قومية ، القهر المزدوج ، والاندماج - فقد اخترن الاخير . فالنساء العربيات على وعى بمشكلاتهم كنساء وتؤيدن الترتيبات الاجتماعية التى تدفع بقضية مساواة المرأة الى الامام - مثل تقسيم المهام فى الاسرة وحق المرأة فى العمل خارج المنزل وتطوير تخصصها المهنى. وفى نفس الوقت فهن متيقظات لمشاكلهن الخاصة كعربيات فى دولة اسرائيل ، ويبدين مشاركة سياسية اكثر شبها لابناء جلدتهن من الرجال وتفوق ابناء جنسهن من اليهوديات . هذه النتيجة تعطى أملا بأن النساء العربيات يمكن ان يشكلن رأس جسر يقرب بين ابناء الشعبين اللذين يعيشان فى اسرائيل . ان ميلهن لبنات جنسهن من ناحية ولابناء شعبهن من ناحية اخرى تمنحهن وضع خاصا فى المجتمع الاسرائيلى .

وفى النهاية نعيد التذكير ، بأن البحث الذى اعتمدت عليه هذه النتائج هو بحث جزئى فحسب ، وتم اعداده فى مدينة عربية واحدة، وبين شريحة سكانية صغيرة . ونتمنى ان ترى النور ابحاث اخرى عن مواقف وسلوكيات المرأة العربية التى تشكل جزءا هاما من المجتمع الاسرائيلى وسكانه ، وهو الجانب الذى لم يحظ بعد بالاهتمام البحثى الذى يستحقه .

حكومة إسرائيل الجديدة

دراسة ٢

جوئيل بيترز و بيكي كوك

في السابع عشر من مايو أيار عام ١٩٩٩ سجل أيهود باراك فوزا ساحقا في الانتخابات الإسرائيلية بهزيمته لرئيس الوزراء السابق بنيامين نتنياهو بأغلبية ما يقارب ال ٤٠٠,٠٠٠ صوت وحصوله على اكثر من ٥٦ %من مجموع الأصوات .ورغم أن نتائج استطلاعات الرأي التي أجريت في الأيام القليلة التي سبقت يوم الانتخابات أشارت إلى هزيمة نتنياهو، لم يتوقع أي من تلك الاستطلاعات هذا الفوز الساحق .وهكذا، فبعد ثلاث سنوات متقلبة من حكم الليكود تمكن شعار باراك الانتخابي القائل "إسرائيل تريد تغييرا "من التعبير عن خيبة أمل الشارع الإسرائيلي بنتنياهو الذي فقد ثقة ودعم الناخبين في جميع أرجاء البلاد.

كانت الانتخابات الإسرائيلية التي أجريت في أيار من هذا العام الانتخابات الثانية ضمن النظام الجديد الذي يتم بموجبه التصويت لمشرح لانتخابات رئيس الوزراء بشكل منفصل عن التصويت لحزب سياسي يمثل الناخب في البرلمان الإسرائيلي المسمى "بالكنيست"، وعليه لم يشمل النصر الشخصي لباراك قائمة إسرائيل واحدة (تركيبة ائتلافية من حزب العمل وحركة جيشر التي يرأسها ديفيد ليفي وحركة ميماد الدينية المعتدلة التي يرأسها الحاخام يهودا عميطل) .في المقابل أدى حصول الليكود على ما لا يزيد عن ربع الأصوات وهزيمة نتنياهو الكاسحة إلى استقالته الفورية من الحياة السياسية وانعكس ذلك في الانهيار المفاجئ لشعبية حزب الليكود (من ٣٢ صوتا إلى ١٩ صوتا) والذي لم يمكنه من الحفاظ على مكانته كثاني أكبر حزب في المجلس التشريعي الإسرائيلي إلا بشق الأنفس.
إلى ذلك كان التفتت السياسي المتمثل بحصول ما يقارب ال١٥ فصيلا على تمثيل في الكنيست الجديدة النتيجة غير المقصودة للقانون الانتخابي الجديد .كذلك يعكس هذا الرقم الكبير الانقسامات العميقة داخل المجتمع الإسرائيلي، ولكن هذه المرة ليس حول القضايا العادية مثل الأمن والعملية السلمية مع الفلسطينيين وإنما حول الشخصية المستقبلية للمجتمع الإسرائيلي بشكل عام وهذا ما قد يكون أكثر أهمية .وعليه فرغم أنه من الضروري أن يعمل باراك على إحياء العملية السلمية مع الفلسطينيين واستئناف المحادثات مع سوريا وتنفيذ انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان، يجب عليه أيضا أن يوجه طاقاته في سبيل أب الصدع على المستوى المحلي.

المتنافسون على رئاسة الوزراء - في بداية الحملة الانتخابية قدم خمسة أشخاص أنفسهم كمرشحين لرئاسة الوزراء: نتنياهو وباراك ورئيس الدفاع السابق اسحق موردخاي الذي ترك الليكود ليقود حزب المركز المشكل حديثا، وبيني بيغين الذي قاد قائمة الوحدة الوطنية اليمينية، وعزمي بشارة وهو مواطن فلسطيني إسرائيلي .انسحب كل من بيغين وبشارة، الذين لم يكونا أبدا متنافسين حقيقيين على رئاسة الوزراء، من السباق الانتخابي خلال عطلة نهاية الأسبوع التي سبقت الانتخابات، أما ترشيح مردخاي فقد كان أكثر جدية ولكن حظوظه بالمنافسة أخذت بالتراجع بعد بداية واعدة حتى انسحب من المنافسة في اليوم السابق للانتخابات تاركا للجمهور الإسرائيلي الخيار بين متنافسين اثنين فقط.

قبل الانتخابات بعدة أشهر كان من المتوقع أن يفوز نتنياهو بانتخابات أيار وكان هذا التشخيص مبنيا على افتراضين: الأول أنه كان لا يزال يتمتع بثقة وولاء الناخبين الذين أوصلوه للحكم قبل ثلاث سنوات رغم الانتقاد لأسلوبه في القيادة الذي وجهه وعبر عنه شركا ء الائتلافيين وحتى بعض أعضاء حزب الليكود الذين ترك بعضهم الحزب ليعملوا على

إسقاطه١، أما الثاني فهو أنه بما أن باراك فشل كقائد للمعارضة في الاستحواذ على خيال الجمهور الإسرائيلي وجاء ثانيا في استطلاعات الرأي فإنه لن يتمكن من هزيمة خصمه المرعب نتنياهو، ذلك الرجل الماهر في الحملات الانتخابية والتلاعب في وسائل الإعلام.

لقد كان هذا التشاؤم حول حظوظ باراك أمام نتنياهو العامل الرئيسي في ظهور ترشيح اسحق موردخاي لرئاسة الوزراء حيث أدت شعبيته المرتفعة كرئيس للدفاع لاعتباره في البداية الشخص الوحيد الذي يمكن له أن يحصل على الدعم اللازم من الناخبين السفارديين غير المتأثرين ليتمكن من إحداث تغيير في الحكومة.

خيبة أمل قبائل نتنياهو - لقد جاءت هزيمة نتنياهو هذه المرة نتيجة لتردي قاعدة الدعم التي دفعته لسدة الحكم عام ١٩٩٦، وهي شرائح من المجتمع أشير إليها بشكل شمولي باسم "قبائل نتنياهو 2."تشكلت هذه القبائل من المتشددين جدا والمستوطنين والمهاجرين الروس الجدد واليهود السفارديين الشرقيين الفقراء الذين يعيشون في القرى والمدن التطويرية الواقعة على الأطراف خارج مركز الدولة الاقتصادي والجغرافي، والذين تم تجاهلهم أو استثنائهم في سياسات حكومة العمل السابقة .وبقرب انتخابات عام ١٩٩٩ كان نتنياهو واثقا من قدرته على الحفاظ على هؤلاء الناخبين .فرغم أنهم كانوا قد عبروا عن شكوك ووجهوا انتقادات لنتنياهو لم يكن من المتوقع أن يغيروا ولائهم لمرشح من حزب العمل.

ولكن نتنياهو أساء تقدير مستوى خيبة الأمل الذي تسببت فيه سياساته ووعوده المنكوثة :فقد ارتفعت نسبة البطالة في القرى والمدن التطويرية على الحدود بأكثر من ١٠ %ولم يكن حال الناخبين السفارديين الفقراء أفضل بكثير مما كان عليه أيام حكومة العمل السابقة .ورغم انه كان ما يزال المرشح المفضل في القرى التطويرية، خسر نتنياهو ما بين ١٠-١٥ %من أصوات تلك الفئة لصالح باراك وهي نسبة كبيرة لدرجة كافية لإحداث تغيير يؤدي إلى إسقاطه.

كذلك فشل نتنياهو في الحفاظ على تأييد المهاجرين الروس الجدد الذين لعبوا دورا حاسما جدا في فوزه عام ١٩٩٦ والذين عادة ما اعتبروا في جيبه .لقد كان تحول الروس أحد أهم خصائص انتخابات عام ١٩٩٩، فبينما دعم ٧٠% منهم نتنياهو عام ١٩٩٦ صوت ٦٠ %منهم لصالح باراك عام ١٩٩٩، ناقلين له بذلك آمالهم في الرفاه الاقتصادي والتكامل ضمن المجتمع الإسرائيلي .كان أحد أسباب هذا التحول أن عددا كبيرا من أفراد هذه الشريحة العلمانية جدا لم يكونوا راضيين عن علاقات نتنياهو القوية مع الأحزاب المتزمتة جدا واعتماده عليها، وخصوصا علاقته مع حزب شاس وقائده أرييه درعي .في المقابل، زاد استعداد باراك لنقل حقيبة الداخلية من يد شاس لصالح ناتان شيرانسكي، رئيس حزب إسرائيل بعلياه من شعبيته الحديثة بين الروس.

حملة نتنياهو الانتخابية:

حاول نتنياهو أن يكرر في حملته الانتخابية الوصفة التي عملت لصالحه بشكل جيد في انتخابات عام ١٩٩٦، حيث كان قد ربح تلك الانتخابات باللعب على مخاوف الجمهور وعدم شعوره بالأمن إزاء عملية السلام مع الفلسطينيين بوعد الإسرائيليين بحصولهم على "السلام مع الأمن" وبالاستفادة من عدم ثقة الجمهور بشمعون بيريز في قيادة الدولة .ولكن وكنتيجة لإساءته تقدير كل من مشاعر الجمهور وقوة خصمه في انتخابات عام ١٩٩٩ قام نتنياهو بتبني نفس الإستراتيجية مما أدى إلى فشله على العديد من الصعد.

أولا :لم يكن باراك هدفا لينا، فقد كانت مؤهلاته العسكرية كرئيس سابق لهيئة الأركان الإسرائيلية وكأكثر جنود إسرائيل حصادا للأوسمة نقطة قوته التي استغلها ليقارع بنيامين نتنياهو في قضية الأمن.

ثانيا :أصبح الجمهور الإسرائيلي معتادا على العملية السلمية مع الفلسطينيين وعلى التعامل مع ياسر عرفات، فحتى نتنياهو التقى مع عرفات وانسحب من الخليل ووافق على نقل المزيد من الأراضي للفلسطينيين في إطار مذكرة واي ريفر التي وقعت برعاية واشنطن .كذلك لم يعد التلميح بالهجمات الإرهابية التي وقعت عام ١٩٩٦ وإلى الخطر الداهم الذي يشكله الفلسطينيون نفس الوقع وعليه لم يقتنع الجمهور الإسرائيلي بأن نتنياهو كان ملتزما بشكل كامل تجاه العملية السلمية ولم يروا في انتخاب باراك خطرا على أمنهم.

ثالثا :حاول نتنياهو أن يستغل الانشقاقات والانقسامات داخل المجتمع الإسرائيلي لصالحه، فاتهم وسائل الإعلام بالتحيز لليسار وحزب العمل بأنه حزب الصفوة المختارة وأنه ضد الدين .كذلك حاول أن يسلب خصمه من نقاط قوته بادعائه بأن عرفات كان يأمل أن ينتصر باراك .ولكن مثل هذه الحيل كان لها تأثير عكسي إذ أن الجمهور كان يبحث عن قائد يضمد الجراح ويرأب الصدع ويتغلب على الانقسامات في المجتمع الإسرائيلي بدلا من تعميقها.

برنامج باراك الانتخابي:

رغم أن هذه كانت معركة انتخابية خسرها نتنياهو إلا أنها

كانت أيضا معركة توجب على باراك كسبها .لقد أدار حزب العمل في عام ١٩٩٦ حملة انتخابية واثقة وغير منظمة، ولكن باراك كان عازما على عدم تكرار هذا الخطأ لذا لم يترك أي شيء للصدفة.

لقد كانت خطوته الأولى دخول الانتخابات بتحالف واسع قدر الإمكان فكون قائمة "إسرائيل واحدة "وضم لها كل من حركة جيشر بزعامة ديفيد ليفي الذي ترك حكومة نتنياهو في السنة السابقة وحزب ميماد الديني المعتدل .لقد ساعد تحالف باراك مع ليفي على إذابة الصورة التي رسمها نتنياهو لحزب العمل على أنه حزب النخبة الأشكنازية بينما هدف ضم ميماد إلى اجتذاب الناخبين المتدينين .كذلك دعم باراك مؤهلاته الأمنية بحصوله على تأييد فعال من كل من متان فلنائي، النائب السابق لرئيس هيئة الأركان، ويوسي بيليد، القائد الأسبق للمنطقة الشمالية، وكلاهما من الأشخاص الذين حاول نتنياهو استمالتهم له كوزراء محتملين للدفاع. وبتعيينه لفريق من الإستراتيجيين الانتخابيين الأمريكان، والذي عمل مع كل من الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير، استطاع باراك أن يدير خطة انتخابية متحفظة بشكل جيد وعديمة الأخطاء .لقد حدد هؤلاء الإستراتيجيون الشرائح المتعددة من المجتمع التي احتاجها باراك للفوز بالانتخابات وقاموا بصياغة رسالة انتخابية لكسب تأييدهم .ولعلمهم بأنه لم يكن من مصلحة باراك أن يحارب نتنياهو فقط بجدول الأعمال السياسي فقد ركز هذا الفريق على عيوب حكومة الليكود - على الاقتصاد وزيادة البطالة والتعليم - واعدا بتوزيع أكثر تساويا وعدالة للتمويل الحكومي من ذلك الذي تم خلال حكم نتنياهو والذي كان فيه المستوطنون وطلاب المعاهد الدينية المستفيدين الرئيسيين .

عامل موردخاي :

كان ترشيح موردخاي وحزب المركز)الذي تكون أعضاؤه بشكل رئيسي من أعضاء ناقمين على نتنياهو في حزب الليكود (من العوامل الهامة في إسقاط نتنياهو رغم أن نتائج استطلاعات الرأي التي أجريت في الأيام الأخيرة التي سبقت الانتخابات كانت تشير إلى أن موردخاي سيحصل على ٥ %فقط من الأصوات) .لم يكن بإمكان نتنياهو أن يتهم وزير دفاعه السابق بأنه يساري أو متساهل في الجانب الأمني، وفي المقابل هاجم مردخاي ورفاقه في حزب المركز نتنياهو مرارا على أنه يستخدم أسلوب فرق تسد في القيادة وتساءلوا علانية عن جدارته بالثقة وأهليته للحكم، وقد كانت هذه الهجمات مماثلة لتلك التي كالها بيني بيغين من اليمين.

ولكن فوز موردخاي تطلب أكثر من مجرد أصوات ناخبي الليكود الناقمين على نتنياهو :لقد تطلب ذلك أيضا تحولا لصالحه في ولاء أعضاء في حزب العمل ومؤيدين لباراك، ولكن زيادة قوة الدفع خلف هذا الأخير في الأيام القليلة التي سبقت الانتخابات دفعت موردخاي لسحب ترشيحه في الساعة الحادية عشرة قبل الانتخابات ولدعم باراك حتى يتمكن من هزيمة نتنياهو.

الكنيست الخامس عشرة:

هدف الإصلاح الانتخابي في إسرائيل عام ١٩٩٦، والذي فصل السباق من أجل رئاسة الوزراء عن تنافس الأحزاب على مقاعد الكنيست، إلى زيادة سلطات رئيس الوزراء وتقليص القوة التفاوضية للأحزاب الصغيرة، ولكن هذا الأمر أدى إلى تقليص مفاجئ ومثير في نسبة التصويت للحزبين الرئيسين - الليكود والعمل .ففي عام ١٩٩٢ حصل العمل على ٤٤ مقعدا بينما حصل على ٣٤ عام ١٩٩٦ و ٢٦ عام ١٩٩٩، أما حزب الليكود الذي حصل على ٤٢ مقعدا عام ١٩٩٢ و ٢٦ عام ١٩٩٦ فقد خسر سبعة مقاعد أخرى هذا العام وانتقل معظم التأييد التي كان يتمتع به إلى حزب شاس السفاردي المتدين.

لقد نتج انقسام النظام السياسي أيضا عن النمو الهائل في عدد الأحزاب الطائفية الممثلة في الكنيست، حيث يعتبر الكنيست اليوم خليطا من الأحزاب السياسية يعكس أكثر من أي من البرلمانات السابقة التعددات والانقسامات الكثيرة داخل المجتمع الإسرائيلي .لقد شهدت الانتخابات ظهور عدد من الأحزاب الجديدة مثل حزب شينوي بقيادة الصحفي السابق يوسف (تومي) لابيد الذي حصل على ستة مقاعد، وحزب المركز الذي فاز أيضا بستة مقاعد، وحزب إسرائيل بيتنا بقيادة أفيغدور ليبرمان - الذراع اليمنى السابق لنتنياهو وأحد المدراء السابقين لمكتبه كرئيس للوزراء - الذي فاز بأربعة مقاعد، وحزب شعب واحد (حزب العمال) بقيادة عمير بيريس رئيس حركة النقابات المهنية والعمالية وحزب بلد العربي بقيادة عزمي بشارة الذين حصلا على مقعدين لكل منهما.

وبشكل عام تعكس نتائج الانتخابات ثلاث اتجاهات رئيسية داخل المجتمع الإسرائيلي وهي :النزاع المتعلق بالعلاقة بين الدين والدولة، وظهور سياسة الهوية، وسقوط أيديولوجية أرض إسرائيل.

الدين والدولة:

لم تحدد العلاقة بين الدين والدولة بوضوح منذ تأسيس دولة

إسرائيل عام ١٩٤٨، وهي تعتمد بدل ذلك على استمرار "أسلوب عمل "هش يعود إلى الأيام الأولى لتأسيس الدولة. ولكن في السنوات القليلة الماضية أصبحت العلاقات بين العسكريين المتدين والعلماني هشة ومتوترة للغاية، وقد كان تعبير المجتمع السفاردي المتزمت عن سخطه في أعقاب إدانة زعيم شاس أرييه درعي بتهم تتعلق بالفساد في نيسان الماضي وتهجمهم على سلطات المحاكم المدنية بمثابة تتويج لهذه الاتجاهات.

كان الارتفاع المفاجئ في حجم التأييد لشاس أحد مزايا الانتخابات الملفتة للانتباه، حيث ارتفع عدد أعضاء في الكنيست من عشرة إلى سبعة عشر .وبإضافة جبهة التوراة الموحدة (خمسة مقاعد) والحزب الوطني المتدين - المفدال - (خمسة مقاعد) يصبح مجموع مقاعد الكنيست التي تشغلها الأحزاب الدينية ٢٧ مقعدا، أي أكثر من ربع عدد الأعضاء.

إن أي تفسير لنجاح شاس يجب أن ينظر إلى ما هو أبعد من النداء الديني لهذا الحزب .فمنذ تأسيسه قبل خمسة عشر عاما مثل شاس حركة اجتماعية بقدر ما هو حزب سياسي وتبنى برنامجا عرقيا سياسيا واضحا .ومن خلال تطويره لوكالاته التعليمية والاجتماعية والخيرية الخاصة (والتي تمول عبر سيطرته على الوزارات القوية مثل الداخلية والعمل والرفاه الاجتماعي) أسس حزب شاس خدمات اجتماعية متعددة في التجمعات السكانية التي تقطنها أغلبية سفاردية من الدرجة الدنيا، والتي كانت الدولة قد أهملتها. لقد أصبح شاس المقدم الرئيسي للرعاية البيتية قليلة التكلفة للمسنين، وهكذا نمت واتسعت قاعدة قوته وتأييده في الانتخابات في المعاقل الرئيسية لحزب الليكود.

رغم كونهم غير متزمتين إلا أن مؤيدي شاس تقليديين في نظرتهم للعالم، وعليه فإن خيبة أملهم المريرة بنتنياهو وحكومته لا تقوم على أساس سياسي بشكل رئيسي، فقد نبع التأييد لشاس من الإحساس المتزايد بالعزلة الاجتماعية عن المجتمع الإسرائيلي ويمكن النظر له على أنه تصويت على التظاهر السياسي ضد مجتمع يتبنى بشكل متسارع عناصر التحديث الغربي.

في المقابل، كان ظهور جبهة واضحة من الأحزاب العلمانية التي تؤيد لأول مرة صياغة دستور مكتوب لإسرائيل إحدى النتائج التي تضاهي هذا الأمر في مغزاها .تشمل هذه الجبهة كل من حزبي شينوي والمركز الجديدين، إضافة إلى حزب ميريتس القديم الذي يناصر قضايا مدنية وعلمانية . أما حزب شينوي فهو بالأساس حزب قضية واحدة وشخص واحد أسس قبل الانتخابات بثلاثة أشهر فقط وتنافس على أساس خطة متطرفة علمانية وضد الدين، مركزا على الفصل بين الدين والدولة .وتحت قيادة اليميني تومي لابيد، الذي يتمتع بالشعبية والقدرة على سحر الجماهير، أدار حزب شينوي حملة شعواء تتناول عددا من مظالم وشكاوى السكان العلمانيين ضد المؤسسة الدينية السياسية، وخاصة إعفاء طلاب المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية والسيطرة التدريجية للرأي اليهودي على معظم مناحي حياة المجتمع الإسرائيلي المدني .لقد جاء معظم التأييد لحزب شينوي من اليهود الأشكنازيين اليمينيين من الطبقة الوسطى ويعكس نجاحه الانتخابي حقيقة أن موقفا متحررا تجاه قضايا الدولة والدين لا يتطابق بالضرورة مع مواقف سياسية يمينية أو يسارية .أما حزب الوسط فقد تأسس قبل الانتخابات بنحو ستة أشهر بقيادة اسحق موردخاي ورئيس هيئة الأركان السابق أمنون ليبكين شاحاك و" أميري "الليكود السابقين دان مريدور وروني ميلو وركز على أهمية الفصل بين الدين والدولة وعلى صياغة دستور مكتوب.

ورغم التوقعات العالية في بداية الحملة الانتخابية عندما كان الحزب واثقا من أنه سيصبح القوة الثالثة الجديدة في السياسة الإسرائيلية، فشل حزب المركز في صياغته رسالة محددة وواضحة وكان أداءه العام مخيبا للآمال حتى أنه كان مخطوطا بحصوله على ستة مقاعد في نهاية الانتخابات.

و بجمع عدد مقاعد أحزاب الوسط وشينوي وميريتس (الذي حصل على عشر مقاعد) تتكون جبهة من ٢٢ مقعدا (كبر بكثير من أي كنيست سابق) ستستطيع مجابهة قوة الأحزاب الدينية وستسعى لتطوير ترتيبات دستورية أكثر رسمية لتحديد العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل .كذلك فإن ترك كل من رومان برونفمان والكسندر تزينكر لحزب إسرائيل بعلياه بسبب قضايا أيديولوجية تتعلق بالدين والدولة ليكونا فصيلا منفصلا مكونا من رجلين يعتبر بمثابة إشارة إضافية إلى أن مستقبل العلاقات العلمانية/الدينية سيستمر بالظهور بشكل قوي في الحياة السياسية الإسرائيلية .

سياسة الهوية :

يعتبر تأثير سياسة الهوية من أكثر المسائل مركزية في السياسة الإسرائيلية اليوم لما لها من صلة وثيقة وذات مغزى بالنسبة لكل من المهاجرين الروس الجدد والإسرائيليين الفلسطينيين.

يمثل الروس اليوم حزبين في الكنيست مقابل حزب واحد في الكنيست السابقة .لقد حافظ حزب إسرائيل بعلياه الذي دخل الساحة السياسية لأول مرة في انتخابات عام ١٩٩٦ على مكانته رغم انخفاض مجمل تمثيله في الكنيست من

سبعة إلى ستة مقاعد .أما الحزب الجديد فهو إسرائيل بيتنا الذي يقوده أفيغدور ليبرمان، وقد تنافس على أساس خطة انتخابية يمينية تجد صدى لدى مؤيدي الليكود وتتغذى على خيبة أمل السكان الروس من أداء زعيم إسرائيل بعلياه ناتان شيرانسكي .لقد اعتبر الصوت الروسي ضروريا جدا في المنافسة على رئاسة الوزراء ولذا سعى له كل المرشحين بشكل حثيث، حيث ظهرت العديد من مواد الدعاية الانتخابية والإعلانات التلفزيونية باللغة الروسية فقط، وقد دفع الشعور بالنفس والثقة بين أوساط الروس كمجموعة عرقية منفصلة داخل السياسة الإسرائيلية حزب إسرائيل بعلياه على عرض عضلاته خلال الحملة الانتخابية بمطالبته بالسيطرة على وزارة الداخلية بدلا من حزب شاس .ولكن تجدر الإشارة بأن عامل العرق وحده لا يكشف كل الحقيقة بالنسبة للروس، حيث لم يصوت كل الروس للأحزاب الروسية بينما تمتعت هذه الأحزاب بتأييد أوسع من أشخاص لا ينتمون لهذه الشريحة.

أما الإسرائيليين الفلسطينيين فقد حاولت استمالتهم ثلاثة أحزاب عربية مقابل حزبين في الانتخابات السابقة :حداش وهو حزب يهودي عربي بني على أنقاض الحزب الشيوعي الإسرائيلي السابق، وقائمة رأم التي تشكلت من القائمة العربية الموحدة والفصيل المعتدل في الحركة الإسلامية، وقائمة بلد التي أسسها عزمي بشارة الذي رشح نفسه أيضا لرئاسة الوزراء .رغم أن عزمي بشارة لم يكن أبدا متنافسا جديا على رئاسة الوزراء، إلا أن تنافسه على هذا المنصب أجبر الإسرائيليين على مواجهة وضع الإسرائيليين الفلسطينيين وتهميشهم من قبل الأغلبية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية داخل المجتمع الإسرائيلي .لم يطرأ نمو ملفت للانتباه على حجم التأييد للأحزاب العربية التي ربحت ما مجموعه عشرة مقاعد (بالمقارنة مع تسعة مقاعد في الكنيست السابقة)، ويمكن تفسير ذلك على أساس الانخفاض العام في حجم مشاركة الناخبين الفلسطينيين في هذه الانتخابات، مما يعكس شعورا متزايدا في أوساط الإسرائيليين الفلسطينيين بأن تمثيلهم في الساحة السياسية الإسرائيلية غير مجد، وهو موقف يؤكده استثناء باراك للأحزاب العربية من المشاركة في ائتلافه .

سقوط أيديولوجية أرض إسرائيل:

كانت الأحزاب اليمينية الخاسر الأكبر والأساسي في الانتخابات .فعلى سبيل المثال حصل حزب الوحدة الوطنية الذي يمثل حركة المستوطنين والذي يعارض أية تنازلات إقليميه أخرى للفلسطينيين على أربعة مقاعد، فدفع هذا الفشل بيني بيغين الذي ترأس القائمة إلى الاستقالة من الكنيست والانسحاب من الحياة السياسية بإعلانه أن آرائه مثلث جمهورا لم يعد قائما .كذلك فقد انخفض حجم تمثيل الحزب الوطني المتدين – المفدال – الذي تنافس على أساس خطة انتخابية يمينية إلى ما يقارب النصف بحصوله على خمسة مقاعد فقط.

أما حزب الطريق الثالث الذي نادى بحفاظ إسرائيل على مرتفعات الجولان التي احتلتها إسرائيل من سوريا عام ١٩٦٧ لأسباب أمنية لا أيديولوجية فقد فشل في الفوز بأي مقعد.

تشكيل الائتلاف:

كانت إحدى الأفكار المركزية في برنامج باراك الانتخابي أنه سيكون "رئيس وزراء للجميع "وأنه لن يهتم بمصالح فئة معينة من المجتمع الإسرائيلي دون غيرها .لقد فضل باراك أن يؤسس ائتلافا واسعا قدر الإمكان إما تنفيذا لوعده بإعادة الوحدة أو لتشكيل قاعدة دعم قوية للقرارات الصعبة التي سيتوجب عليه اتخاذها في إطار العملية السلمية وعلى الجبهة المحلية.

من الواضح أن الوضع السائد المتمثل بوجود كنيست منقسم على نفسه جعل مهمة تشكيل ائتلاف صعبة ومتطلبة لقدر كبير من البراعة السياسية، حيث كانت قدرة باراك على المناورة ستعتمد على اختياره لشركائه الائتلافيين.

ولأول مرة في تاريخ إسرائيل السياسي بدت إمكانية تشكيل ائتلاف مبنى على أساس علمانى باستثناء الأحزاب الدينية قائمة .فقد كان من الممكن لضم حزب الليكود "بقيادة الصقر أيريل شارون كزعيمه الانتقالي "بدلا من الأحزاب الدينية أن يعطي باراك أغلبية كانت ستمكنه من التعامل مع القضايا الدينية وصياغة دستور وربما فصل الدين عن السياسة، ولكن هذا كان سيتأتى على حساب تقليص الخطوات التي أمل باراك أن يقوم بها في إطار العملية السلمية .في المقابل كان له الخيار البديل الذي قدمه كائتلافه في السابع من تموز والذي أدخل فيه الأحزاب الدينية، مع نتيجة احتمال تعليق المسائل المدنية\الدينية، حيث أنه سيعطي باراك قدرا أكبر من السيطرة والقدرة على التعامل مع قضايا العملية السلمية.

تركيبة الحكومة:

تتكون حكومة باراك من ثلاثة وسبعين عضوا في الكنيست وسبعة أحزاب هي إسرائيل واحدة، وميريتس، والأحزاب الدينية الثلاث وهي شاس والحزب الوطني المتدين – المفدال وحزب التوراة اليهودية الموحدة، إضافة إلى حزب إسرائيل بعلياه وحزب المركز .يصنع هذا الخليط ائتلافا غير سهل يجمعه واقع توزيع مقاعد الكنيست .لقد استنفذ باراك كامل

الأيام الخمسة والأربعين المخصصة له لتشكيل الحكومة واستطاع بمهارة وصبر أن يجتذب شركاء المحتملين ويمهد الأمور حتى يمكن الفصائل المختلفة بشكل كبير من الجلوس معا .ومن الأمور ذات المغزى بشكل خاصة تأكده من إزاحة آرييه درعي المهتم بالفساد من أي دور قيادي داخل حزب شاس ليتسنى لحزب ميريتس التنازل عن رفضه المبدئي للانضمام لأية حكومة مع شاس .ولكن حتى يتمكن من إقناع الأحزاب الدينية للانضمام إليه اضطر باراك إلى القيام بتنازل يتعلق بإعفاء طلاب المعاهد الدينية من الخدمة العسكرية.

خلال فترة الشهر والنصف التي انشغل فيها باراك بتشكيل ائتلافه أبقى على مرشحيه المفضلين لنفسه وأشرك بضع أفراد من حزبه في عملية صنع القرار المتعلقة بالشركاء الائتلافيين والحقائب الوزارية .وليستقطب الشركاء اضطر باراك لأن يعرض عليهم فوائد الحقائب المربحة :فقد عرض على حزب ميريتس حقيبتي التعليم والصناعة والتجارة اللتين تعتبران من الحقائب الهامة، إضافة إلى منصب نائب وزير المالية، كما كافأ حزب إسرائيل بعلياه بحقيبة الداخلية وأعطى حزب شاس الذي خسر تلك الحقيبة أربعة حقائب تتعلق بالرعاية الاجتماعية وهي العمل والشؤون الاجتماعية، والبنى التحتية، والصحة، والأديان .أما حزب المركز فقد نال وزارة المواصلات، بينما حصل الحزب الوطني المتدين على حقيبة الإسكان .تجدر الإشارة هنا إلى أنه رغم كون باراك قد نادى بحكومة تغيير إلا أن سبعة من وزراء كانوا قد خدموا تحت رئاسة نتنياهو.

ولوجود قانون يحدد عدد الحقائب الوزارية التي يسمح لرئيس الوزراء توزيعها بثماني عشرة، نتج عن التوزيعات الوزارية التي قدمها باراك للأحزاب المشاركة في ائتلافه بضع خيبات أمل داخل حزبه .فبناء على اتفاق سابق لإعطاء ديفيد ليفي حقيبة الخارجية وقراره إبقاء حقيبة الدفاع لنفسه لم يتبق لحزب العمل سوى سبع حقائب .كذلك فقد أسهمت الحقائب الوزارية التي عرضها باراك على أعضاء حزبه إلى زيادة الشعور بخيبة الأمل، فقد أعطى حقيبة المالية التي تنافس عليها كل من شلومو بن عامي ويوسي بيلين إلى مؤيدة المخلص أبراهام (بيغا) شوحط وبدلا من هذه الحقيبة اضطر بن عامي وبيلين لأن يرضيا بحقيبتي الأمن الداخلي والعدل على التوالي .أما بيريز الذي كان قد ضمن حقيبة وزارية فقد عين وزيرا للتعاون الإقليمي وهي وزارة مستحدثة ما تزال صلاحياتها غير محددة .وحتى يتمكن باراك من سد احتياجات حزبه كانت إحدى أولى الخطوات التي أقدم عليها فور استلامه لمهامه تعديل قانون الحكومة لزيادة عدد أعضائها إلى أربعة وعشرين .يذكر كذلك أن رئيس الوزراء نكث وعده الانتخابي بضم ثلاث نساء إلى حكومته بتعيينه امرأة واحدة فقط في البداية وهي داليا ايتسيك كوزيرة للبيئة التي تعتبر وزارة هامشية، ولكنه عين يولي تامير كوزيرة للاستيعاب بعد أن تمكن من زيادة عدد الحقائب الوزارية في حكومته.

لقد وصل الإحباط داخل حزب العمل بسبب طريقة اليد العليا التي يستخدمها باراك في تعاملاته إلى حد رفض أعضاء الحزب مرشحه لرئاسة الكنيست - شالوم شمخون الذي لا يتمتع بخبرة كافية - مختارين بدلا منه أبراهام بورغ .لقد أدت إهانة باراك الناتجة عن رفض مرشحه إلى تذكيره بأنه لا يستطيع تجاوز مصالح حزبه والدوس عليها رغم فوزه الكاسح في الانتخابات .يذكر أن عدم استعداد باراك للتشاور مع زملائه في الحزب وإحاطته نفسه ببضع مستشارين موثوق بهم من جيشه أديا إلى زيادة السخط على أسلوبه في القيادة خلال الأيام المائة الأولى له في سدة الحكم .

أخيرا من المهم ملاحظة أولئك الذين تم استثناؤهم من حكومة باراك .رغم أن باراك ادعى مرارا أنه سيكون "رئيس وزراء للجميع "إلا أن الإسرائيليين الفلسطينيين لا تشملهم هذه المظلة حيث لم يفكر باراك بالأحزاب العربية كشركاء محتملين في حكومته في أية مرحلة من مراحل مفاوضاته الائتلافية .وبالنظر إلى الدعم الهائل الذي قدمه الفلسطينيون لباراك (حيث صوت له ما يزيد عن ٩٥% منهم) ، فإن تجاهله لهم سيزيد من التأكيد على مشاعر العرب بالتهميش والاستثناء من السياسة الإسرائيلية .

إلى ذلك سيضمن اختيار حزب شينوي عدم المشاركة في الحكومة على أساس التنازلات التي قدمها باراك للأحزاب الدينية، حيث اختار بدلا من ذلك أن يقوم بدور المعارضة المعبرة عن قضايا الدين والدولة (وقد ينضم له بذلك عضوي الكنيست الذين انشقا عن حزب إسرائيل بعلياه) ، أن لا تختفي قضايا الدين والدولة عن جدول أعمال الجمهور .في الواقع، لقد سيطر التوتر بين الدين والدولة على الأيام الأولى من حكم باراك ووصلت الأمور قمتها في منتصف شهر آب بنقل توربين كهرباء خلال عطلة السبت مما دفع حزب شاس للتهديد بالانسحاب من الائتلاف إذا حصلت تعديات أخرى على حرمة السبت.

أما حزب الليكود الذي هلك قسم منه وغدا في حاجة إلى العون في أعقاب استقالة نتنياهو المفاجئة فسيكون منهمكا خلال السنتين القادمتين في المعركة حول رئاسة الحزب، مما سيعطي باراك متسعا من الوقت خلال هذه الفترة لتناول مسألة مستقبل العملية السلمية.

الائتلاف الحكومي الإسرائيلي

الحزب	عدد المقاعد في الكنيست
إسرائيل واحدة - حزب باراك على يسار الوسط	٢٦
شاس - سفاردي متزمت	١٧
ميريتس - علماني يساري	١٠
المركز - أعضاء معتدلين سابقين في حزب الليكود اليميني	٦
إسرائيل بعلياه - المهاجرين الروس	٤
الحزب الوطني المتدين - المفدال - متدين وموالي للمستوطنين	٥
التوراة اليهودية الموحدة - أشكنازي متزمت	٥

العملية السلمية:

كان الموروث المباشر لباراك على الجبهة الفلسطينية تطبيق اتفاقيات واي ريفر التي علق نتنياهو تطبيقها من جهة واحدة بعد أن طبق المرحلة الأولى من ثلاث مراحل من الانسحابات الإقليمية المتفق عليها .لم يخف باراك أبدا عدم إعجابه باتفاقيات واي ريفر وكان يأمل أن يتوجه مباشرة لمحادثات الوضع النهائي مع الفلسطينيين أو إلى مزج تطبيق أجزاء من هذه الاتفاقيات مع محادثات الوضع النهائي بحيث يتم مزج وتوحيد جانبي هذه العملية، ولكن عناد الفلسطينيين في تأكيدهم على عدم استعدادهم للتنازل عن المكاسب الإقليمية التي تحققت لهم في مذكرة واي ريفر أجبر باراك على التراجع عن فكرته بتجاوز اتفاقيات واي والالتزام بتعهده بتطبيق الاتفاقية.

لم يكن باراك لينا أو قريبا من عناصر اتفاقية حول الوضع النهائي، ولكنه تكلم منذ وصوله لسدة الحكم عن الواقع المتمثل بأن الدولة الفلسطينية أصبحت حقيقة وأمرا واقعا على الأرض .وكمعلمه وناصحه المخلص اسحق رابين، يرى باراك في الفصل بين إسرائيل وفلسطين هدفه المأمول .وحديثا أخذ باراك يردد فكرة تحقيق اتفاقية سلام مع الفلسطينيين من مرحلتين تقوم بموجبها إسرائيل والفلسطينيون بصياغة إعلان مبادئ جديد بحلول شهر شباط من عام ٢٠٠٠ ويتم فيه الاتفاق على إنشاء دولة فلسطينية وترسيم حدود مستقبلية ووضع أسس للأمن وترتيبات للعلاقات الاقتصادية المستقبلية بين الدولتين، ويعلن الطرفان بناء عليه خطة للسلام الشامل بحلول شهر تشرين الثاني من عام ٢٠٠٠ .وبالنظر إلى القضايا العالقة التي يجب تناولها وحلها في هذه المفاوضات، يعتبر البرنامج الزمني الذي يقترحه باراك لإنجاز المفاوضات مع الفلسطينيين طموحا حيث أن المفاوضات ستكون صعبة عندما تستأنف، وبناء على تجربة المفاوضات التي جرت مؤخرا من المتوقع أن تكون المفاوضات المقبلة طويلة ومنهكة.

رغم تحدث باراك عن إعطاء أولوية متساوية لجميع جوانب العملية السلمية، إلا أنه يعطي أولوية للتوصل لاتفاقية سلام مع سوريا أكثر من الفلسطينيين ولذا ستشهد الشهور القادمة بذل جهود دبلوماسية حثيثة فى هذا الاتجاه .لقد خلق انتخاب باراك مناخا جديدا من الثقة فى المنطقة، وخصوصا على المسار السوري الذي شهد عددا غير مسبوق من التصريحات على ألسنة موظفين سوريين بخصوص احتمالات إحياء المفاوضات و"التعامل "مع باراك.

لقد وعد باراك ناخبيه خلال حملته الانتخابية بانسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان خلال عام واحد من استلامه لزمام الحكم، وسيكون الجمهور الإسرائيلي الذي أنهكه مجموع الأرواح التي أزهقت في لبنان مؤيدا له فى وفاء هذا الوعد .وبما أن باراك يدرك جيدا أن مفتاح الهدوء على الحدود اللبنانية في يدي الرئيس الأسد، يتوجب على رئيس الوزراء الإسرائيلي أن يعيد اجتذاب السوريين، ولكنه يعلم أيضا أن الأسد لن يطلب ما هو أقل من الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الجولان .ولكون باراك ممن اشتركوا في المفاوضات السابقة مع سوريا بحكم كونه رئيس هيئة الأركان في الجيش الإسرائيلي أبان تلك المفاوضات، فإنه على علم بالمرحلة التي وصلت لها وبالترتيبات الأمنية المحتملة التي يمكن التفاوض حولها .تجدر الإشارة هنا إلى أن الدور الذي ستلعبه الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المفاوضات والترتيبات سيكون حاسما، حيث سيتوجب

عليها أن تسهم بشكل فاعل في إيجاد صيغة تعيد كلا الطرفين إلى طاولة المفاوضات، وأن تتوسط بينهما فى أية مفاوضات مستقبلية.

كانت إحدى أولى أولويات باراك لدى استلامه منصبه في رئاسة الوزراء إعادة بناء الثقة بين إسرائيل والولايات المتحدة بعد أن تضررت بشكل كبير جدا أبان حكم نتنياهو، مما أدى إلى تدفئة العلاقات بين واشنطن والفلسطينيين .بينما ستلعب الولايات المتحدة دورا حاسما كوسيط فى أية مفاوضات مستقبلية بين إسرائيل وسوريا، يبدو باراك عازما على تقليص أي تدخل أمريكي فى المسار الفلسطيني الذي بدأت تلعب فيه الولايات المتحدة دور الوسيط والحكم في آن واحد منذ مفاوضات واي بلانتيشن، وعلى إرجاعها لدورها السابق كوسيط بين الطرفين.

أخيرا، وعلى المستوى الإقليمي، يمكن للمرء أن يتوقع أن تقوم إسرائيل بإعادة تطوير علاقاتها مع العالم العربي الأوسع .وبينما لا تزال العودة إلى لغة "الشرق الأوسط الجديد "سابقة لأوانها، إلا أن تعيين شمعون بيريز رئيسا للتطوير الإقليمى فى إسرائيل ستعني إعادة إنعاش بعض المساعي فى هذه المنطقة مثل المحادثات متعددة الأطراف والقمم الاقتصادية للشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

الخلاصة :

خلال بضعة أيام من تأسيسه لحكومته ونشره لجدول أعمالها قام باراك برحلته الخارجية الأولى، وقد بعثت لقاءاته الرسمية الأولى مع الرئيس المصري حسني مبارك والقائد الفلسطيني ياسر عرفات والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني بن الحسين بإشارات مفادها أن إعادة توطيد علاقات وئام مع الأطراف العربية في العملية السلمية على رأس جدول أعمال باراك، حيث اتسمت لغة اللقاءات بالاحترام والإيجابية، وجاءت بنبرة تتباين تماما مع مزاج التشكك والتخوف الذي تخلل فترة رئاسة بنيامين نتنياهو لحكومة إسرائيل، ولكن *تحت السطح يبدو باراك عاقدا العزم على القيام بمقايضات* صعبة سواء مع السوريين أو الفلسطينيين .علاوة على ذلك فقد أفادت رسالته لدى وصوله إلى واشنطن للتشاور مع الإدارة الأمريكية بأن دور أمريكيا في العملية السلمية سيكون أقل تفصيلا وعمومية مما أصبح عليه بعد اتفاقية واي بلانتيشن، حيث يرى باراك بأن على الأطراف أن يقوموا بالتفاوض بأنفسهم وأن على الولايات المتحدة أن تقوم بتسهيل تلك المفاوضات عن بعد بدل التدخل في صميمها.

كما تبين تحركات باراك الأولى وأسلوب قيادته، سيحدد باراك بنفسه سلم أولويات حكومته وسمعتها .إلى ذلك يستدل من صبره وعمله الدؤوب في تشكيل ائتلاف واسع ومتنوع أنه أكثر مناعة من سلفه نتنياهو أمام أية مطالب من أي فصيل .كذلك فإن اتساع فريق باراك يضعه في موقف قوي لدى المقايضة على طاولة السلام .ولكن رغم هذا كله تعكس تشكيلة ائتلافه برلمانا إسرائيليا أكثر تشتتا من ذي قبل، مما يعكس حجم الانقسامات والتوترات داخل المجتمع الإسرائيلي .أخيرا فإن استطاع باراك أن يحتوي الأثر الكامن وراء هذه التوترات والضغوط على برنامج أعماله المؤجل، فإنه سيكون قد قام بإنجاز جدير بالاعتبار، ولكن قد يكون التوقع منه أن يتمكن بالفعل من أب الصدع مطلبا كبيرا جدا .

---

*نشر إصدار أقدم لهذا المقال كورقة أيجاز للمعهد الملكي (البريطاني) للشؤون الدولية (تاتام هاوس -) برنامج الشرق الأوسط.

*الدكتور جوئيل بيترز يعمل محاضرا رئيسيا في قسم السياسة والحكم في جامعة بن غوريون الإسرائيلية في النقب، وزميلا باحثا في قسم السياسة فى جامعة ريدنج البريطانية.

*الدكتورة بيكي كوك تعمل محاضرة في قسم السياسة والحكم في جامعة بن غوريون الإسرائيلية فى النقب .

١ - انشق كل من اسحق موردخاي ودان مريدور وروني ميلو لقيادة حزب الوسط الجديد، بينما انشق بيني بيغين، ابن رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق مناحيم بيغين عن حزب الليكود، وهو بيته الروحي، ليرأس قائمة الوحدة الوطنية اليمينية .أما موشيه آرنز، وهو معلم نتنياهو وناصحه المخلص، فقد قرر العودة للحياة السياسية لينافسه على *رئاسة الحزب*، بينما *لم يخف اسحق شامير، رئيس الوزراء* الإسرائيلى الأسبق، امتعاضه ومعارضته لأسلوب نتنياهو في القيادة .

٢ - أول من أطلق هذا المصطلح كان داني بن سيمون في مقلته بعنوان "قبائل بيبي المفقودة "في صحيفة هآرتس بتاريخ ١٤ أيار ١٩٩٩ .

دراسة ٣

الأمركة تجتاح المجتمع الاسرائيلي

د . محمد حمزة ، الفنلكشتانية تجتاح إسرائيل، مركز مقدس، المركز القومي الفلسطيني للدراسات الاستراتيجية والأمنية، أبريل ١٩٩٩

قراءة وعرض : بيسان عدوان

شهدت انتخابات ١٩٩٩ فى اسرائيل ظواهر عديدة ، تسترعى الاهتمام وتستوجب الدراسة ، ومن أبرز هذه الظواهر "الامركة، تأثير الخبراء الأمريكيين ، الاستقطاب الطائفى وتعاظم الثقل النوعى لليهود الشرقيين " والتى من شأنها أن تحدث فى اسرائيل تحويرات عميقة وربما بنيوية .

وقد جاء كتاب د . محمد حمزة المعنون بالفنكلشتانية تجتاح اسرائيل ، ليدلل على ظاهرة الأمركة وتأثير الخبراء الامريكيين فى الانتخابات الاسرائيلية ، وقد اعتمدت دراسته منهجا تتنزل فيه هذه الرؤية فى الاطار السياسى / السيوسيولوجى لعملية " الامركة" الزاحفة على المجتمع السياسى فى اسرائيل بداوفعها وكوابحها . وبحدودها الانتقائية دون النسق الرائج الذى سطع النظر الى العلاقات الامريكية - الاسرائيلية المركبة والمتداخلة بأبعادها المتعددة.

ربما كان من الضرورى البدء فى التمييز ما بين الامركة الزاحفة على الحياة السياسية فى اسرائيل وبين "التماثل" الثقافى السياسى فى اسرائيل مع الحضارة الغربية (الاوروبية غير المتأمركة) ، فبالرغم من حرص النخبة الاشكنازية المهيمنة فى اسرائيل منذ تأسيسها على تمثل النموذج الاوروبى الثقافى مع المحافظة على الطابع الايديولوجى الصهيونى والدينى والقومى للحياة الحزبية حيث دمجت الاغلبية التى تشكل اكثر من ٦٠٪ من سكان اسرائيل ذوى الاصول الشرقية "السفارديم" فى هذا النسق ، وفرضت هيمنتها شبه الكاملة على المجتمع السياسى (الدولة - الحكومة - الاحزاب) بينما تعانى الاشكال المجتمعية من الانقسام والانحياز لجذور الثقافة الاصلية (العائلة - المدارس - الجامعات - وسائل الانتاج الثقافى - المؤسسة الدينية).

وبالرغم من التحول السياسى الذى جعل من الولايات المتحدة حليفا استراتيجيا على حساب الغرب، فإن الدراسات الاسرائيلية وخاصة فى الحقل الثقافى السيوسيولوجى لم تلحظ وجود تأثير فورى ومباشر يعكس وطأة وثقل هذا التحالف مع أمريكا وسرعة تمثل اسرائيل على مستوى (المجتمع السياسى والمدنى) للنموذج الامريكى السياسى والثقافى ، وعليه يجب استخدام اصطلاح "التماثل" أو حتى الامركة بقدر كبير من التحفظ ، حيث يضم المصطلح توليفة واسعة من عناصر لا يمكن لاسرائيل أن تقدم على التماثل معها جميعا ، لأن ذلك يضم فى جوهره خطرا وجوديا على هوية اسرائيل وأمنها الاجتماعى وتوازنها السياسى . حيث تتضمن الامركة ، كنموذج اقرار ولو نظريا لحقوق مواطنه متساوية لجميع السكان بصرف النظر عن اللون والأصل والجنس والمعتقد . ويذكر موردخاى نيسان ، المحاضر فى الجامعة العبرية ، نصا عام ١٩٩٢ مفاده " أن النموذج الامريكى لدمج السود فى جميع مجالات المجتمع اذا طبق فى اسرائيل تجاه العرب فإن الطابع الانسانى للدولة سيتخذ بذلك شكلا ثنائى القومية، وسيهتز الامن .. ولن يمضى وقت طويل حتى يفقد اليهود الاحساس بأنهم يعيشون على أرضهم وفى دولتهم " .

ويردف د . محمد حمزة، العوامل الاخرى الموضوعية التى تحفز المجتمع الاسرائيلى (السياسى والمدنى) على التماهى مع النموذج الامريكى دون التماثل الكلى، فى

عدة عناصر من أبرزها هيمنة الامركة ذاتها على الجيل الثالث (ثورة المعلومات - العولمة) فالمجتمع الاسرائيلي ، بحكم خصوصية علاقته بأمريكا هو - على الاقل من وجهه النظر الافتراضية - أكثر استجابة للتأمرك من غيره من مجتمعات العالم الثالث .

ومن أهم دوافع المجتمع السياسي الاسرائيلي للتماهي مع النموذج الامريكي، الأزمة الذاتية للمجتمع الاسرائيلي السياسي نفسه . فقد عقد مؤتمر في معهد سبينوزا في ديسمبر ١٩٨٦ وكان لخبراء اسرائيليين في علم الاجتماع والاجتماع السياسي والقانون والتاريخ والطب النفسي وقد تركزت الابحاث على موضوع النزاعات السياسية الداخلية. فقد ذكر البروفيسور أريك كوهين " أن الغطاء الليبرالي للديمقراطية الاسرائيلية آخذ في الضعف" ويذكر يحزقتيل درور " أن المجتمع الاسرائيلي يمر بطريق مسدود ، ولا يستطيع حل مشاكله ، والصهيونية لا تنجح في أن تخلق في البلاد كتلة بشرية حاسمة ذات وجود مضمون على المدى البعيد " .

وهذه الازمة هي واحدة من أهم - إن لم تكن الاهم - العوامل التي افسحت المجال أمام اختراق النموذج الامريكي لهذا المجتمع .وقد تجلى هذا الاختراق في مبادئ جديدة اتاحت لها مكان بدلا من الايديولوجية الصهيونية الصارمة مثل " الزعيم الفرد (الكاريزمة) بدلا من الحزب ، اختفاء صورة وزراء الحكومة وظهور طاقم من المستشارين " ومن هذا الرحم تولدت ظاهرة بيبي نتنياهو في عام ١٩٩٦.

ويؤكد محمد حمزة ان الصعود الهائل لنتنياهو الى قمة الهرم السياسي في اسرائيل عام ١٩٩٦ ، لم يكن بسبب رجحان الكفة لقوى اليمين الاسرائيلي في موازين القوى الداخلية ، ولم يكن بسبب تفجر أزمة الامن والصاقها بشوب العملية السياسية ، وهناك عوامل اخرى ، هيأت المناخ السياسي للتأمرك وهي استقبال مستشارين امريكيين يختلفون في مداركهم الفعلية وأساليب ادارتهم لدفة الحكم . وكان نتنياهو بذلك المنتج المقطر لهذه الحالة باستعانتة بالمستشار الامريكي ، أرثر فنلكشتاين لادارة حملته الانتخابية .

هل كان أرثر فنكلشتاين البوابة الرئيسة لحالة الامركة في المجتمع الاسرائيلي ؟ . ..

يؤكد المؤلف أن هناك عوامل (سياسية اقتصادية ، اعلامية) كانت البداية للأمركة وأن أرثر ساهم في تكريسها وتعزيز وجودها في الحياة السياسية، فيذكر انه على الصعيد الاقتصادي كانت عملية لبرلة الاقتصاد الاسرائيلي قبل حوالي عقدين من الزمن حيث تداعى خلالها بروز الدور الفاعل لرأسماليين للتأثير في الحياة السياسية (تمويل الانتخابات، الوساطة لهندسة التحالفات والائتلافات بين الاحزاب) وأيضا دور القابلة الذي لعبته الماكينة الاعلامية في اسرائيل لتوليد الانموذج الاميركي ، والتأثير المتزايد على نفوذ وشعبية الزعماء السياسيين ، أيضا لا يمكن تجاهل دور اللوبي الصهيوني في أمريكا وتأثيره على السياسة الاسرائيلية الداخلية، فقد زاد حجم تأثيره عما كان مرسوما له في حكم بن جوريون لضبط العلاقة بين مركزية اسرائيل وتبعية الحركة الصهيونية العالمية لها . وينعكس دور الجناح اليميني للوبي الصهيوني الامريكي في دوره الاساسي في تصنيع وتسويق نتنياهو الذي سيمثل في السياسة الاسرائيلية دور ملك اسرائيل باسلوب الكاوبوي الامريكي المودرن ، فقد ساهم نادي المليونيرات الامريكي في تسديد مديونية تكتل الليكود ، وإعادة ترميم وضعه الداخلي وهندسة الائتلاف اليميني الواسع ، وتمويل الحملة الاعلامية لنتنياهو وتغطية مصاريف خبير الحملة الانتخابية فنلكشتاين حيث مثل في السياسة الاسرائيلية طيلة فترة حكومة نتنياهو ، تغلغل النموذج الامريكي في المجتمع السياسي لاسرائيل .

في الفترة التي اعتلى فيها نتنياهو سدة الحكم ، كان تجسيدا فجاً للظاهرة الامريكية ، حيث الفردانية في واحدة من أوضح صورها ، الديماجوجية والخطاب السياسي الشعبوي، وأولوية الاعلام والدعاية وتشويه الخصوم ، وتهميش الوزراء والاعتماد على أطقم من المستشارين أغلبهم يهودا متأمركين : دوري جولد ، داني نافيه ، ديفيد بار ايلان ، ولكن ظل المقعد الامامي للمتخصص فنلكشتاين . فقد تفرغ في المرحلة الاولى من صعود نتنياهو لرسم صورة لهذا الزعيم في اوساط اليمين والاصوات المترددة العائمة وتشويه خصوم نتنياهو ، وقد ذكرت صحيفة هآرتس ان فنلكشتاين ، هو الذي يقف وراء اسلوب الكذب العلني الذي يتبناه رئيس الوزراء ، ومن الامثلة الواضحة تشويه ديفيد ليفي. ولم تقتصر بصمات فنلكشتاين على الحملة الانتخابية فحسب ، فيؤكد د . حمزة على بصمات الخبير في إدارة الحملات الانتخابية في ثلاثة اتجاهات في السياسة الاسرائيلية الداخلية بمكائدها ودسائسها وفي توجيه السياسة الاقليمية والخارجية لاسرائيل وأهم اتجاه هو دوره في الاتكاء على الوضع الاسرائيلي للتأثير على المجتمع السياسي الامريكي وفي استغلال الجناح اليميني المحافظ في اللوبي الصهيوني في أمريكا للتأثير على توازن المعادلة السياسية الامريكية

وخاصة في البيت الابيض وبين الاغلبية المعارضة في الكونجرس الامريكي ، كذلك في الازمات الكبرى التي أحدثها نتنياهو ، مثل معركة فتح النفق تحت المسجد الاقصى، ومصادرة أراضي جبل أبو غنيم، والاتفاق حول اعادة الانتشار في الخليل .
وعندما تصاعدت الخسائر الاسرائيلية في الشريط الحدودي في الجنوب اللبناني ذكر عمير أرون في هآرتس ان الفشل المستمر في لبنان يمكن ان ينسب لنتنياهو ، فقد ازدادت نسبة الاصابات الى نسبة عالية ومهلكة كل ثلاث أيام ولكن لم يكن من بين القتلى شخص باسم أرثر فنكلشتاين ".
ويؤكد من خلال دراسته أن زبون فنكلشتاين لم يكن نتنياهو وحده انما حزب الليكود نفسه الذي حوله النموذج الامريكي الى اطار فضفاض تقبع الايديولوجية في الزاوية المظلمة من ذاكرته التاريخية فعندما اضطر الليكود لخوض انتخابات البلدية اضطر هو الآخر لاستدعاء فنكلشتاين لمساعدة الميجر جنرال احتياط دورون روبين مرشح الليكود لانتخابات بلدية تل أبيب لما تشكله هذ البلدية من وزن وثقل في معادلة القوى وموازينها الداخلية .
التحالف الذي نشأ لاحقا بين فنكلشتاين ونتنياهو اضاف بعدا جديدا لعملية لعب الزعامة الاسرائيلية على ورقة التناقضات الامريكية الداخلية وتجلى ذلك رغم مناورات رئيس الوزراء في حزم حقائبه الى واي بلانتشين حيث أعتقد في البداية مع فنكلشتاين انه يمكن تحويل هذه الزيارة الى نزهة بسبب انشغال كلينتون في فضيحته ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن وتم التوقيع على واي ريفر ، وتفاقمت ازمة نتنياهو في تطبيق ما يخصه من استحقاقات ومع تصدع الائتلاف الحكومي بدأ فنكلشتاين يفكر في تقديم موعد الانتخابات في محاولة لتفادي السيناريو الأسوأ.
وكلما أوغلت المعركة الانتخابية في تقدمها كلما تعاظم دور فنكلشتاين داخل الليكود وتعممت ظاهرة الفنكلشتانية في الاحزاب الاسرائيلية الكبرى المنافسة !!
قرر أمنون شاحاك خوض الانتخابات في حزب وسطي جديد ، فاستدعى نتنياهو مستشاره الامريكي ، فبدأ في فرض اسلوبه الامريكي وركز الهجوم على ايهود باراك وليس شاحاك لان فرصة الاول في منافسة نتنياهو اكبر والهجوم على الثاني هدر وتبديد للذخيرة الدعائية، ثم عندما ترأس حزب الوسط اسحق موردخاي ، فضح فنكلشتاين مهاجمة ديفيد ليفي وتجلت خطته الاعلامية في الشعارات التي كان يرفعها "باراك يتنازل ... نتنياهو يحافظ و "فقط نتنياهو" ، ثم "نتنياهو زعيم قوي لدولة قوية" "واستخدم اساليب تشويه السمعة مثلما حدث لايهود باراك عندما اتهمه وزير العدل الذي يترأس الطاقم الانتخابي لنتنياهو تساحي هانجفي ، بأنه هرب ، وترك خلفه جنوده بين قتيل وجريح أثناء إحدى التدريبات على تنفيذ عملية خاصة، فترددت عبارات وشعارات مثل "إيهود براح" بدلا من إيهود باراك" لان براح تعني بالعبرية "ايهود هرب" .
ولكن الذي يؤكد لنا أن المجتمع الاسرائيلي في تماهي مع النموذج الامريكي ولا يتماثل معه ، حيث التشظي السياسي الذي ظهر على الساحة السياسية الاسرائيلية على العكس مما يحدث في امريكا الثنائية القطبية بين الحزب الجمهوري والحزب الديمقراطي .
فيظهر على الساحة الاسرائيلية ٣٣ حزبا تخوض الانتخابات على العكس من انتخابات ١٩٩٦ حيث وجد ٢٢ حزبا على الساحة السياسية وتفيد هذه الظاهرة التي يدلل بها محمد حمزة على أن الامركة ذات منحى انتقائي يتماهي ولا يتماثل بشكل اطلاقي ، ويؤكد المؤلف ان هذه الاحزاب كلها لا تمثل تيارا سياسيا وأيديولوجيا متمايزا أو مستقلا ، وأن هناك اعتبارات اخرى شخصية واقتصادية وغيرها تقف وراء هذه الظاهرة .
بالرغم من معارضة حزب العمل لاستخدام المستشارين الامريكيين ، استدعى بدوره فريقا امريكيا من كبار المستشارين وخبراء الحملات الانتخابية لمنازلة نتنياهو ومبارزته بذات الاسلحة التي استجلبها من الترسانة الامريكية . وقد تلكأ هذا الحزب في البداية بالاستعانة بطاقم خبراء، ولكن تلكؤه هذا كان نتيجة الثقة المتورمة التي بداخله وقد يكون لباراك الفضل في هذه الاستعانة بسبب تشوش صورته كزعيم وعدم قدرته السياسية كما هو الحال عسكريا ، وجاءت الاستعانة عن طريق اقتراح وزير الحكومة البريطانية اليهودي، بينو مندلسون بكل من ستانلي جرينبرج وجيمس كارفيل وروبرت شرم . حيث تمت الاستعانة بهم من قبل، من جهة رئيس الوزراء البريطاني ، توني بلير ، وكذلك الرئيس بيل كلينتون في انتخابات ١٩٩٢ .
وأهم ملاحظة للفريق هي تقليل اجتماعات باراك مع عرفات مقارنة مع نتنياهو ، والرد بكل قوة على اتهامات الليكود ولكن مع العمل بشكل مواز على تحويل المعركة الى القضايا الاجتماعية في اسرائيل واختارت تلك الهيئة الاستشارية لباراك أن تبدأ حملتها برسالة ايجابية في ملصق يحمل شعار "إسرائيل تنتظر التغيير" يتصدره صورة باراك على خلفية علم اسرائيل . وقام فريق باراك بتكتيك خوض الانتخابات في اطار

تنظيمى جبهوى يتسع لقوى أخرى غير حزب العمل الذى سعى لتنظيم حركة اسرائيل آحاد (اسرائيل واحدة) وتحت شعار (باراك يوحد ونتنياهو يفرق) وبالرغم من ذلك كان المردود متواضع لهذه الاستراتيجية وقد تمخض عن ضم قيادة حزب جيشر من ناحية وحركة ميماد الدينية من ناحية أخرى . بينما ظلت كتلة حزب الوسط خارج الجبهة ، ولكن راهن فريق باراك على انضمامها فى الوقت الراهن وقد تم بالفعل .

ولم تقتصر هذه الظاهرة " الاستعانة بالامريكيين" على كل من حزب العمل وحزب الليكود ، بل حاول حزب الوسط الاستعانة بخبراء امريكان ولكن انقطعت تلك المحاولة بسبب مشاكل تمويل ومصاريف هؤلاء الخبراء وعدم الاتفاق الكامل بين القادة الاربعة على هذا الموضوع .

وفى اعتقاد د . محمد حمزة ان مشكلة حزب الوسط لا تكمن فى المشاكل المالية فحسب ولكن فى استمراريته حيث لا يوجد لهذا الحزب ايديولوجية أو برنامج أو مواقف تضعه فى موقع الوسط على خارطة الاحزاب السياسية ، خاصة فى ظل الالتباس الحاصل فى اسرائيل بسبب تبنى حزب العمل سياسة اقتصادية وسطية وتبنى الليكود سياسة وسطية .

هل الاستشارة الامريكية اقتصرت على ادارة وتوجيه المعركة الانتخابية الاسرائيلية ؟ ...

وصل الى اسرائيل الخبير الامريكى اندرو ايفا ، فى أول ديسمبر ١٩٩٨، بناء على دعوة خاصة من منظمة تسمى جمعية الطوارئ لمساعدة الاسرائيليين المعرضين للخطر ، ولها علاقة وثيقة مع الحركات السرية المتطرفة فى المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية . ويعد هذا الخبير من أهم الخبراء فى شؤون حرب العصابات ، حيث شارك كمرشد للمجاهدين الافغان ، ومستشار لزعماء موزامبيق ، ثم وضع خبرته لمساعدة البوسنيين . وامضى فى اسرائيل حوالى ثلاثة اسابيع تجول فى اثنائها فى المستوطنات وتفحص الاوضاع الامنية لهم والقى محاضرات ومقالات لليهود .

الغريب أنه عند مغادرته أعد موردخاى سونز مسؤول هذه الجمعية ، تقريرا يستند الى توصيات الخبير ايفا وعمم هذا التقرير على المستوطنات وتضمن :(١) الدعوة الى توفير ميزانيات أمنية مستقلة للمستوطنات لتكون قادرة على الدفاع الذاتى عن أمنها عبر نظام يشمل استخدام الصواريخ المضادة للدبابات وراجمات الصواريخ بالاضافة الى معلومات اخرى فى التنظيمات السرية للمستوطنين ومدى جاهزيتهم ومستوى تدريبهم وتسليحهم واستعدادهم لقتال الفلسطينيين ، وأعطى أسماء ومواصفات الاسلحة المطلوبة وحث على شرائها .

ويتوقع اتساع حركة استدعاء الخبراء الامريكيين من فصيلة اندرو ايفا . ومن شأن ذلك ان يعيد انتاج سيناريوهات مشابهة لافغانستان ، البوسنة وكوسوفو.

إن الامركة تمكنت من اختراق أغلب خطوط الدفاع التى كان يتحصن خلفها المجتمع السياسى فى اسرائيل (المنظومة الايديولوجية لشعب الله المختار - أرض اسرائيل الكبرى ، التفوق الروحانى الاخلاقى على الاغيار)

ويذكر المؤلف ان تلك الظاهرة تعززت فى المجتمع الاسرائيلى نتيجة سيادة البرجماتية والحراك السياسى للاحزاب .فقد تلاشت تقريبا التخوم الفاصلة بينها وتماهت شخصياتها المتميزة وتناسخت البرامج ، والمفاضلة انحصرت فحسب فى المواصفات الخاصة لزعماء الاحزاب ، وعلى الجبهة الاقتصادية بدأت خطوت الدفاع المستحكمة لرأسمالية الدولة فى التهاوى أمام ضغط الهجمات الشرسة للبرلة السوق ، الخصخصة ، والتى من تداعياتها تزايد الوزن النسبى للرأسمالية ، وتدخلهم المتزايد فى صلب العملية السياسية والحزبية، والنسيج الاجتماعى من جهته يعانى من تفكك متزايد ومن تمزقات ذات طابع عرقى وثقافى وقومى ، وهذه كلها سهلت انزلاق الامركة وتشربها وتغلغلها الى الحد الذى لا يمكن التراجع فيه أو الارتداء عنه .

ان دراسة واحدة ليس بمقدورها أن تنهض بفهم وتحليل الظاهرة الفنكلشتانية، أى الامركة فى المجتمع الاسرائيلى ومدى تأثير ذلك على اسرائيل سياسيا اقتصاديا ، اجتماعيا ، عسكريا فثمة ما يستدعى النظر على هذه العلاقة المتداخلة والمركبة ، الزاحفة بإلحاح على المجتمع السياسى الاسرائيلى وأثره فى إدارة الصراع العربى - الاسرائيلى وعلى العملية السلمية.

وأخيرا ... هل باراك سيمثل نهاية العصر الاشكنازى فى اسرائيل، وبداية ضم اسرائيل لتصبح الولاية الثالثة والخمسين للولايات المتحدة الامريكية؟!!

ما بعد الصهيونية واليوتوبيا الصهيونية

دراسة ٤

* دورية : News From Within (اخبار من الداخل)
* العدد : Vol Xiii . noi .Jan 1998
* الكاتب : د . يراش كوفير .. Dr Yerach Gover

• اعداد : اكرم الفى

هناك جدال واسع فى اوساط النخبة الثقافية الاسرائيلية حول بلوغ اسرائيل مرحلة " مابعد الصهيونية " من عدمة . هذه الاطروحة من الصعب قياس مدى قوة تأثير التيارات المؤيدة أو المعارضة لها داخل الحياة الثقافية الإسرائيلية ، أو حتى موقف بعض التيارات الثقافية منها.

ان جميع من يدعون لما يسمى بـ" مابعد الصهيونية" يعتمدون على الوثائق الحكومية التى تم الافراج عنها مؤخرا ، الى جانب القيام بمراجعة اكاديمية للايديولوجية الصهيونية وللممارسات السياسية لدولة اسرائيل .

وفي هذا السياق يرى البعض ان " مابعد الصهيونية" هي مرحلة بدأت بالفعل الايديولوجية الصهيونية تفقد فيها نفوذها وهيمنتها على الثقافة الاسرائيلية وعلى الممارسات السياسية للدولة الاسرائيلية وهو ما يجعل "دولة اسرائيل " نفسها محل للنقد.

بل انه يتم طرح "الفلسطينيين" في سياق هذا المشروع ، في اطار طموح اكبر لمروجية للوصول الى ما هو ابعد من مجرد "النقد الذاتي" .

بل ان البعض يرى اهمية" مابعد الصهيونية" كاختبار حقيقي لقوة الايديولوجية الصهيونية فى كلا من الخطاب السياسى والثقافى الاسرائيلى.

ان هذا كله يطرح علينا سؤال هو هل ان "مابعد الصهيونية" هى دعوة سياسية تقوم على اطار عالمى - لا يستبعد الاخر - ام انها تقوم مثلها مثل الصهيونية على استبعاد الاخر؟!

هنا نؤكد ان " مابعد الصهيونية" نبعت من نفس الارضية - الصهيونية - التى تدعو لنقدها!

التصور حول الحياة اليوتوبية

اظهرت فى احدى دراساتى السابقة ان الادب العبرى الاسرائيلى يعطينا جوهر نقد الخطاب السياسى الاسرائيلى ، حيث يحتوى الاول على مثالية روحانية عالية تتجسد فى اشخاصه التاريخيين الذى يحيون حياة مثالية ، كما ان الادب يقوم بابراز الرمز والاسطورة للحياة المثالية ، كما ان تقديم الثقافة الاسرائيلية لذاتها على انها قوة تاريخية مستقلة جعلها موضوع لنقد للايديولوجية الصهيونية .

يدلل الثالوث : الصهيونية ، الهوكولوكست ، ادب العلاقة بين العرب واليهود على طريقة التفكير الاسرائيلى .

وهذه العناصر الثلاثة هى نتاج تفاعلات اعمق ، واكثر عمومية هى تفاعلات بين الانا والاخر ، بين الدولة والمجتمع ، وبين الفاعل والتاريخ .

فى هذا السياق انبثق الخطاب الصهيونى بالتوازى مع لغة رمزية متميزة . وهو ما يظهر فى النصوص الادبية العبرية ، التى توازى ظهورها مع الحاجة لتقديم اسرائيل كمثاليه حية اى ان " صهيون موجود بالفعل "وليس مجرد حلم او تمنى ، هذه الحاجة التى تطلبت مرجعية واضحة وثابتة تدفع نحو تكوين ايديولوجى معقد .

ايديولوجية تستطيع دعم الافكار الاستبعادية وافكار الاستيلاء (الاستعمار) بل اكثر من ذلك ايديولوجية قادرة على احياء قضية "الهوية الخاصة" ، وهذه القضية الاخيرة وهى عدم وجود هوية راسخة كانت هى السبب الرئيسى لجعل السياسات الاسرائيلية هى بالاساس سياسات هوية اى ان قضيتها الاساسية هى خلق الهوية المشتركة .

هذه القضية هى التى كانت وراء استخدام النص الادبى الاسرائيلى التقليدى للمواد التاريخية بكثرة، حيث يضع الكاتب اليهودي الاسرائيلى الحاضر دائما فى اطار - تاريخى بل انه يعيد تأسيس الافراد فى الحاضر كوكلاء لرسالة تاريخية ، حيث ان الفرد فى النص الادبى يقوم بتنفيذ مشروع تاريخى ليس هو نفسه مصدره أو اساسه . فالمؤلف الاسرائيلى العبرى يجعل الامر التاريخى المزعوم اساس للراوية .

وبالتالى يضع الاولويات الاخلاقية المعنوية كاطار ومرجعية بسلسلة من القمع والمقاومة ، لتصل القصة فى نهايتها إلى الحياة المثالية وهى - بالنسبة له - "اسرائيل الصهيونية".

هذا الدمج بين النهايات وهى "اسرائيل الصهيونية" والتجربة والخبرة اليهودية يبرز منظور ديالكتيكى ولكن ديالكتيك غير كامل ، هذا الديالكتيك الذى ينتج كما ابرز هيجل . تعصب دينى وليس تنوير.

ان هذا الديالكتيك الزائف يمكننا ان نراه بوضوح فى روايةA .B. Yahoshva الكاتب "مسترمانى (١٩٩٠).

وهي رواية تصور قصة ستة اجيال من عائلة "، ترقد في سردها من الوقت الحالي الى وقت احتلال المانيا لكريت واحتلال بريطانيا لفلسطين الى القرن التاسع عشر في بولندا واليونان ، وهذه الحركة السردية عبر الزمن تتم من خلال محادثات (تمثل مركز الرواية) حيث انه لكل محادثة مقدمة تتمثل في السيرة الذاتية للمتحدثين وتعليق يقدمه عنصر خارجي هو الرواي.
يتم اول حوار في الوقت الحاضر في احد الكيبوتزات المزدهرة في صحراء النقب الاسرائيلية .. وهو حوار شخصي تافه وعادي بين بنت ووالدتها .
الا ان هذا الحوار يتم في ظروف تاريخية خاصة وهي ورطة الغزو العسكري الاسرائيلي للبنان في ١٩٨٢ . وينتهي هذا السرد باستعراض الانجازات الصهيونية عبر اجيال من الابطال الذين ضحوا بانفسهم في المعارك المختلفة .
اما اخر حوارات الرواية فتتم في ١٨٤٨ في حانة في اثينا اي قبل خمس اجيال من العائلة .
ولد مستر "الياهو ماني" الجد الاول وصاحب اخر حوار في الرواية في ١٧٤٠ في شمال فارس (إيران) مما يدلنا على ان تاريخ عائلة "ماني" يمتد الى مائتي وخمسين عاما ، ويمتد جغرافيا من وسط اسيا وعبر اوربا الغربية وصولا لاورشليم، وقد شاركت كل اجيال العائلة في التحول من ما قبل التاريخ (الاسرائيلي) الى التاريخ الحديث لاسرائيل .
وهو ما يجعل (هدف) غاية حياتهم (سيرة العائلة) من حلفتها الاولى تحقيق الانجاز النهائي للصهيونية والمتمثل في العدالة الاخلاقية .
مما يجعل يوتوبيا "نهاية التاريخ" أو تحقيق الحلم الصهيوني هو الدافع الاساس لعائلة ماني للفعل السياسي وايضا نموذجها السياسي والاخلاقي.
هكذا يتحول التاريخ في هذه الراوية الى ارضية لتحقيق الحتمية - حتمية التقدم والوصول للعدالة الاخلاقية الحقيقة في ارض القومية اليهودية.
وبالتالي - وفق هذا التصور - فان التجربة أو الممارسات الحالية هي اشياء محتملة ومتقبله بل ايجابيه في توقعاتها المستقبلية . مما يعني ان القمع اليهودي الحالي ماهو الا مظهر اخر نحو الوصول لنهاية التاريخ .
من ناحية اخرى فان التاريخ القومي الذي يظهر في الادب العبري التقليدي وفي القصص السردية حول الهولوكست يعطينا تصور واضح حول دلالات هذا الادب (الادب العبري) وحول البيئة الثقافية التي نشأ فيها . بل انه يعطينا تصور حول فهم مغزى الايديولوجية الصهيونية .
فإن الهولوكست والتاريخ القومي اليهودي المنتشرين في الخطاب الثقافي اليوم يجب ان نراهم كنتاج اكثر منهم مصادر لاثبات الصهيونية، وذلك عبر التصورات حول "الحياة اليوتوبية" تلك الاطروحة التي اصبحت لاسباب تاريخية مهيمنة على غالبية نصوص الادب العبري.
فالنصوص الادبية تعيد انتاج العلاقة بين المجتمع الاسرائيلي وذاته، وبتاريخه ومن هذا المنطلق تخلق اشخاص خاضعين لتنفيذ الحلم المثالي، اي مجرد منفذين "للارادة العامة لإنجاز المجتمع المثالي فهم ليسوا افراد فاعلين ، يتفاعلون مع العالم عبر اراداتهم الحرة، بل هناك جبرية ما ترسم ادوارهم في الحياة من خلال موقعهم لتحقيق "المجتمع المثالي" في رواية B.A. Yehoshua "الاخيرة" رحلة لنهاية الفية " (١٩٩٧) .
يستنتج القارئ ان في نهاية الالفية الاولى، انتصرت الروح التنويرية لاوربا الغربية علي الثقافة الاسلامية الرجعية ، تلك الثقافة التي كان يعيش في اطارها حوالي ٨٥٪ من يهود العالم في ذلك الوقت.
فعلى الرغم من أن القضية التي تعالجها الراوية هي قضية الجمع بين زوجين وهو ما يمثل شأنه يهودي خاص، الا انها من خلال الخلفية التاريخية الضخمة ، تحاول ان ترسم صورة تاريخية واقعية لحياة اليهود في نهاية القرن العاشر ميلاديا في كلا من شمال افريقيا وشمال اوربا الغربية.
حيث تدور احداث الرواية في سنة ٩٩٩ ميلاديا ، حيث يقوم التاجر اليهودي العربي "ابن العطار" برحلة بحرية قادما من طنجة تلك المدينة العربية المزدهرة الى باريس "المقفرة والباردة والمنعزلة "حينذاك وسبب هذه الرحلة هو تقديم ابن العطار نفسه لمحكمة "الأخبار" في باريس بسبب قيامه بالجمع بين إمراتين في نفس الوقت ، وهو ما يمثل مخالفة للمرسوم اليهودي الاشكنازي الذي يحرم الجمع بين زوجتين (كما في المسيحية).
ويقوم "ابن العطار" بهذه الرحلة ليثبت برأته واخلاقيته من تلك الدعوي التي قدمتها ضدة زوجه ابن اخيه ذات الاصل الالماني .
يصطحب " ابن العطار " في رحلته كلا من زوجتيه وحاخام وابنه الصغير شريكه المسلم ، هو قائد السفينة في الوقت نفسه فضلا عن البحارة وهم مسلمين ايضا .
هكذا تنغمس السفينة لمدة اربعين يوما وليلة (هي مدة الرحلة) في طقوس اسلامية .. وجو غير شرعي ملئ باللهو والابهة المنتشرين في اوساط المثقفين والاغنياء المسلمين.
وهو ما لم يرض الحاخام ولكن في اطار ولائه لابن العطار حيث كان هو المحامي الذي استأجره ابن العطار ليدافع عنه امام محكمة "الاحبار" فانه يقنعه بان يسعى ليحاكم امام محكمة في المانيا (مكانه الاقامة الاصلي للمدعية) ولكنها كانت محكمة اصعب واعلنت ان جمع ابن العطار لزوجين هو غير قانوني وغير اخلاقي، ولكن في طريق عودتهم لباريس مرة اخرى ، مرضت زوجة ابن العطار الثانية وماتت في "فيردان" .
وقد قام طبيب يهودي - تحول للمسيحية - بعلاجها ولكنه لم يستطع ان ينقذ حياتها . وعلى الرغم من كون هذا الطبيب . غير عليم سواء بمهنته او بدينه الجديد ، الا انه يتنبأ في الرواية بوقوع مذابح لليهود قريبة ، بل ايضا يتنبأ او يتوقع حدوث الهولوكوست في القرن العشرين .
وبينما تلوح فكرة اعادة توحيد يهود اوربا وشمال افريقيا في نهاية القصة ورغم تعاطف الكاتب مع ابن العطار، الا انه يتركه يهلك هو واسرته في نهايتها .
ودلالة هذه النهاية يمكننا فهمها من فكرة "Yehosha" الخاصة بالضرورة التاريخية لتحويل اليهود العرب والاسبان الى غربيين (Westenization) لو ارادوا ان ينضموا للمشروع الصهيوني ، مما يعطي تبرير لهيمنة الاشكنيازيم بل يجعله امر حتمي .
كذلك الفكرة الخاصة بان اي محاولة للشعب اليهودي للاندماج في المجتمعات الاخرى ستجعله يعاني من الاضطهاد لالفية اخرى في منفاه.

* دلالة صلاح "العربي الصالح" :
ان ظهور شخصية "العربي الصالح" ليست مجرد خيال مبدع او حقيقة قصصيه بل هي نتاج لتفاعلات وسيطة ومعقدة تتم في جميع جوانب الثقافة الاسرائيلية ، في نقطة في تطور هذه الثقافة .
فان "العربي الصالح" هو تجسيد لتشابك المصالح والهوية وللتنظيم الاجتماعي في إطار مشروع تاريخي يعرف نفسه من خلال العداء الاصيل والصارم يتوازى مع الخطوط العنصرية.
و"العرب" هم رمز العداء لهذا المشروع العنصري. بل ان التجربة اليهودية ذاتها مصوره بدقة من خلال قصة تاريخية تؤكد وتبرز الهوية على اساس تناقضها مع "الاخر".
في هذا السياق فان دلالة بروز "العربي الصالح" لا يمكن فهمها الا عبر فهم وتفسير تناقضات الواقع الاسرائيلي الحالي .
فكما نعلم فإن الثقافة تقدم اطار اخلاقي الى جانب الاجابات السياسية التي تؤكد من خلالها هيمنة فئة في المجتمع وجعل هذه الهيمنة مقبولة ومنظمة في اطار اطروحة يؤمن الجميع بها .
وهو ما تقوم به الثقافة بشكل اكثر تركيزا في اطار المشروع العنصري.
هذا الدور هو الذي يبرز الاهمية الجوهرية للادب في الثقافة العنصرية، دور خلق التماسك وخلق الاعتقاد بان حل المشاكل الاجتماعية سيتم من خلال العنصرية، الى جانب خلق "الاخر" ذلك المستثنى او المحروم من ممارسة الحكم (السلطة).
في هذا السياق ، كيف يمكننا فهم خلق "العربي الصالح" في الثقافة اليهودية الاسرائيلية ؟! على الرغم من قيام العمال الاسيويين بالاعمال المتدنية في الاقتصاد الاسرائيلي حاليا ، الا انه لازالت هناك نسبة كبيرة من العرب تقوم بهذه الاعمال ، فالطفل اليهودي يقابل العرب كبوابين أو عمال بناء او جامعي قمامة او كناسين أو عمال في محطة البنزين ، وغيرهم ممن يعملون في الاعمال التي لا تتطلب مهارات خاصة .
وهو ما يخلق حالة عدم تهديد من هذا العربي ، الى جانب وجود فراغ سياسي بالنسبة لتمثيلهم ، وهو ما يعطي دلالات حول " العرب" في المجتمع الاسرائيلي ، هذه الدلالات يجب اعطاءها تفسير وتبرير من خلال نفس الخطاب العنصري.
ومن هنا تم خلق ما يسمى "بالعربي الاستثنائي" ذلك العربي الذي يعمل لمصلحة المستهلك اليهودي، وهو في الخطاب مجرد انعكاس لليهودي الاسرائيلي وهو ما يظهر بشكل جلي في اي خطاب لاب او ام اسرائيليين لابنهم . فهم يقولون له " ليس كل العرب على نفس الشاكلة " او ان "هناك عرب .. وهناك عرب" وبالتالي فان هذا العربي الذي يعمل في اماكن العمل المختلفة .. هو ذلك "العربي الصالح" . لقد تحول هذا التمييز بين العرب الى خطاب سياسي، جوهره (ان هذا الفرد هو مختلف عن معظم "هم") اي ان هذا "العربي" مختلف عمن يشار اليهم على أنهم "عرب" . وبالتالي يتم الاشارة للمتطرفين او الارهابيين في الخطاب الثقافي والسياسي ب"هم" . مما يعني عدم وجود "عربي" كنموذج وحيد ، فهناك استثناء هو ذلك العامل "العربي الصالح" . من هنا فان "العربي الصالح" يعرف وفق وظيفته اي كونه يعمل في المجتمع الاسرائيلي اما العرب الاخرين فهم هؤلاء الغير قادرين على التطور الاخلاقي ، او ما يشار اليه بوضوح انه العربي ليس الا "وحش" (Monster) .

اي ان العربي اساسا هو "وحش أو "شاذ " ، انسان من المستحيل اصلاحه اخلاقيا .
هكذا في التحليل الاخير ، فان تحديد كون العربي " صالح" ١ ، "غير صالح" (وحش) هو نتيجة لعلاقته مع الاخر ، وليس لذاته " اي علاقته بنحن" ، وبالتالي هو مجرد كائن تتحدد هويته وفق علاقته بـ" نحن ولا يمكن ان يصبح جزء أو موضوع " لـ"نحن".
بناء على هذا التحليل نعود لرواية "رحلة لنهاية الغبة" ، حيث نجد ان قائد السفينة من المحيط عبر بحر السين لباريس هو ذلك القبطان المسلم . فهو يعمل كل ما في وسعه لينجح في مهمته الشاقة الا انه في النهاية يتضح لنا انه ليس لديه هو وبحارته اي قدرة عقلية لقيادة السفينة حيث يستخدمون اجسادهم فقط وليس عقولهم !
وهذا التمييز بين "العربي الصالح" غير المهم ، وذلك الوحش الخطير "العربي الحقيقي" يتم اعادة انتاجه بشكل دائم في الادب العبري الاسرائيلي .
* ان كل هذا يجب فهمه في اطار كون الصهيونية منذ نشأتها وفي جوانب هامه منها هي "ايديولوجية طبقية " تم صبغها باخلاق عنصرية مما خلق دمج بين الطبقة والعنصر في صور خطاب غامض للاستبعاد .
هذه النزعة التي تبرر الانقسامات الاجتماعية على اساس عدم اهلية "الاخر" اي باختصار ان العرب هم كائنات غير موثوق بهم اخلاقيا . و"هم" غير قادرين ان يصبحوا "نحن" ، ووفق هذا الخطاب يتم تبرير الغزو والقمع للاخر . وربط الاستبعاد بعدم اهلية "الاخر" .
* اننا يمكننا ان نتبين هذا من خلال التاريخ الذي يقدم في الادب العبري، وكيف لن هذا التاريخ ساهم بقوة في دعم المشروع الصهيوني العنصري ، هذا التاريخ الذي قدم "العربي" للقارئ اليهودي العبري الاسرائيلي على أنه اما غير مساو له اخلاقيا أو ان هناك جانب يهودي في بعضهم ، وذلك مع اعطائهم منحهم اي حقوق ثقافية او سياسية .
هكذا فان العربي يصبح اما خاوي اخلاقيا أو به بعض جوانب "اليهودي" وليس اكثر من هذا ، اي ان العرب يمكنهم فقط ان يصبحوا اما صالحين أو اشرار ولكن هذا التصنيف خاصة بالنسبة للحالة الاولى "حالة الصلاح" ليست نتيجة ممارسة اخلاقية بل نتيجة وضعه الوظيفي في المجتمع الاسرائيلي .
فالعربي الصالح اما خال أو ميت، اما العربي الشرير فهو متغطرس ، متطفل ، عاق ولحوح.
ان العربي "الصالح" هو كائن قلق ، متشبث بالمعصية ، غير واثق بنفسه ، متلهف لخدمة "اليهودي" ومدمر لذاته . بينما العربي الشرير خائن لاهله وانطوائي .
* الا ان العربي يمكنه ان يقلب المائدة ، اي ان يتحول من مجرد مستحق "للاحترام" الى مقياس له ، أو ان يؤكد وجود اخلاق ومثل عربية بدلا من الاخلاق اليهودية التي عليه ان يتكيف معها . وأن يتحول من "تابع" اخلاقي الى كائن له اخلاقه الخاصة به ان هذه الفجوة تعطينا بعد هام في نقد الادب العبري والوقوف على تناقضاته التي اساسها هي الثقافة اليهودية الاسرائيلية فعلينا ان ندرك عدم قدرة هذه الثقافة على استيعاب الثقافة العالمية ، حث ان الاولى تدعو للاولوية الاخلاقية للتجربة اليهودية.

◆ ترجمات عبرية ◆

التسوية السلمية

١

ملف العدد

شروط مسبقة لاقامة دولة فلسطينية

هآرتس ١٦/٧/١٩٩٩
بقلم: زئيف شيف

من الواضح أن الدولة الفلسطينية ستقوم، رغم أنه لم يرد في إتفاق أوسلو شئ صريح بهذا المعنى. وعلى إسرائيل أن تسعى لاتفاق سلام معها، يضع نهاية للنزاع بين الطرفين، اتفاق لا تتبعه مطالب أخرى.

قبل انتخاب ايهود باراك رئيسا لوزراء إسرائيل كان واضحا لطرفي النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني، وكذلك لكثيرين في المجتمع الدولي وفي الولايات المتحدة، ان الدولة الفلسطينية ستقوم بالتأكيد. تتبقى مسألة التوقيت، وبالطبع لو قامت مثل هذه الدولة بموافقة إسرائيل أو في اعقاب اعلان فلسطيني من جانب واحد (على النقيض من الاتفاقيات بين منظمة التحرير وإسرائيل وموافقة واشنطن) هل ستكون اقامتها مصحوبة بسفك الدماء؟ من مصلحة إسرائيل الحيوية أن يتم ذلك الأمر بدون مواجهة عسكرية، وأن تتحدد شروط اقامة الدولة الفلسطينية بموافقتها.

سوف يفاجأ الكثيرون عندما يتضح لهم أنه في قائمة الموضوعات التي تركها اتفاق أوسلو للمفاوضات حول التسوية النهائية لم يظهر موضوع (دولة فلسطينية) بل تضمن الاتفاق الموضوعات التالية: **مستقبل القدس ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومستقبل المستوطنات الإسرائيلية بالمناطق، والحدود التي ستفصل بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية والتسويات الأمنية والعلاقات والتعاون مع الدول المجاورة. ولم ينس المتفاوضون آنذاك موضوع الدولة، ولكن يبدو أنهم قد خشوا ذكره صراحة واكتفوا بالجملة التالية: (وكذلك أي موضوع آخر ترغب الأطراف في بحثه). وكان الزعماء والمعلقون من الشعبين يضيفون من حين لآخر إلى** هذه القائمة قضايا هامة. مثلا مشكلة المياه التي لم تدخل في القائمة الأولى. في تلك الأثناء لعبت المياه دورها، واحتلت قضية الدولة الفلسطينية المرتبة الأولى.

ترى النظرة الفلسطينية أنه على الأطراف أن يتفقوا أولا على اقامة دولة. وبعد ذلك فقط تبحث الدولتان القيود الأمنية وغيرها والتي ستأخذها دولة فلسطين على نفسها. وهذا تكتيك خطير سواء مبدئيا أو من ناحية ادارة المفاوضات من جانب إسرائيل. بعدما تقوم، ستصر الدولة الفلسطينية بالطبع على الا تتحمل أي قيد جاد. ولذلك يجب أن تتم المفاوضات بطريقة عكسية. أولا يجب تحديد شروط اقامة الدولة الفلسطينية، ومع قبول هذه الشروط المسبقة، والتي ستكون جزءا من الاتفاق، سيمكن الاتفاق معا على إقامة الدولة.

والقضية الاساسية بالنسبة لاغلب الإسرائيليين هي هل اقامة الدولة الفلسطينية ستنهي النزاع الدموي الطويل، أم أن الدولة الجديدة ستكون منصة قفز لمطالب جديدة ستجد إسرائيل صعوبة في الوفاء بها. إن الهدف الأساسي **لإسرائيل هو أن توقع الدولة الفلسطينية معها على اتفاق سلام، ويكون واضحا من بنوده أن الطرفين يضعان حدا للنزاع بينهما. ستحترم الدولة الفلسطينية الأراضي الاقليمية لإسرائيل، ولن تتدخل في شئونها الداخلية ولن تعمل على أن تضم اليها عرب إسرائيل والمواطنين الأردنيين من أصل فلسطيني. لن تعرض الدولة الفلسطينية مصادر المياه والثروات الطبيعية المشتركة للخطر وتعمل في هذا المجال، مثلما هو الحال في مجالات أخرى، بالتعاون**

الكامل مع إسرائيل. يوجد أيضا للفلسطينيين بالطبع أهداف مشروعة سوف يتطلعون أولا لأن تكون دولتهم ذات معنى، وألا تتكون من شرائح اقليمية منفصلة عن بعضها البعض، وأن تكون بالطبع ذات مساحة كبيرة قدر الامكان. وسوف تسعى من أجل الا تكون فى أراضيها جيوب لا تتبعها اقليميا، وألا يتواجد على أراضيها مواطنون اجانب مسلحون يتصرفون خارج القانون الفلسطينى. ستسعى الدولة الفلسطينية حتى لا تكون منفصلة عن الدول العربية وترغب فى السيطرة على معابرها الحدودية. وتتوقع أن تساعدها إسرائيل والمجتمع الدولى فى حل مشكلة اللاجئين.

سيكون من الخطأ بحث اقامة الدولة الفلسطينية منفردا عن الموضوعات الأخرى المتعلقة بالتسوية الدائمة. من المحظور أن يتقرر كل موضوع منفصل، كالمستوطنات مثلا، وبعد ذلك مشكلة اللاجئين، أو قضية الحدود. آن التعامل الشامل سيتيح للأطراف العثور على حلول شاملة. يمكن لطرف أن يتنازل فى موضوع معين وأن يحصل فى المقابل على تعويض فى موضوع آخر.

*** وضع الأردن:**

هناك مصلحة حيوية لإسرئيل لاشراك الأردن فى التسوية الدائمة. سيؤثر قيام الدولة الفلسطينية على المملكة الهاشمية فى كافة المجالات. الأمن والديموجرافيا والموارد الطبيعية مثل المياه. سيكون من الخطأ الموافقة على المطالب الفلسطينية لفصلها عن العملية. سيتحدد مصير الأردن لو مثلت السلطة الفلسطينية اللاجئين الفلسطينيين فى الأردن خلال المفاوضات مع إسرائيل. معنى ذلك، أن الحكومتين ستمثلان مواطنى الأردن، مثلما لن تمثل السلطة الفلسطينية العرب الإسرائيليين الذين اخرجوا من ديارهم فى حرب الاستقلال، لا يمكنها أيضا تمثيل الفلسطينيين بالأردن. لإسرائيل مصالح أمنية هامة فى الأردن. فالأردن تعتبر منطقة عازلة بالنسبة للأخطار القادمة من الشرق، ولإسرائيل مصلحة حيوية فى استقرارها. عليها أن تهتم بالا تمثل الدولة الفلسطينية خطرا على هذا الاستقرار. لن تشارك الأردن مباشرة فى المفاوضات الخاصة باقامة الدولة الفلسطينية ولكن على إسرائيل أن تهتم بالحفاظ على المصالح الأردنية وكأن الممثلين الأردنيين يجلسون فى حجرة المباحثات.

كل هذا سوف يؤثر على مواقف إسرائيل فى قضايا المفاوضات الأساسية: أى العلاقة السياسية فى المستقبل بين الأردن والفلسطينيين، وإعادة الانتشار الإسرائيلى فى البقاع، والتحكم فى المعابر الحدودية إلى الأردن، ومستقبل اللاجئين الفلسطينيين فى الأردن، والنظام الأمنى بين الكيانات الثلاثة: إسرائيل وفلسطين والأردن.

*** الترتيبات الأمنية:**

تعتبر الترتيبات الأمنية العمود الفقرى فى الشروط المتعلقة بإقامة الدولة الفلسطينية. وبدون ترتيبات أمنية فعالة وتحقيق التعاون بين إسرائيل والفلسطينيين فى هذا المجال، يجب على إسرائيل أن تعارض قيامها.

بعد اقامة الدولة الفلسطينية، سيؤدى الوضع الجديد إلى تقليص العمق الاستراتيجى لإسرائيل. ستكون الحدود الجديدة صعبة، وربما غير ممكنة للتصدى لهجوم عربى شامل ومفاجئ. والتطورات التكنولوجية فى مجال السلاح سوف تزيد من الأخطار. بعد انسحاب إسرائيل ستتراجع قوتها الرادعة. وحتى لو كان لدى إسرائيل سلاح غير تقليدى، فلن يكون حيويا فى مساحة صغيرة جدا خاصة لو فوجئت إسرائيل. لذلك عليها آن تطلب، أنه لو حدث خرق للترتيبات الأمنية، سكيون بمقدورها اعادة الوضع إلى ما كان عليه.

يجب أن تعقد الترتيبات الأمنية كصفقة واحدة، وليس كوسائل منفردة. والمهم جدا نظام المراقبة الذى ستلعب فيه إسرائيل دورا رئيسيا. يجب آن تتضمن الترتيبات الآمنية خمسة مطالب رئيسية آهمها هو نزع سلاح الدولة الفلسطينية. يعتمد هذا المطلب على تقدير هيئة الأركان، لأنه ليس لجيش الدفاع رد عسكرى على الدولة الفلسطينية غير المنزوعة والتى لا تخضع للرقابة. ولذلك يجب أن يستمر النزع بدون حد زمنى. بالطبع انها عملية نزع سلاح جزئية، لأنه سيكون لدى فلسطين قوات مسلحة، وليس مهما كيف سيتم تكوينها، وستكون مسلحة بأسلحة خفيفة.

ستكون الدولة الفلسطينية خالية من الأسلحة الرئيسية مثل الدبابات والطائرات والمدفعية والصواريخ بكافة أنواعها. لن تسلح بأسلحة كيماوية أو بيولوجية ولا بأنظمة حرب الكترونية. لن تنتج الدولة الفلسطينية أى اسلحة. سيتم حظر تواجد قوات اجنبية فى أراضيها، وكذلك حظر عبور مثل هذه القوات أو تدريبها. لن يكون للدولة الفلسطينية جيش نظامى ولن يسن بها نظام الخدمة الالزامية.

سيكون الغرض من قواتها هو غرض دفاعى، حيث سينصب دورها على الأمن الداخلى والنظام العام. ستكون هذه القوات قوات شرطية فى جوهرها. وسيكون حجم هذه القوات مماثلا لما تقرر فى أوسلو. سيكون سلاح هذه القوة سلاحا خفيفا، وسيتم السماح بحمل رشاشات بأعداد معقولة وبعض المجنزرات وإلى جانب القوة البرية سيكون للدولة الفلسطينية حرس سواحل محدود.

لن يكون للدولة الفلسطينية سلاح جوى. سيتم استخدام الطائرات التى بحوزتها فى آغراض تجارية وستكون لديها طائرات هليوكبتر خاصة بقوات الشرطة وغير مسلحة. ستكون الحركة الجوية إلى فلسطين بالتنسيق مع الرقابة الاقليمية لإسرائيل. ستواصل طائرات السلاح الجوى الإسرائيلى القيام بطلعات تدريبية على ارتفاعات مناسبة فوق مناطق الضفة الغربية. ستتم الطلعات فى إطار القيود المفروضة على سلاح الطيران بالنسبة للتحليق فوق المناطق السكنية بإسرائيل. سيكون التواجد العسكرى الإسرائيلى فى مناطق الضفة محدودا، ولفترات زمنية سوف تتحدد فى الاتفاق. هذا التواجد سوف يستمر إلى أن يتحقق اتفاق سلام شامل بين إسرائيل والدول العربية حيث يتم التأكيد

على سوريا والعراق. وسيكون الفرض الرئيسي للوجود الإسرائيلي هو الانذار المبكر. والقوات التي ستوضع في بقاع الأردن ستكون بمثابة جرس متقدم. غير ذلك ستقوم إسرائيل بإخلاء الضفة الغربية من معسكرات جيش الدفاع ومخازن الطوارئ. لو وقع هجوم من الشرق، ستتيح فلسطين لجيش الدفاع التحرك على الطرق في اتجاه بقاع الأردن.

وهناك مطلب آخر: بالحرمان من الحق في التوقيع على تحالفات عسكرية، باستثناء اتفاقيات أمنية مع إسرائيل، أو الأردن وإسرائيل في اطار نظام أمني اقليمي.

*** مصادر المياه:**

تعتبر مصادر المياه موضوعا رئيسيا في المفاوضات حول اقامة دولة فلسطينية. ولا تقل أهميتها عن موضوع الأمن. تنبع ٦٠٪ من مصادر المياه الإسرائيلية من الخزانات الجوفية بالضفة الغربية والمرتبطة بالضفة، فعلى النقيض من الحدود الجغرافية، ليس للمياه حدود. تدفقها يأتي من باطن الأرض، وأحيانا تمتد الخزانات الجوفية عبر هاتين الدولتين. وسوء الضخ في احداهما يؤثر على تدفق المياه في الجانب الآخر، وبالتالي يجب على إسرائيل أن تحافظ على مصادر مياهها، ومنع تلوثها والاقتصاد في استخدام المياه والصرف الصحي في المناطق التي تحت السيطرة الفلسطينية. سيكون من الممكن تحقيق ذلك عن طريق التعاون فقط بين إسرائيل وفلسطين. هذا شرط مسبق يجب الاصرار عليه بقوة.

سيطالب الفلسطينيون بكميات اضافية من المياه، ومن العدل أن يحصلوا على أكثر مما حصلوا عليه. فلا يعقل أن يتمتع طرف بوفرة من المياه أو الحصول على كمية معقولة، بينما الطرف الآخر يعاني نقصا في مياه الشرب أو أن يحصل على مياه ملوثة. يجب دراسة امكانية السيطرة المشتركة على مصادر مياه معينة، لأن أي توزيع آخر لكميات المياه يجب أن يضع في الحسبان معاهدة هلسنكي لعام ١٩٦٦، حيث يقضي أحد بنودها بضرورة الحرص على أن لا يؤدي انتقال المياه من جانب إلى جانب آخر، الى وقوع اضرار فعلية لدولة تعطي مياهها لجيرانها. أما المستوطنات التي ستظل داخل الأرض الفلسطينية في اطار الاتفاق فسوف تحصل في المستقبل على مياهها من إسرائيل.

يجب على إسرائيل أن تطالب بانشاء جهاز رقابة متبادل في موضوع المياه، جهاز يفرض القانون بالقوة حتى لا يؤدي سوء الضخ أو تدفق مياه الصرف الصحي، إلى حدوث تلوث على طرفي الحدود. أن التطوير المشترك لمصادر جديدة للمياه يكون مشروطا بتطوير مواز في نظام الصرف الصحي في الجانب الفلسطيني. من بين طرق المحافظة على مصادر المياه، تعديل الحدود في قطاع الساحل (التعديل المطلوب أيضا من الناحية العسكرية). يقول خبراء المياه أن القطاع الذي يجب ألا تتم فيه عمليات ضخ بدون ترخيص يقع على مسافة ٢ ـ ٦ كيلو مترا شرقي الخط الأخضر.

*** اللاجئون:**

ربما تكون مشكلة اللاجئين هي المشكلة الأكثر صعوبة في الحل. ولا تستطيع إسرائيل تجاهل وجود مشكلة معقدة للاجئين، وليس مهما من هو المسئول عنها، أو من الأكثر مسئولية، أو المتسبب في وجودها.

يجب أن تمد يدها وأن تفعل كل ما في وسعها من أجل تسوية مشكلة اللاجئين حتى لا تكون سببا في استئناف وعودة النزاع.

يجب أن يتحرر الفلسطينيون من الاعتقاد أنه بعدما تقدم إسرائيل تنازلات اقليمية يمكنهم أن يطلبوا منها استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في المناطق الضيقة التي ستتبقى لها. لن تستطيع إسرائيل أن توافق بعد انسحابها أن تواجه مرة أخرى مشكلة وجودها كدولة يهودية ديموقراطية وهذه المرة في مساحة اقليمية صغيرة. سيخلق ضمن المزيد من اللاجئين لإسرائيل مشكلة ديموغرافية مصحوبة بمشاكل أمنية شديدة. يجب الاتفاق على هذا الموضوع قبل اعطاء الموافقة على قيام دولة فلسطينية.

لا يمكن حل مشكلة اللاجئين في إسرائيل. لذلك لن تبحث حق اللاجئين في العودة اليها، مثلما يطلب الفلسطينيون، وإنما الاسلوب الذي سيتم استيعابهم به في دولتهم الجديدة، وبدون أن يؤدي استيعابهم إلى حدوث اضطرابات. في عام ١٩٤٩، اثناء محادثات التوفيق في لوزان، صرح دافيد بن جوريون في اجتماع للحكومة احتمال أن تستوعب إسرائيل حوالي ١٠٠ ألف لاجئ فلسطيني (وكان عددهم يبلغ آنذاك ٧٠٠ ألف شخص) بشرط أن يتم استيعاب الباقي في الدول العربية التي ستوقع على السلام مع إسرائيل في حدود نهاية الحرب وقد رفض العرب مطلب بن جوريون فتراجع عن اقتراحه.

كما أن قدرة استيعاب اللاجئين في الدولة الفلسطينية التي ستقوم ستكون محدودة. وقد تقلصت هذه القدرة بسبب المناطق التي ستحتلها المستوطنات التي ستتبقى في الدولة الفلسطينية. وهناك احتمال أن يتم استيعاب القليل من اللاجئين في إسرائيل (ليس في اماكنهم القديمة) في اطار جمع شمل الأسر.

سيكون عددهم مثل عدد الإسرائيليين الذين سيعيشون في المستوطنات الموجودة داخل الأراضي الفلسطينية. بهذا سيتم تطبيق مبدأ التبادلية، حيث سيدرك كل واحد، إسرائيلي أو فلسطيني، أنه لو اقام في أراضي الدولة الثانية، سيسمح للفلسطيني أو الإسرائيلي الاقامة في الدولة الثانية. فإذا تبقى مثلا ٥٠ ألف إسرائيلي في المستوطنات التي في الأراضي الفلسطينية، فسوف يسمح لخمسين ألف فلسطيني بالاقامة في إسرائيل.

*** المستوطنات:**

تعتبر قضية المستوطنات من القضايا الحساسة جدا. سيؤثر القرار الخاص بمصير المستوطنات على عشرات الآلاف من الأسر الإسرائيلية التي تقيم في المناطق.

كما إن ترحيل الكثيرين منهم سوف يخلق موجة من اللاجئين، وهذه المرة إسرائيليين، بسبب اتفاقية السلام التي تسمح إسرائيل لنفسها بأن تخلي بالقوة عشرات الآلاف من المستوطنين وأسرهم. في المقابل، يجب أن نتذكر أن انتشار المستوطنات في عهد حكومات الليكود استهدف من البداية الحيلولة دون قيام دولة فلسطينية. لذلك يقول الفلسطينيون أن دولتهم لا تستطيع الوجود طالما أن المستوطنات موجودة فيها.

واليوم تغيرت الاعتبارات الأمنية في مسألة المستوطنات. هناك من يقولون أنه لو وقعت مواجهة شاملة مع الفلسطينيين، لن تكون هناك أي امكانية تقريبا لحماية المستوطنات جميعا في آن واحد. بالطبع لن يكون ذلك بالنسبة للمستوطنات الصغيرة في المناطق المنعزلة والمحاطة بمواطنين فلسطينيين. أشك في أن يستطيع جيش الدفاع مواجهة المشكلة بدون أن يعيد احتلال مناطق الضفة وبعض مناطق قطاع غزة.

وتحسبا للتسوية النهائية يجب على إسرائيل أن تعيد تنظيم المستوطنات، ولا يجب اخلاء الكثير منها فلا يوجد حل مناسب واحد لجميع الحالات وفي كل مكان.

يجب الاصرار على أن توافق الدولة الفلسطينية على عدة حلول. يمكن أن نجد حلا واحدا في اطار اجراء تعديلات على الحدود تبقي على بعض المستوطنات وأن يظل الكثير من المستوطنين في الأراضي الإسرائيلية، ولكن لا مناص من اخلاء بعض المستوطنات المنعزلة.

مستوطنات أخرى ستظل في الدولة الفلسطينية، ومن الافضل أن تكون في شكل كتل. المستوطنات التي ستظل في فلسطين لن تكون منطقة غير أقليمية لأن فلسطين لن تكون دولة أشباح تقوم على جيوب وبجوب اراضيها أجانب لن تكون للشرطة الفلسطينية أي صلاحية ضدهم. من غير الممكن أن نطلب من دولة كهذه أن تستوعب أيضا اللاجئين الذين يريدون العودة اليها. مثلما يعيش فلسطينيون كثيرون داخل إسرائيل، يستطيع كذلك اليهود أن يعيشوا في الأرض الفلسطينية، كمواطنين إسرائيليين أو كمواطنين يحملون الجنسية المزدوجة. سيخضع الباقون في الأراضي الفلسطينية للقانون المحلي. لذلك لن يستطيعوا أن يحملوا أسلحة بدون ترخيص، وبالطبع لن يسمح لهم انشاء ميليشيات مسلحة. يستطيع كل واحد من أعضاء هذه المجموعة أن يشارك في انتخابات الدولة المجاورة.

الحدود:

حتى لو وافقت إسرائيل على مبدأ العودة لحدود الرابع من يونيو ١٩٦٧، فإنها ستطلب بالطبع تعديل الحدود. يحتمل ألا يتم ترسيم بعض أجزاء الحدود فور اقامة الدولة الفلسطينية، ويتم حسم أمرها على مر الوقت وربما على مراحل، كما يحتمل أن تقرر الأطراف اعلان منطقة معينة (منطقة أمنية) يتقرر مصيرها مستقبلا.

على إسرائيل أن تحدد معايير واضحة في ترسيم حدودها حتى لو لم يكن من الممكن تحقيق ذلك في كل مكان.

أولا يجب تحديد الأخطار التي قد تظهر في المستقبل القريب والبعيد من قبل الأراضي الفلسطينية. في الوقت نفسه يجب تحديد المناطق الهامة جدا من أجل الدفاع والتي لإسرائيل فيها مصالح حيوية مثل الدفاع عن قطاع الساحل الضيق، حيث توجد تجمعات سكانية كبيرة، والصناعة والعلوم، أو ضرورة حماية مصادر المياه.

وهناك معيار هام آخر في ترسيم الحدود وهو ضرورة الامتناع بقدر الامكان عن اقامة فلسطينيين كثيرين في الأراضي الإسرائيلية. يجب الا نخلق اقلية فلسطينية كبيرة في دولة إسرائيل، اقلية سوف تتكاثر بمرور الوقت. يجب أن نضع في الحسبان أيضا أنه ليس مطلوبا أن يبقى إسرائيليون كثيرون خارج الحدود في الأراضي الفلسطينية.

هناك إتفاق موسع حول المناطق الحيوية التي يجب على إسرائيل أن تدافع عنها عندما ترسم حدودها مع فلسطين. أولا، توسيع قطاع الساحل الضيق. وهذا ينطبق أيضا على مصادر المياه. ثانيا، السعي لتوسيع الطريق الرئيسي (المعروف جزء منه على أنه ممر القدس) بجانبيه، والطريق المؤدي من منحدر الساحل إلى القدس، وكذلك توسيع المساحة التي حول العاصمة في اتجاه معلية أدوميم. على إسرائيل أن تسعى للبقاء في المنطقة التي تحددت في حينه (لمشروع ألون)، أي بقاع الأردن والجزء الشرقي من صحراء يهودا. جزء من هذه المنطقة يمكن أن يدخل في (القطاعات الأمنية) التي سيتم توزيعها مستقبلا.

الخطر على حالها:

هل سيضع قيام الدولة الفلسطينية حداً للأخطار التي تتربص بإسرائيل؟ الاجابة للأسف الشديد بالنفي. لذلك على إسرائيل أن تحافظ بشدة على أمنها.

كذلك كان هذا هو الاتفاق المفضل جدا عن أي اتفاق تم التوصل اليه حتى الآن بين إسرائيل والعرب، وفي تاريخ الدبلوماسية بشكل عام، فهذا غير كاف. الذي سيحسم هو: هل الأغلبية في أوساط الشعبين وزعمائهما سيقررون ما إذا كان هذا الاتفاق يعطي مزايا للطرفين.

* من بحث أعده الكاتب به في معهد الواشنطن لأبحاث الشرق الأوسط.

١٥ شهرا من التعقيدات

معاريف ١٩/٧/١٩٩٩

بقلم : موشيه جاك

[illegible]

لقد أثار الفلسطينيون قلق الملك عبد الله عندما منعوا رئيس الوزراء التركي سليمان ديميريل من الصلاة في المسجد الأقصى في القدس. وكان الملك حسين يصر على التزام إسرائيل كتابيا بالحفاظ على المكانة الخاصة بالأردن فيما يتعلق بالأماكن الإسلامية في القدس. ولكن عدم قدرة إسرائيل على ضمان دخول رئيس مسلم اثناء زيارته الرسمية للقدس يثير شكوكا بشأن قدرتها على تنفيذ التزاماتها [illegible]

وهذه واحدة من العقبات المتوقعة، بصرف النظر عن الخلافات المعروفة حول الحدود والانسحاب والترتيبات الأمنية، والتي من شأنها أن تعوق ايهود باراك في الخمسة عشر شهرا التي خصصت للمفاوضات حول التسوية الشاملة. وفي نظام بديع كان من الممكن الحديث عن اتفاقية سلام مع الجميع، لكن الأمر ليس كذلك في المنطقة. وعلى الرغم من اجماع دول المنطقة على ضرورة التسوية على المسار الفلسطيني، إلا أن هذه الدول لا تتفق على أسلوب احراز تقدم نحو هذه التسوية. (العقبات التركية)

وتجدر الاشارة إلى أنه اثناء زيارة [illegible] وعرفات [illegible] في المفاوضات على المسار الفلسطيني [illegible] نجد أن تركيا قد ساعدت على [illegible] الأسد [illegible] من تدعيم العلاقات بين تركيا وإسرائيل، وقد ساعدت الزيارة [illegible] المخاوف [illegible]

وتجدر الاشارة إلى أنه [illegible] الأسد عندما وصلت شائعة تقول أن إسرائيل ترغب في ارسال مبعوث خاص إلى صدام حسين. وينبع هذا الخوف من اعتقاد الأسد بأن سوريا في هذه الحالة ستكون محاصرة بواسطة التحالف بين إسرائيل والأردن وتركيا. وتطرقت الاشاعة إلى الولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار أنها منعت ذهاب المبعوث الإسرائيلي. وبذلك تمكنت الولايات المتحدة من اقناع الأسد بإجراء حوار مع إسرائيل [illegible] التقارب الإسرائيلي التركي بواسطة الاكثار من التصريحات بشأن استعدادها للتسوية مع إسرائيل.

من المعروف أن كثرة التصريحات السورية بشأن قرب [illegible]

التسوية مع إسرائيل تثير شكوكا في نفس ياسر عرفات من أن إسرائيل سوف تبقيه في نهاية الطابور. ولذلك فإن عرفات يتنقل ما بين غزة والقاهرة من أجل ضمان تأييد مبارك لفكرة "فلسطين أولا". وقد شعر الرئيس المصري بالسعادة لفرض وصايته على منظمة التحرير الفلسطينية ليس من أجل القلق على الفلسطينيين والحرص على مصالحهم ولكن بسبب هدف استراتيجي لمصر. ففي السبعينات عندما استقر الجيش السوري في لبنان قام بتصفية المئات من رجال منظمة التحرير الفلسطينية لأنه لم يرغب في أن تتحرك منظمة التحرير بمساعدة قواعدها على مقربة من الحدود السورية. وفي نهاية الأمر [illegible] وطرد عرفات من لبنان ومن أي مكان آخر يسيطر عليه السوريون.

والآن يتبع المصريون أسلوب آخر وهم يرشدون عرفات بشأن كيفية ادارة المفاوضات مع الولايات المتحدة الأمريكية ويضمنون التأييد العربي لعرفات وضد رغبة الأسد ويسعون أن يتخلوا عن مفتاح التسوية وهم يحتفظون بهذا المفتاح ليس من أجل اتفاق ولا من أجل المزيد من مراحل الانسحاب ولكن من أجل اجبار إسرائيل على التوقيع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية. وكلما يتم احراز تقدم في المساومات الإسرائيلية الفلسطينية كلما يزداد الضغط المصري على الأمريكيين لنزع قوة الردع الإسرائيلية. هذا وسوف يمنعون الفلسطينيين من التوصل إلى اتفاق إلا إذا تم ضمان الهدف المصري في البداية.

وقبل هذه العقبة الصعبة التي سنواجهها طوال الخمسة عشر شهرا القادمة، يحاول مبعوثون إسرائيليون [illegible] نزع سلاح جماعة الضغط الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أن استقلالها يعتبر بمثابة اشواك في طريقهم. ولكن لا يجب على إسرائيل أن تحدد التكتيك الذي تتبعه منظمة ايباك. ومن حق اصدقاء إسرائيل كمواطنين أمريكيين أن يحددوا أسلوب صراعهم من أجل إسرائيل حسب تقديرهم [illegible] شعور بالانحطاط أو النقص [illegible] القوى الذي يكمن في منظمة ايباك لا يتعارض مع القانون الأمريكي وسوف يساعد على [illegible] المؤامرة المصرية نحو التسوية دون أن تحتاج حكومة إسرائيل إلى الدخول في جدل علني حول هذه النقطة. (التقنية)

الحفل انتهى والحسم اقترب

يديعوت احرونوت
١٩٩٩/٧/٢٠
بقلم: شمعون شيفر

يستطيع رئيس الوزراء ايهود باراك أن يسجل لنفسه عن رضاء، أن الرئيس الأمريكي قد خرج عن المألوف من أجل أن يصنع علاقات تقارب معه وأظهر تجاهه الاحترام الشديد والتقدير. ولكن من الواضح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكلمات التي منحها له كلينتون، فسوف يكتشف أن المضمون اقل لمعانا ممن يبدو من الخارج. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاتفاق عليه مع رؤساء حكومات آخرين سابقين. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أن يسجل لنفسه أنه وجد في البيت الأبيض صديق حقيقي لإسرائيل يمكن الاعتماد عليه.

والآن بعدما انتهت عبارات الإطراء والمآدب [illegible] البيت الأبيض [illegible] باراك [illegible] وسائل الإعلام الأمريكية سيكون على رئيس الوزراء أن يقدم [illegible] للأفكار التي طرحها على مضيفيه. لقد [illegible] البيت الأبيض [illegible] رئيس الوزراء السابق [illegible] الذي كان [illegible] في كلامه ولكن لم يقم بالدور المطلوب. [illegible]

عندما يعود ايهود باراك، سيكون عليه أن يجيب على عدة تساؤلات: ما هي مساحة الأراضي التي ستقدم مقابل التسوية مع الفلسطينيين ومع سوريا، وما هي الترتيبات الأمنية [illegible] [illegible] إسرائيل بشروط لم تتغير ابدا وهي العودة إلى حدود الرابع [illegible] ١٩٦٧ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يكون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسرائيلية [illegible] [illegible] [illegible]

واشنطن تريد سلام الآن

معاريف [illegible] /١٩٩٩
بقلم: [illegible] بن حورين

في حديث عفوي بمناسبة خاصة في واشنطن قال الرئيس كلينتون لأحد الحاضرين، أنه مؤمن بإمكانية استكمال المفاوضات للسلام سواء على المسار الفلسطيني أو على المسار السوري - لبناني، خلال عام واحد. وإغلاق كل المشاكل العويصة. إن أهمية ذلك الحديث الخاص تكمن في حقيقة أنه لم يكن معدا للنشر. فكلينتون لم يكن يعرف مثلا أنه سيتسرب لجريدة معاريف. إن كلينتون في الحقيقة يعتقد أنه يستطيع إنهاء الأمر خلال عام.

في السابق منع مستشارو كلينتون، وبالذات ساندي بيرجر، مستشاره للأمن القومي، من إدخال رأسه في عقدة الشرق الأوسط، طالما أنه غير مضمون النجاح. ولم يمنعه ذلك في التدخل من أجل تحقيق اتفاق واي. حينذاك وفي ذروة قضية مونيكا كان لدى كلينتون الحافز لكي يظهر أنه يعمل بدون كلل من أجل الشعب الأمريكي على الرغم من مسيرة الإطاحة به، بل وتدخل شخصيا لإدارة القمة في شهر أكتوبر من العام السابق.

والآن قبل أن يترك الساحة بعام ونصف العام فإن الحافز لدى كلينتون مختلف. فهو يبحث عن ساحة يدخل منها للتاريخ.

واستكمال دائرة السلام فى الشرق الأوسط هى بمثابة طريق ممتاز لعمل ذلك. وفى القريب، من المفترض أن نراه أكثر تداخلا بشكل شخصى أكثر من الماضى، بل وربما سينتقل شخصيا فى جولات بين القدس ودمشق.

وكذلك وزيرة خارجيته، مادلين أولبرايت، والتى حبها الحقيقى هو أوروبا، ولم تخف رغبتها فى الابتعاد عن الشرق الأوسط، أعربت هذا الاسبوع عن التزامها بالعمل فى الشهور والسنين القادمة بشكل مكثف فى منطقتنا. لقد تلقت أولبرايت فى الشهور الأخيرة نقدا إعلاميا لاذعا للغاية حول أدائها الوظيفى. وقد وصل النقد إلى ذروته فى مرحلة تورط الأمريكان فى كوسوفا. فهى متعطشة لنجاح يصلح من موقفها ومن إسمها الطيب.

وكذلك فإن هيلارى كلينتون لها مصلحة فى تحقيق سلام فى الشرق الأوسط، فهى تتجه إلى مجلس الشيوخ من قبل ولاية نيويورك وتحتاج بشدة إلى الصوت اليهودى. وفى الاسبوع الماضى، كما نتذكر، أعلنت هيلارى عن تأييدها لنقل سفارة أمريكا من تل أبيب للقدس "العاصمة الأبدية التى لا تنقسم لإسرائيل" (الموقف الرسمى للولايات المتحدة هو أن موقف القدس يتم تحديده فى مفاوضات الوضع النهائى).

وكذلك نائب الرئيس آل جور يتسابق للرئاسة فى عام ٢٠٠٠ وله مصلحة فى دفع عملية السلام وفى خلق علاقات طيبة مع باراك. وكذلك فإن التغيير فى إسرائيل بحث واشنطن على المحاولة وعلى إغلاق دائرة السلام. وفى الادارة الأمريكية قالوا هذا الاسبوع أنه من الممكن عمل ذلك بسرعة كبيرة (ملموسة). وزعم نائب المنسق الأمريكى، أهارون ميلر، أنه بدون الاحساس بالحافز الدافع للأمام، فإنه لن تتخذ قرارات مصيرية فى الشرق الأوسط. فعلى الأقل على المسار السورى، فإن الشعور بالإستعجال لدى الأطراف بارز للغاية: فقد تعهد باراك بالإنسحاب من لبنان خلال عام، وهو لا يستطيع القيام بذلك بدون السوريين. والأسد يريد أن ينقل لابنه، بشار، ميراثا مريحا، سوريا مع الجولان، والتى تندمج فى اقتصاد الغرب. وعلى المسار الفلسطينى، فإنه غير واضح للأمريكان إلى أى مدى الأمر ملح عند باراك لإتخاذ القرارات الصعبة. فهم يكررون ويؤكدون أنه يجب تنفيذ إتفاقية واى، ومندهشون ماهى بالضبط الفكرة الخلاقة التى ستتيح لباراك الوفاء بالتزامه بتنفيذ إتفاق واى وكذلك دمجه فى التفاوض حول التسوية النهائية.

بالنسبة للأمريكان فإنه ليس مهما فى الواقع الدور الذى سيلعبونه فى دفع المسيرة. ومع ذلك فهم متوقعون أن يخبرهم باراك بأنه يرغب فى إدارة المباحثات مباشرة أمام الفلسطينيين، بدون وجود المربية الأمريكية. فهم سيسعدون بالعودة إلى الدور التقليدى الذى لعبوه فى فترة رابين وبيريز، دور المساعدين ومانحى الخدمات للأطراف بدون التدخل الكامل فى تفاصيل المفاوضات.

لقد سئم دينيس روس من كثرة إيقاظه فى منتصف الليل بسبب نزاع ما عند نقطة مرور مشتركة لجنود جيش الدفاع الإسرائيلى والسلطة الفلسطينية. ولكن إذا ما إحتاجوا لذلك، فسوف يوضح الأمريكان أنهم لن يضيقوا ذرعا كذلك بدور المربية، إذا ما كان ذلك ضروريا لتقدم ودفع المسيرة.

وفى واشنطن لا يخرجون من التوقعات كذلك إحتمال أنهم فى المستقبل سيضطر مبعوثو الادارة للعودة لدور نشط ومكثف فى المسيرة. وقال المتحدث بلسان وزارة الخارجية، جيمس روبين هذا الاسبوع: "لدينا مصلحة مباشرة وحيوية لدفع السلام فى الشرق الأوسط. ماذا سيكون دورنا فى النهاية، إن الاجابة سوف تعطى طبقا للظروف. نحن نرغب فى إغلاق ملف السلام فى الشرق الأوسط ونريد القيام بذلك على وجه السرعة".

إن تلك هى أيضا الرسالة التى أرسلوها من واشنطن للقدس هذا الاسبوع قبل أن يهبط إيهود باراك فى المدينة، مباحثات مباشرة بين الإسرائيليين والفلسطينيين وبين الإسرائيليين والسوريين، إن هذا جميل ومرغوب، ولكن أمريكا لا يخرجونها من اللعبة.

إن التدخل الأمريكى يتضمن أيضا تفعيل الضغوط، بأسلوب العصا والجزرة (الثواب والعقاب). والمثال على ذلك: على مدى شهور طويلة أعلن وزير الدفاع الأمريكى ويليام كوهين لوزراء الدفاع موردخاى وأرينز أن الولايات المتحدة ستمول لإسرائيل شبكة بطاريات ثالثة لصاروخ "حيتس" ولكن الأموال غير موجودة. وفورا بعد الانتخابات فى إسرائيل تم التصديق على الأموال المطلوبة لتطوير الشبكة.

وبعد الفرحة الكبيرة على سقوط نتنياهو، وصل التوقع المستمر من جانب واشنطن إلى تطلع للسماع من باراك أفكارا جديدة. فقد أراد كلينتون أن يسمع من باراك ماهو مستعد لإعطائه وماذا لا يستطيع التنازل عنه وماهى الخطوط الحمراء لباراك، وماهى جداوله الزمنية وأية مساعدة يريدها من الولايات المتحدة الأمريكية.

كثير من المعلقين كتبوا أن الرئيس كلينتون سوف يدرس باراك ويتعرف عليه أثناء اللقاء. وفى الواقع أن كلينتون يعرف باراك بالفعل ليس من لقاءاتهم السابقة بالبيت الأبيض عندما كان باراك رجل معارضة بل من المعلومات التى إستاقها الرئيس من صديقين مقربين قاموا بجهود كبيرة على مدى الشهور الماضية وهم - بوب شارم، وجيمس كارويل وهما مستشارو باراك فى الانتخابات وأصدقاء شخصيين للرئيس. فكلينتون يعرف كيف يفكر باراك وكيف يعمل. والآن سيعمل كلينتون لتحويل باراك لصديق، فالرئيس إنسان دافئ ويحب الصلة الشخصية.

إن باراك يصل لواشنطن فى توقيت رائع، فلديه وقت من مشاعر الود ويستقبل بكل رموز الاحترام وعناق الحب الديبلوماسى. من ضيافة بقصر الاستقبال بلير هاوس فى منطقة بنسلفانيا أمام البيت الأبيض وحتى الاستقبال المهيب مع فوهات المدافع فى مدخل البنتاجون. سيحاول كلينتون الوصول إلى استراتيجية سلام مشترك مع باراك وحتى لو إندفع الاثنان إلى خلافات فى الرأى فسوف يقضون عليها ولن يعرف بها العالم. فهذه الزيارة أعدت، قبل أن تبدأ لتحقق نجاحا كبيرا. وفى يوم الاثنين بعد الظهر فى المؤتمر الصحفى المشترك لكلينتون وباراك، سوف تخرج البشرى للشرق الأوسط: إستئناف مسارات المفاوضات وإرسال وزيرة الخارجية أولبرايت إلى دمشق، والقدس وغزة.

الاختبار الأمريكي لباراك

معاريف ١٤/٧/١٩٩٩
بقلم: يوسف حريف

يقولون أن الهدف الرئيسي للقاء بين رئيس الوزراء وبين رئيس الولايات المتحدة هو اصلاح العلاقات مع الولايات المتحدة - والتى افسدتها حكومة نتنياهو بشكل ما - وخلق علاقات ثقة بين رئيس الوزراء الجديد وبين رئيس الولايات المتحدة. إذا كان هذا الوصف واقعى، فإنه ينتظر لباراك لقاءات غير سهلة.

علامات كثيرة تدل على أن كلينتون سيطلب اساسا أن يسمع من ضيفه كيف يرى عملية احياء العملية السياسية على الصعيد السورى والفلسطينى، وماهى مفاهيمه حول جوهر التسوية النهائية.

إذا كان باراك يريد خلق علاقات ثقة مع كلينتون، فلن يستطيع الآن أن يكشف له اخيرا عن سره: أى ماهو مشروع باراك للتسوية النهائية مع الفلسطينيين. يبدو أن كلينتون سوف يصاب بالاحباط. فى هذا الشأن فإن المسافة بين باراك ونتنياهو ليست كبيرة جدا. عندما يعلم كلينتون ما يمكن أن نطلق عليه (خريطة باراك للسلام)، فسوف يضطر لأن يسأل ضيفه السؤال الذى لابد منه: هل يعتقد ايهود باراك ان الطرف الآخر سوف يقبل ذلك؟ هنا سيكون اختبار باراك. لقد كانت لدى شيمون بيريز، آخر رئيس وزراء من حزب العمل ميول للتنازل عن اغلب مناطق الضفة، وعلى اختلاف من اسحاق رابين، الذى رأى فى اتفاقيات أوسلو امكانية لتنفيذ مشروع ألون، يقول الحاضر أن هناك استعداداً للتنازل عن حوالى ٧٠٪ من مناطق يهودا والسامرة والابقاء على ٣٠٪ فى حوزة إسرائيل.

من هذه الناحية يعتبر باراك قريب جدا من رابين ونتنياهو وشارون أكثر من قربه لبيريز أو يوسى بيلين. الفارق بينه وبين شارون هو أن شارون يتحدث عن تطبيق السيادة الإسرائيلية على المناطق الحيوية لإسرائيل والابقاء على سيطرة إسرائيل على المياه، ولكن باراك على استعداد للاكتفاء أيضا (بقبضة) أمنية، وليست سيادية بالذات، فى خور الأردن، أو بالتنسيق فى موضوع المياه.

يؤكد باراك أن هناك شخصيتين، رئيسا وزراء سابقين، يرسمان منظوره السياسى وهما دافيد بن جوريون واسحاق رابين. جدير بالذكر أن بن جوريون كان على استعداد لأن يواجه العالم كله عندما قرر نقل العاصمة من تل أبيب إلى القدس. فهل سيعرف باراك كيف يصر على منظوره السياسى والأمنى ولا يستسلم، ولا حتى لبيل كلينتون؟

يتلخص منظور باراك فى المبادئ التالية: فهو ضد إزالة المستوطنات، وبخاصة التى فى يهودا والسامرة. وهو يؤيد الابقاء على المناطق الحيوية من الناحية الأمنية فى أيدى إسرائيل، وهو يؤيد كيان فلسطينى، أقل من مستوى دولة سيادية. نهاية الأمر، يريد باراك الفصل بين إسرائيل والفلسطينيين ويسعى إلى اتفاق دائم على اساس المبادئ التالية: القدس الكبرى والموحدة تحت سيادة إسرائيل، وجوش عتسيون وكذلك الكتل الاستيطانية فى شمال السامرة وغربها، وقبضة استيطانية وأمنية فى بقاع الأردن ومواقع حيوية فى سفح الجبل.

كذلك يتكلم باراك عن ضرورة وجود ممر واسع للقدس على طريق موديعين، وعن عدم السماح لجيش اجنبى بالتواجد غرب نهر الأردن.

وكما قلنا، فهو مستعد لقبول كيان فلسطينى يتمتع بمظاهر سيادية مختلفة مثل اصدار طوابع بريد وعملة وجواز سفر، ولكنه يعترض على دولة سيادية يمكنها أن تفعل كل ما تريد، وبخاصة نصب بطاريات صواريخ أرض - جو يمكن أن تعترض أى طائرة إسرائيلية.

فى الأيام الأخيرة، فى اعقاب جولة المحادثات السياسية التى بدأها باراك مع مبارك وعرفات وعبدالله، اصبح هناك انطباع بأنه يتدلل على كلينتون. ولكن هل يحصل باراك على تأييد كلينتون لخريطته للسلام، من الواضح انه ليس هناك ما يؤكد أنه سوف يفلح فى ذلك.

بدون شك فإن علاقات الثقة بين رئيس الوزراء والرئيس الأمريكى هى علاقات هامة، ولكنها تقتضى التوضيح مسبقا أن إسرائيل راغبة فى السلام، ولكنها ليست على استعداد لأن تدفع فى مقابله أى ثمن، إذا لم يفهم كلينتون ذلك، فماذا سيكون معنى علاقات الثقة هذه؟

مبادرة باراك لم تنطلق

هآرتس ٦/٨/١٩٩٩
بقلم: زئيف شيف

لقد عرف النزاع الإسرائيلي - العربي مبادرتين كبيرتين. الأولى للرئيس المصري، أنور السادات، والتي اشعلت خيال العالم وفتحت طريقا تاريخيا للسلام.

والثانية، مبادرة اسحاق رابين وشيمون بيريز وياسر عرفات، والتي أدت إلى الاعتراف المتبادل بين إسرائيل ومنظمة التحرير. وقد سبق الحديث عن (الثغرات الأمنية) في اتفاق اوسلو بعد الاعلان عنه، ولكن يمكن اعتبار اتفاق اوسلو طفرة تاريخية.

وقد حصل ايهود باراك على فرصة تاريخية كي يبدأ مشواره كرئيس وزراء صاحب مبادرة، سخية ومسئولة في نفس الوقت. ولكن يبدو أنه قد اضاعها. لقد بات واضحا أن مثل هذه المبادرة غير موجودة، أو أنها سرية جدا، لدرجة أنه حتى مساعديه ومستشاريه المقربين لا يعلمون عنها شئ.

بدلا من هذا، تهتم «مبادرة باراك» بالأمور التافهة، وتنصب هذه المبادرة على الغاء بنود في الاتفاق وليس بجوهر الاتفاق. وربما نتوصل هكذا إلى حلول معينة، ولكن الطريق سيكون مصحوبا بأزمات وبمشاعر مريرة. ما تبقى حاليا هو تصريح باراك حول رغبته في ان يضع نهاية للنزاع مع العرب وعودة جيش الدفاع إلى الوطن من جنوب لبنان.

يركز باراك اساسا على الغاء اتفاق واي. فقد أعلن صراحة انه سيطلب من عرفات تغيير الاتفاق. للعلم، إذا تنازل عرفات عن الاتفاق، فسوف ينظر اليه في الشارع الفلسطيني كمن خضع للإسرائيليين. كانت هناك أيضا عيوب في اتفاق الخليل. لم يرغب رئيس الوزراء بيريز في تنفيذه عشية الانتخابات، لذلك عقد لقاءً سرياً مع أبومازن. وتفهم أبومازن ازمة بيريز، وتم الاتفاق على تنفيذ الانسحاب من الخليل العربية بعد الانتخابات.

يحتمل أن نقص خبرة الحكم لدى باراك جعله يعلن على الملأ بأنه على عرفات أن يتخلى عن بنود في اتفاق واي. وكانت النتيجة الحتمية أن أصر عرفات على مواقفه.

يجب علينا الا ننسى ان اتفاق واي قد ولد على اساس رفض إسرائيل تنفيذ الانسحاب الثاني لاتفاق اوسلو الثاني. وطلب الغاء الاتفاقيات - حتى لو كانت سيئة - يعتبر سابقة يمكن أن يستخدمها الطرف الثاني أيضا مستقبلا عندما لا يعجبه شيئاً. مثلا، التسويات والترتيبات العسكرية في مناطق الضفة. أن اتفاق واي لا يثير الحماس، ولكنه يتضمن أيضا جانبا ايجابيا، وهو عدم الانتقال إلى المرحلة التالية قبل استيفاء المرحلة السابقة تماما. أن اتفاق واي يجلب وراءه عيبا أكبر من اتفاق اوسلو الثاني، الذي جاء فيه انه يجب القيام بعمليات انسحاب كبيرة حتى قبل التسوية النهائية. ليس لأن المفاوضين لم يروا ذلك اثناء المفاوضات. فالوحيد الذي عارض تقريبا هذا الاسلوب كان ايلان بيرن، الذي كان وقتها قائد المنطقة العسكرية الوسطى وهو حاليا مدير عام وزارة الدفاع، ولكنه لم يلتفت إلى اعتراضه هذا.

بالطبع سيضع اتفاق واي باراك في مشكلة فورية مع المستوطنين. ولكن الجميع يدركون أنه لا يمكن منع هذه المواجهة كلما تقدمت عملية السلام. فمحادثات التسوية النهائية لن تمنع المواجهة، إذا كان باراك ينوى فعلا التقدم بسرعة. هكذا انزلق باراك للأمور التافهة والاتهامات المتبادلة. ولم يدرك أنه لا يكفى التنازل للطرف الثاني، وإنما الأمر مرتبط أيضا بكيفية عمل ذلك. هناك فارق كبير بين الافراج عن المعتقلين الفلسطينيين في اطار مفاوضات، ومقابل ثمن من الجانب الآخر، وبين عملية قائمة على بادرة طيبة لعرفات والفلسطينيين.

ومثال على هذا الاسلوب عديم الحساسية ما فعلوه للوزير الفلسطيني زياد أبوزياد. بسبب قضية بيت الشرق أجبر شارون حكومة نتنياهو على مضايقة أبوزياد بلا داع، بفرض قيود مخزية على تحركاته، وهذا الحط من قدر شخصية عامة فلسطينية استمر لعدة اسابيع أيضا في عهد باراك، رغم ان أبازياد شارك في لقاءات عرفات مع باراك.

السلام ورؤيا يوم القيامة

هآرتس ٥/٨/١٩٩٩
بقلم: يسرائيل هرئيل

لم تعد النظرية الاساسية، التي تقوم عليها القواعد السياسية - الاستراتيجية الإسرائيلية، لم قائمة. على مر السنوات الطويلة غسلوا عقولنا بأن جوهر المشكلة هو القضية الفلسطينية. وقال جميع الخبراء أن الاتفاق مع الفلسطينيين سوف يجلب السلام حتى مع العالمين العربى والاسلامى. والآن بعد سبع سنوات من السير مع الفلسطينيين على مسار التصالح، وعشية استكمال الاتفاق الكامل معهم يتضح، على الاقل، طبقا لتحذيرات رئيس الوزراء ورئيس الأركان، بأننا نواجه خطرا وجوديا لم يسبق لنا أن واجهنا مثله.

هذا الخطر - مثله يصفه بعض الاستراتيجيين ومنهم اللواء يسرائيل طال، نابع من الأسلحة غير التقليدية التى سيتم وضعها على صواريخ طويلة المدى من الدول الاسلامية البعيدة.

لماذا؟ ها هى المشكلة الفلسطينية فى طريقها للحل، ولا توجد مشاكل حدودية بيننا وبين هذه الدول أو نوع من النزاعات. وهنا لا يقدم الخبراء اجابة حقيقية.

إن مثل هذه الاجابة تناقض مجموعة كاملة من المسلمات، وتركيبة نفسية، تشارك فيها اجيال من الخبراء الذين اصبحوا ايديولوجيين.

بعد اتفاق اوسلو حصلت إسرائيل على طائرات F. 15. I القادرة على القيام بمهام استراتيجية طويلة المدى. والآن، بعدما اصبح السلام على مرمى ١٥ شهرا، قرر ايهود باراك الحصول على دفعة أخرى من طائرات مماثلة وباهظة الثمن، ومع ذلك لم ينته سلاح السلام. بل هناك سلاحا سريا آخر سوف يعرض هذه الأيام على الحكومة التى ستشاهد عجائب ومزايا هذا السلاح.

وكلنا مطلعون على تطوير مشروع الصاروخ حيتس ونعلم (تقريبا) كل شئ عن الخيارات الاستراتيجية لغواصات الدولفين. وهذا تسبب فى استفزاز الدول الاسلامية. يقول الخبراء أنه لو سقطت صواريخ نووية على إسرائيل (بعد حل المشكلة الفلسطينية بين إسرائيل والعالم العربى والعالم الاسلامى فسوف يزول الخطر الاستراتيجى الذى يهدد وجود إسرائيل)، فإننا نملك خيار الضربة الثانية.

هناك شئ غير طبيعى فى نبوءة السلام التى يحقنوننا بها، وبخاصة فى سنوات اتفاق اوسلو السبع. وقد تنبأ المتنبئون بأنه مع مجئ السلام لن تكون هناك حاجة للنفقات العسكرية الباهظة، والتى تأتى مع استمرار النفقات الضخمة فى المستوطنات، على حساب التعليم والهجرة والاحياء الفقيرة والبنية الاساسية والمدن الجديدة وتنمية القطاع العربى.

ونحن نقف مندهشين أمام الاخطار المتعاظمة خاصة فى وقت تحكم فيه حكومة سلام، بزعامة حزبى العمل وميرتس، والتى تستمد وحيها الروحى من حركة ميماد، التى تحب السلام وتسعى اليه.

لقد اخذنا وعدا بأن كل شئ فى هذه الحكومة سيكون واضحا ومكشوفا. ولذلك تزايد القلق. اكثر من مرة، عندما وهن تفكيرنا وحملنا الشك على أن نعتقد أنه (ربما رغم هذا كله هم على حق)، وتمنينا أن تكون نتائج الثمن الفادح الذى سندفعه، تكون كما وعودنا على الأقل، فى شكل سلام من قريب ومن بعيد. وقيل، ربما قد لا يكون سلام مثل ذلك الذى بين كندا والولايات المتحدة، ولكننا تعودنا على ذلك من خلال السلام بين مصر وإسرائيل. والآن، كمكافأة على رحيلنا من وسط البلاد، يقومون بإعداد صواريخهم الباليستية ويجهزون لها رؤوسا نووية؟

فى الوقت الحاضر، فإن كل ما حذرنا منه نحن محبى الحروب واستمرار النزاع، طوال السنوات الماضية، يحدث الآن. ويعجل الانسحاب ويقلل من الاخطار التى تهدد وجودنا، كما أن التنازلات والضعف يزيدون - ولا يقللون - من الدافع إلى تدمير إسرائيل، وليس الفلسطينيون هم جوهر النزاع، بل كان جوهر هذا النزاع ولا يزال هو رفض وجود دولة يهودية بشكل عام وفى الشرق الأوسط على وجه الخصوص.

الحقيقة أن الدولة الفلسطينية أصبحت قائمة وسوف يعلن عنها بعد قليل. كذلك الأمر مع سوريا ولبنان بحد اقصى ١٥ شهرا، سوف نتوصل إلى اتفاق يعنى التخلى عن هضبة الجولان، بما فيها المستوطنات المزدهرة. والنتيجة، تزايد الخطر الاستراتيجى، والذى تحذر منه الحكومة التى ستخلى الجولان من أجل السلام.

ويتضح ان كل هذه التطورات لا تؤثر بأى شكل فى تغيير المسلمات. ونحن نواصل تعمية أنفسنا - كالماضى - والتخبط فى الظلام من أجل السلام.

خطيئة الغرور

هآرتس ١٩٩٩/٨/٥
بقلم: ميرون بنفينشتي

خطيئة الغرور هى أكبر خطيئة فى ترتيب الخطايا عند الاغريق القدامى، والمقصود هو الجرأة المتعجرفة التى تؤمن بقوة الفرد على أن يقلب موازين العالم. وهذا خطأ لا يغتفر. وقول الاغريق، بهذه الخطيئة فانهم يميلون لضرب الأمراء والنوابغ، والعقاب لا يقع فقط على المخطئين وإنما أيضا على الذين تأثروا بأعمالهم.

ليست فقط غطرسة ايهود باراك، والاستهانة بخبرة الخبراء المتمرسين، ولا حتى الاعتماد على مثقف لامع استوعب كل الوثائق والافكار، وإنما الجرأة التى تصل إلى حد العجرفة، والتى تقول أنه من الممكن التوصل إلى (اعلان مبادئ حول تسوية نهائية) مع الفلسطينيين خلال نصف عام.

لو كان هذا التاريخ النهائى مقصود به إطالة أمد العملية السياسية، والدفع بها إلى الامام، لكان من الممكن تفهم الدوافع وراء تحديد هذا التاريخ.

ولكن طبقا للبرنامج التفصيلى لرئيس الوزراء، فهذا تاريخ مبدئى ستنجح أو تفشل على أساسه العملية التى بادر بها، وضرورة التوصل إليه يبرر إعادة فتح اتفاق واى.

لذلك يجب أن نفترض، أن رئيس الوزراء يؤمن عن حق أنه سينجح فى التوصل إلى صياغة وثيقة تضع خطوطا عريضة للحل الدائم، ويبدأ مفاوضات فردية حول التسوية النهائية للمشاكل المعلقة بين الإسرائيليين والفلسطينيين.

لا تظهر الجرأة فى مجرد تحديد التاريخ ـ

حيث أن التواريخ النهائية تعتبر لفظا مطاطا فى نظر رئيس الوزراء ـ إلا أن باراك يؤمن بأنه فى مقدوره تحقيق المستحيل، وأن "يحل" نزاعا غير قابل للحل نظرا لطبيعته. الذين اعتادوا على التفكير التحليلى وخبراء حل النزاعات يرفضون باشمئزاز القول بأنه ليس للنزاع الإسرائيلى ـ الفلسطينى حلا دائما بسبب طابعه المزمن المتوطن وأسسه الخاصة، فى اعتقادهم، هذا قول انهزامى وتعبيرا عن تشاؤم يؤدى إلى شلل لأن لكل مشكلة حل، المهم فقط أن تدار المفاوضات بحكمة وبحسن النية.

ينبع خطأ هؤلاء من انهم يتناولون هذا النزاع على أنه مجموعة مشاكل يمكن رصدها وحلها بشكل جاد. ولكن غالبا ما يتم تحديد المشاكل بشكل غير جاد، فمثلا مشكلة اللاجئين تنصب فى نظر باراك على أنه (لا يجب أن ترفرف على التسوية الدائمة ظلال نظرية المراحل) المقصود بها تدمير إسرائيل، إسرائيل تلك المسكينة معرضة لخطر الدمار على أيدى الفلسطينيين القادمين. ومشكلة القدس محددة طبقا للحل المرغوب، وليس العكس مثلما يقتضى المنطق اولا يقررون شعارا عاطفيا.

-موحدة إلى الأبد ـ من خلال ادراك بأنه ليس لهذا الشعار مغزى عملى، وبعد ذلك يحلون المشكلة بطريقة ملتوية وغير واقعية. مطلوب من الفلسطينيين حل القضايا الحساسة للإسرائيليين، لأنهم إذا لم يتنازلوا سيجد الإسرائيليون صعوبة فى هضم عمليات الانسحاب بدون مقابل.

من يؤمن بأنه فى مقدوره التوصل إلى إعلان مبادئ متفق عليه يعتمد على مثل هذه المواصفات، يجب أن يعتمد على قدرته لفرض صيغة الاعلان. ليست هناك أى فرصة، وإذا كان رئيس الوزراء يقصد ذلك بجدية، فإنه بذلك يسقط فى خطيئة الغرور.

إن النزاع اليهودى ـ الفلسطينى غير قابل للحل لأنه مكون من روافد كثيرة سياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية ورمزية. من غير الممكن أن نضع له حلا فى شكل وثيقة مبادئ، ولا حتى فى تحديد مشترك لقائمة المشاكل.

إن التسوية النهائية هى تسوية نموذجية، يتكون الطريق اليها من سلسلة لا تنتهى من التسويات المرحلية. والمتعجل، أو العكس، يرفع شعار التسوية النهائية حتى يخلد الوضع الراهن، فسوف يدفع ثمن تهوره.

يجب أن يتبادل باراك الرأى مع صديقه المقرب تونى بلير. فقد سبق أن اعتقد رئيس وزراء بريطانيا أنه قادر على أن يحل إلى الابد النزاع المزمن بشمال ايرلندا، وقد اضطر الآن لأن يعود ويطلب الوساطة الأمريكية، والتى تبدأ بتحديد المشكلة.

إن ضرورة الاعتراف بحدود امكانيات الفرد فى أن يغير النظم العالمية ينطبق أيضا على النوابغ.

ضرورة تنفيذ واى

هآرتس ٤/٨/١٩٩٩

توتر جديد يتسلل مؤخرا إلى علاقات إسرائيل مع السلطة الفلسطينية. والسبب الرئيسى هو مبادرة رئيس الوزراء لتغيير الجدول الزمنى لمراحل الانسحاب طبقا لاتفاقية واى. يفضل ايهود باراك أن ينقل المرحلة الثالثة للانسحاب الثانى إلى التسوية النهائية. يريد باراك، الذى يدرك واجبه لاحترام اتفاقية موقعة، اقناع الطرف الثانى بأن يتنازل عن مطلبه بالتنفيذ التام والفورى. وهو يبرر اقتراح التأجيل بتخوفه من أن يؤدى تنفيذ الانسحاب الآن إلى عرقلة مباحثات التسوية الدائمة بسبب الاحتكاكات التى ستنشأ عن ذلك. والسلطة الفلسطينية تصر من جانبها - حاليا - على تنفيذ مراحل الانسحاب حسب المتفق عليه فى وثائق واى، بسبب هذا الخلاف تعكرت الاجواء بشكل يبعث على الأسف. فى ذروة حماسه لدفع مبادرة التأجيل يستخدم رئيس الوزراء صيغ تثير ثائرة الفلسطينيين. بتهديد رمزى قال عدة مرات ان الاعتراض على اقتراحه سوف يضر مفاوضات التسوية الدائمة. وأضاف يسودها الغرور، ان الفلسطينيين لا يعرفون إلى أى حد هذا المشروع فى صالحهم.

من الطرف الثانى صدرت ردود فعل شديدة، بعضها مبالغ فيه. الخوف من ان تتهرب إسرائيل من تنفيذ اتفاقيات موقعة يلقى بظلاله على الروح الايجابية التى يريد باراك أن ترفرف. يخمن باراك، أن تأجيل بقية مراحل الانسحاب لنصف عام سيؤدى إلى تنفيذها فى موعد قريب من موعد انهاء مباحثات التسوية النهائية. ولكن كثيرا ما اتضح أنه لا يمكن الاعتماد على مثل هذه المواعيد. لقد ضاع وقت كثيرا جدا من خلال عرقلة مستمرة لتنفيذ اتفاقيات السلام. طبقا لاتفاقيات اوسلو، كان ينبغى منذ ثلاثة أشهر بالضبط - ٤ مايو - انتهاء مفاوضات التسوية النهائية. يفضل رئيس الوزراء نفسه التعامل بمرونة مع التواريخ النهائية، مثلما اوضح بالنسبة للفترة الزمنية - ١٥ شهرا - التى يعتقد أنه سيتحقق خلالها طفرة فى عملية السلام. أن المزيد من التأجيل يثقل أكثر على ما يجب تنفيذه.

تعتبر تبريرات رئيس الوزراء مشكلة من ناحية أخرى. فهى تفترض أن تنفيذ الانسحاب فى موعده سوف يثير الاعتراض فى المناطق، وهكذا يعرقل بقية العملية. مثل هذا التحذير من الدم والدموع والعرق يمكن أن يمثل عائقا أمام التقدم وقد يتحقق. لقد جاء هذا التحذير فى اصله كى يحفز على تحقيق الهدف رغم الصعوبات التى على الطريق. تعلم جماهير المستوطنين أن الحكم قد صدر: لقد أصبحت إسرائيل مستعدة لعقد اتفاقيات كاملة فى الضفة الغربية وفى هضبة الجولان. وحذار من أن يؤدى التخوف من رد فعلهم إلى تغيير مسار السياسة الإسرائيلية.

من الأفضل أن يكف رئيس الوزراء عن أن يجعل من اقتراحه صخرة خلاف ومصدرا للشك المتبادل. وفى هذا الصدد يجب على الأطراف ان تتحلى بالصبر والنفس الطويل من أجل الحوار بينها بدون التراشق بالألفاظ مثلما حدث فى الفترة الأخيرة. أن استكمال تنفيذ اتفاقيات واى، بما فيها من مميزات وعيوب، هو المدخل إلى مرحلة التسوية النهائية، وهى الفقرة المعقدة جدا فى تاريخ النزاع، أنها تقتضى الدفاع القوى عن المصالح الإسرائيلية. كذلك تتطلب الحكمة وضبط النفس وتفهم احتياجات الطرف الآخر.

عملية السلام..

هآرتس ٢/٨/١٩٩٩
بقلم: عاموس هرئيل

فى بداية الاسبوع القادم سيقوم طلاب دورة قادة الكتائب والسرايا بجيش الدفاع بتدريبات فى هضبة الجولان. ويعتبر هذا التدريب مرحلة ضرورية فى مسار أى دورة من هذه النوعية. ولكن هذه المرة، عندما أعدوا التدريب، أحس بعض مدربى الدورة بأنها قد تتم فى جو مختلف قليلا. قالوا، ربما تكون هذه هى المرة الأخيرة التى نتدرب فيها فى الجولان.

وهذا الكلام يعتبر فى نظر المدربين وقدامى الضباط برتبة مقدم، غريبا بعض الشئ. أنهم يخدمون فى جيش الدفاع ما يقرب من عشرين عاما وشاركوا فى غزو لبنان والانسحاب الجزئى من هناك، فما بالنا بالعدد الكبير من عمليات الانسحاب وإعادة الانتشار فى الضفة الغربية وقطاع غزة. ورغم ذلك، هل ستتم دورة التدريب بدون هضبة الجولان؟.. انها فكرة تحتاج لوقت للتعود عليها. بدأ جيش الدفاع الآن فى استيعاب التغيير السياسى الذى تبشر به الحكومة الجديدة. يفضل رئيس الوزراء ايهود باراك اخفاء اوراقه. لذلك، قليل من الضباط - فى مناصب عليا ومتميزة - على علم الآن ببواطن الأمور. أغلب الضباط - على المستوى الميدانى على الأقل - يستمدون معلوماتهم من وسائل الاعلام اساسا.

ومن المعتقد أنه كلما احرزت الاتصالات تقدما، فإن جيش الدفاع سيصبح في الصورة أكثر. ولكن إلى جانب المعاني الخاصة بالمستقبل البعيد، فإنه ستكون لاستئناف التحرك السياسي آثار على الجيش في المدى القريب. وهذه هي صورة الوضع على مختلف الساحات:

* سوريا. يعتقد كبار القادة العسكريين أن الفترة الزمنية التي حددها باراك لاحراز تقدم في الاتصالات - ١٥ شهرا - هي فترة واقعية. ويدافع ضابط كبير عن رئيس الوزراء الذي اتهم بأنه تعجل في تحديد مواعيد نهائية بقوله (لقد تمت دراسة جميع الخطط والبدائل في اثناء جولات المفاوضات السابقة). وأضاف (نحن لن نبدأ من الصفر. لقد تعلمنا الكثير منذ مؤتمر مدريد وكان باراك شريكا في هذه الخبرة المتراكمة، حيث كان نائبا لرئيس هيئة الاركان ثم رئيسا للأركان ووزيرا للخارجية).

وقد بدأ فرعا التخطيط والمخابرات العسكرية دراسة هذه الخطط. أما في القيادة الشمالية بجيش الدفاع، فلم تبدأ بعد مداولات جوهرية حول طبيعة الانتشار بعد الانسحاب. ولكن هذه القيادة بالذات هي التي ستطالب باتخاذ خطوات فعلية اولية، حتى قبل التوصل إلى الاتفاق. على سبيل المثال، ماذا يفعلون بميزانية البناء العسكرية؟ هل يخصصونها في العام القادم لاجراء صيانة لمواقع في الجولان، أم الاعداد لنقل قيادة مجموعة عمليات الجولان من غرب الأردن؟ وماذا عن ميزانية حقول الالغام؟ يشمل بند البناء عشرات الملايين من الشيكلات، في الشمال فقط، ولقرار اخراجهم من الجولان مغزى سياسي بالطبع. في تلك الاثناء، هناك دراسة جدوى أولية لمشروع نقل القيادة إلى منطقة الجليل. وبناء قيادة جديدة قد يمتد عدة سنوات، كما أن الجوانب القانونية للاستحواذ على الأرض معقدة. ويتكهنون في جيش الدفاع بأن الجدول الزمني لتنفيذ التسوية، سوف يمتد ما بين عام ونصف وثلاثة اعوام - وهما الفترتان اللتان اقترحهما الطرفان في المراحل الاخيرة للمفاوضات عام ١٩٩٦. كذلك فإن فترة الجلاء هي مسألة لوجستية، حسبما قال مصدر عسكري.

كان معدل الجلاء عن سيناء سريعا نتيجة السرعة في بناء المطارات البديلة في النقب، أما القضية الحاسمة أمام سوريا فترتبط بحدود الاتفاق حول وجود إسرائيلي ما في جبل الشيخ (الحرمون). يتولد انطباع - حذر - في جيش الدفاع بأنه ليس هناك اساس من الصحة للمزاعم بشأن وجود اتفاق بين نتنياهو والأسد حول وضع محطات انذار مبكر، وكم من الوقت سيستغرق بناء (توأم الحرمون) - أى منشآت استخبارية تلعب دور الجبل بالنسبة لإسرائيل. هل تم تقدير تكلفة الجلاء؟ يلمحون في جيش الدفاع بأن هناك جهات مدنية تقوم بالدراسة.

* لبنان: كان تصريح باراك بشأن الانسحاب خلال عام بمثابة رفع الحرج عن الجيش. رغم التصريحات القاطعة ضد الانسحاب من جانب واحد، لم يحبذ جيش الدفاع الدور الذى خصصته له الحكومة السابقة، دور من يمنع السياسيين من الانسحاب.

أن الصيغة المدهشة لرئيس الوزراء، التي لم تنجح في إختبار الواقع، تحل للجيش هذه المشكلة: فسوف يتوقف سفك الدم ومسئولية الاستمرار سوف تقع على كاهل رئيس الوزراء. ورغم التحسن التكتيكي في مواجهة حزب الله خلال الشهور الماضية، فإن جيش الدفاع يعلم انه لن يستطيع انهاء هذا النزاع بالوسائل العسكرية.

ومن الناحية اللوجستية، فإن الانسحاب ليس مسألة معقدة للغاية. يقول ضابط كبير أنه من الممكن الانتهاء منه قبل الصيف القادم. على كل حال، لا يوصي الجيش بإخلاء مواقع عسكرية خلال الفترة الانتقالية، حتى يحل موعد الانسحاب النهائي. ولم ينتهوا بعد في جيش الدفاع من بلورة نظرية الدفاع من خلال الخط الأزرق.

سيكون حجم القوات مماثلا لذلك الموجود على جانبي الحدود حاليا، ولكن مازالت هناك الحاجة لنظرية عملية لاستخدام القوات بهذا الشكل وتحديد البنية الاساسية المطلوبة.

* الفلسطينيون: هذه هي المفاوضات الوحيدة التي تتم فعلا وجيش الدفاع متداخل فيها عن طريق ضباط من فرع التخطيط والنيابة الذين يقدمون المشورة لرئيس اللجنة، المحامي جلعاد شير، الذي هو أيضا عقيد احتياط. من البداية تعاملوا في الجيش بشك مع خطة باراك بتأجيل تنفيذ اتفاق واي.

وخاصة ان ياسر عرفات لن يوافق على التنازل عما وعد به، حسبما قالوا هناك.

وقد فسر باراك تخوفه من تنفيذ الانسحاب بتزايد الاحتكاك بين المستوطنين والفلسطينيين. يعترف أحد واضعي الخريطة أن الاحتكاك سيتزايد، ولكننا ماكنا نوصي بهذه الخريطة، لولم نعتقد أنها ستوفر الأمن. ويؤكد انه لن تتحول أى مستوطنة بعد الانسحاب إلى جيب يهودي. هل تغيير الخريطةوان سيتقرر من جانب الجهاز السياسي ذلك. وعندئذ سوف تعرض عليه عدة رؤى مختلفة، منها امكانية ابقاء جزء كبير من صحراء يهودا في أيدي إسرائيل. على كل حال، فإن الاستعدادات لتنفيذ اتفاق واي، لن تستغرق وقتا طويلا من لحظة صدور التعليمات. ويقول اثنان من كبار ضباط هيئة الاركان، هناك أمر واحد واضح وهو أن عام ٢٠٠٠ سيكون عاما حاسما بشكل أو بآخر. لأول مرة، تصبح إسرائيل قريبة نسبيا من تسوية على المسار السوري - اللبناني وربما الفلسطيني أيضا. ولكن اذا قررت الحكومة التخلي عن هذه الفرصة، فإن جيش الدفاع سيواجه وضعا جديدا تماما، حيث تكون فرص الانفجار الكامنة فيه كبيرة جدا.

*** تزايد تدخل جيش الدفاع: تذكر ضابط بجيش الدفاع - والذي خدم كقائد لواء في الضفة الغربية اثناء اعادة الانتشار - كيف رسم في منزله خريطة الاتفاق المرحلي في القطاع الذي تولى قيادته. يقول (لقد تذكروا في اللحظة الأخيرة أن يبلغوني بضرورة تلوين المناطق B في الخريطة باللون الاصفر. وبعد ذلك اشتكى ابني لأنني انهيت اللون الاصفر من علبة الألوان).** يتكهنون في جيش الدفاع بأنه كلما حدث

تقدم في المفاوضات، كلما تزايد دور الضباط فيها. كما سيكون من الصعب الحسم كيف ندافع عن خط المياه من نهر الاردن بدون التشاور مع قائد اللواء في هذا القطاع أو مع قادته. هذه المرة، وعلى النقيض من الجولات السابقة، سوف يحترس الضباط أكثر من التدخل الساخر في الجانب السياسي. يقول ضابط تمرس كثيرا في هذه النوعية من الاتصالات، انه لا يؤمن بخلق فصل مصطنع بين الذين يبلورون المواقف وبين المتفاوضين. وقال (يكفي أن اللجان لن يرأسها ضباط). كيف سيعرف الجيش الاحتراس من لمس مجال سياسي محظور؟ (لن نوصي بخط انسحاب، بل سنفسر معنى كل بديل. وهذا بصراحة ليس اختلافا هينا).

الخيار غير النووى

هآرتس ٢/٨/١٩٩٩
بقلم: باروخ كيمرلينج

إلى الآن لم ينجح شخص أو مؤسسة في اثبات انه إذا توصلنا فعلا إلى تسويات نهائية ترضى الأطراف: الطوق الداخلي للنزاع (الفلسطينيون - سوريا - لبنان)، فإن التهديدات الفعلية من جانب دول الطوق الخارجي (ايران - العراق - ليبيا - باكستان) ستظل قائمة على حالها. بالعكس، أى تحليل منطقى، سياسى واستراتيجى سيؤدى إلى نتيجة تقول أنه لو كان هذا الخطر قائما فى يوم من الأيام، فإنه سيختفى فعلا لو تحققت تسوية فى اطار الطوق الداخلى. فمنطق وشرعية الخطر من جانب دول الطوق الخارجي قائما على وجود نزاع مباشر بيننا وبين الفلسطينيين والدول التى قمنا باحتلال اجزاء من اراضيها. من المفترض أيضا أن مثل هذا الحظر، على الأقل بالنسبة لاستخدام اسلحة غير تقليدية، لم يكن موجودا اصلا، خاصة أن هذا السلاح غير موجود لدى هذه الدول وليس لأنها خافت من رد الفعل الإسرائيلي. من المفترض أنه لا توجد فعلا دولة اسلامية أو عربية ستهاجم بأسلحة الدمار الشامل بلدا به عدد من العرب والمسلمين يوازى تقريبا عدد اليهود الصهاينة، وكذلك لوجود مقدسات اسلامية به. فلو أضير هؤلاء فإن الدولة التى ستتحمل المسئولية، ستظل ملعونة إلى أبد الأبدين.

تعيش إسرائيل وضعا يذكرنا بالحيرة التى سادت الولايات المتحدة بعد انهيار (مملكة الشر)، والتى أدت إلى البحث المستمر عن عدو بديل.. ونحن أيضا، حتى قبل أن نسوى امورنا مع جيراننا داخل (الحى)، نضع لأنفسنا اعداء وأخطار خارج (الحى). وهذه الاخطار تكون ذاتها بمفهومين: فى الداخل تغيير النظرية الأمنية وتنظيم الجيش - فى صورة وضع اساليب والحصول على اسلحة - تتيح لنا الرد. أى، إذا هوجمت إسرائيل من على بعد بأسلحة غير تقليدية ودمرت كلها، ستظل هناك امكانية، وفقا لآراء اجنبية، لتوجيه ضربة غير تقليدية. (من داخل غواصات وربما أيضا طائرات)، والتى سترد ع مسبقا مثل هذا المعتدى. أما المفهوم الثانى لتحقق هذه التهديدات، هو انه لو علمت دول الطوق الخارجى اننا نبنى (خيار الضربة الثانية) فسوف يشعرون بالخطر - وهو الأمر الذى سيحفز هذه الدول على الحصول على نفس الخيارات وتظل تنظر الينا على أننا خطرا كبيرا وعدوا رغم التسويات التى ستتحقق فى اطار الطوق الداخلى.

وسينعكس هذا الوضع أيضا على علاقاتنا مع جيراننا (وبخاصة مصر وسوريا)، الذين سيشعرون بالطبع بعدم الارتياح وعدم الثقة التى تزداد إزاء هذه التطورات. عامة، "الخيارات النووية" مثل المخدرات، فهى تدفع للادمان، وكلما استخدمناها كثيرا، كلما ازدادت الشهية لها وتطويرها. نتيجة وجود الخيار النووى الإسرائيلي - حسبما تقول مصادر اجنبية - تبدو فى نظر الدول العربية كمنطقة مشبعة بمواد غير تقليدية بكافة انواعها. هذا الوضع سيكون كالسيف المسلط على رقبتنا. وهذه الاسلحة، كلما كانت متطورة، كلما كانت أكثر عرضة للخطأ والفشل. فشل واحد قد يؤدى إلى اضرار بالغة لا يمكن تخليها، ولذلك يجب أن نعيد التفكير فيها. ذلك لأنه فى هذه المواقف - حتى لو كان احتمالا ضعيفا - يجب حساب النتائج بشكل مضاعف فى حالة وقوع خطأ أو فشل. الانتقال إلى خيار الضربة الثانية يعتبر قفزة سواء بالنسبة لحجم الضرر أو بالنسبة لاحتمال وقوعه. وهكذا وبدون وضع العناصر السياسية السالفة فى الحسبان، وبدون التطرق إلى التكلفة الاقتصادية الباهظة، يجب أن نعيد من جديد دراسة ما إذا كان الدواء (أى تحقيق الأمن عن طريق خيارات غير تقليدية) لن يكون قاتلا أكثر من المرض ذاته (أى هجوم محتمل على إسرائيل من دول الطوق الخارجى).

حتى الآن كان الحوار الأمنى فى هذا الموضوع حكرا تماما على مجموعة صغيرة من العالمين ببواطن الأمور وكانوا ايضا من اصحاب المصالح المحفوظة طوال السباق المرهق الذى نعيشه منذ ٣٠ عاما. مؤخرا بدأ هذا الاحتكار يتهاوى، ولكن مازال بعيدا عن الحوار العام الحقيقى بين الخبراء الذين ليست لهم مصالح والمنغلقين على نظريات قديمة. ولكن إلى جانب وضع التسويات التى تقتضى فعلا بناء (جيش سلام) وجيش تكنولوجى.

يجب أن ندرس بجدية خطوات تؤدى جنبا إلى جنب مع عملية السلام وكجزء منه للتخلى التام عن أى خيار نووى. مثل هذه الخطوة يمكن أن تثمر عن نتائج درامية وتحررنا من تهديدات وأخطار حقيقية اكثر من اختراع اعداء جدد.

إنها بداية غير سليمة

هآرتس ٤/٨/١٩٩٩
بقلم: جدعون ساميت

إن هناك شيئا ما جدير بالدراسة فى الأزمة مع الفلسطينيين حول تطبيق إتفاقية "واى". فهى تدل إلى أى مدى، رغم الروح الجديدة فى سلطة جديدة، لا يفهم بعضهما البعض. فإن رئيس الوزراء لا يقصد، حاش لله، أن يهين القيادة الفلسطينية. و لكنه يهين بالفعل. لقد إتخذت الحكومة هذا الاسبوع بيانا بدون نقاش ولا قرار، بأن الانسحاب سيبدأ فى أكتوبر. وقد علم عرفات بالبيان من الراديو. فلماذا يبدأ رئيس الوزراء طريقه للسلام بعدوانية كهذه؟

إن السبب البسيط هو أنه حسب رأيه فإن ترحيل المرحلة الثالثة من الانسحاب الثانى إلى التسوية الدائمة أفضل للمصلحة الإسرائيلية. والسبب الثانى أكثر تعقيدا، فإن إيهود باراك لا يريد أن يؤذى. ولكنه ببساطة تنقصه الحساسية بأن أسلوب كهذا لإدارة الموضوع سوف يصيب الفلسطينيين بالأذى (سوف يجرحهم) وباحتمالات نجاح مبادرته وعلى ذلك سوف يضر بالمصلحة القومية كما هو نفسه يراها. إنه يتطلع فقط للأحسن. إن أقواله مليئة بمعانى السلام. فهاهو قد نزل على درجات السلم عند حاجز إيرز نحو عرفات ومنحه الاحترام بل وعانقه كما ينبغى أن يكون الأمر، ولكن من كل إتجاه آخر غرس فيه الإبره تلو الإبرة.

إن الإعلان عن خطة باراك قبل مناقشتها مع عرفات ليست فقط خطأ تكتيكى، مثلما قال عرفات نفسه فى لحظة إندهاش طبيعية: إن الإسرائيليين كانوا يستطيعون إنجاز أكثر من ذلك بالتفاوض السرى. ويقول المستشرق عمنوئيل سيفان أنه من الممكن أن نتفهم جيدا مشاعر الاهانة لدى الفلسطينيين. فهم يرون مرة أخرى شيئا ما مترجم للغة الواقع فى النفس السياسية الإسرائيلية والتى اعتقدوا أنها ستتغير فى السلطة الجديدة.

بشكل مفاجئ، يتجاهل باراك الانطباع الذى خلفه لدى الوعى الفلسطينى خلال سنوات نتنياهو الثلاث. وهذا أمر غريب حيث أن صعوده للسلطة إرتبط بأخطاء الحكومة السابقة وبالوعد بإصلاح تلك الأخطاء. ولكن بنوع من الوصاية الجارحة يقول للزعيم الفلسطينى أنتم لا تعرفون إلى أى مدى إقتراحى جيد لكم. وبينما كان يخطئ باراك بالنسبة لشركائه فى المفاوضات، فإنه كان يرسخ الزعم الآخذ فى التوغل هناك، أنه فى نهاية الأمر لا يجب أن نتوقع منه فارقا كبيرا فى التوجه عن سابقه. وكذلك فإن تاريخه العسكرى وتحفظه على أوسلو يدخلان للرأس الفلسطينى أفكارا من بينها أساطير مختلطة بالخيال. لذلك كان الوزن الثقيل لتصرفات باراك وبالذات فى تلك المراحل الأولى.

ورغم كل ذلك، فقد أعرب عن دهشته فى موسكو من الفلسطينيين ومرة أخرى أومأ بتهديدات. وقال أن أى محاولة لتصعيب إقتراحه بالنسبة لموضوع الانسحابات "يثير الدهشة فى صدورنا" إذا ماكانوا بالفعل ينوون الوصول إلى تسوية. هكذا بهذا الإسلوب وبكل هذه السرعة.

فى المنافسة على المخاوف فى النزاع اليهودى - العربى سوف ينتصر اليهود بسهولة. ولكن لماذا لا نأخذ فى الحسبان أيضا بعض المخاوف الفلسطينية. ففى بناء فكرة وردود أفعاله، كما شكلت على مدى سنوات عديدة، فإن رئيس الحكومة تنقصه على ما يبدو المشاركة الوجدانية المطلوبة. تفهم للمسألة الفلسطينية بالفعل، معرفة وتنظيم. نعم، ونية حسنة أيضا نعم. ولكن مشاركة وجدانية لا. وبالذات الآن فى الطريق للتسوية النهائية، فإن عرفات ورجاله فى حاجة لدلائل على أن باراك يختلف عن سابقه. ولكنهم لا يستشعرون ذلك بشكل كاف.

إن هذا العيب الفاتر، والذى تم التعبير عنه بمواقف مختلفة مؤخرا، من المحتمل أن يضر أيضا بمسيرة التأجيل الحساسة التى إقترحها باراك. فبدون تلك اللمسة المنعشة من الدفء والثقة، من النوع الذى يعرف كيف ينقله عيزر فايتسمان، فإن الفلسطينيين سيفضلون عدم تأجيل أى أمر إلى بعد غد إذا كانوا يستطيعون الحصول عليه غدا. إن الطرف الآخر يلعب كشريك ليس سهلا. فإن مناخ الأزمة التى خلقها هى أيضا جزء من مناورات التفاوض الكلاسيكية.

وربما بعد جولة أولبرايت فى المنطقة سوف يكون من الممكن إيجاد ترتيبا ما من الأخذ والعطاء والذى يمكن إتاحة تأجيل جزء من الانسحاب. ولكن أضرارا زائدة عن اللزوم تحدث فى المرحلة التى يتم فيها تشكيل العلاقات النفسية لباراك مع الفلسطينيين. إنها بداية ليست سليمة.

ماهو أكثر عمقا.. أكثر وردية

معاريف ٣/٨/١٩٩٩
بقلم: نداف هاعيتسانى

منذ أكثر من شهر ونحن نتفاعل مع هجوم النبوءات السياسية لرئيس الحكومة الجديد، والذى يواكبه مساعدة مدفعية ثقيلة من أجهزة الاعلام المختلفة، بتفوهات كلامه أغلق باراك نبوءة آخر الأيام خلال ١٥ شهرا، وقفزنا لنأكل الحمص فى دمشق، وها نحن ننهى تفاصيل ملحق الاتفاقية الدائمة مع الدولة الفلسطينية.

ليس واضحا إن كان المقصود هو الإنهاك من شدة حرارة الصيف أم نتيجة لسحابة تعتيم والتى سقطت على الدولة، و لكن ما يبدو هو أننا مؤخرا تحللنا من منطقنا الجماعى، وسلمنا خلايا الذاكرة القومية إلى أمر لا جدوى منه.

إن حقيقة وجود سياسيين وصحفيين من ذوى المصالح يحاولون إقناعنا بقصص مسيحانية من معبد شيمون بيريز.. ليست بجديدة.

إن حافظة نبوءات الأكاذيب قد تم نشرها رسميا فى أواخر عام ١٩٩٣ وتحولت إلى مهزلة مشبعة بالدماء بعد ذلك. فحينذاك جعلونا بالفعل أثرياء على حساب أغنياء دبى، وقفزنا فى الظهيرة إلى قصر الأسد، وبالطبع - عرفات دمر من أجلنا الارهاب.

اليوم، حتى من حول إيهود باراك يعربون عن إستيائهم للمسيحانية الخطرة لهُراء أوسلو، ولكن حتى تلك الحقيقة لا تغير من حملة الخداع الجماعى التى ننسجها لأنفسنا. ومن أجل أن نستمتع بالنبوءات الوردية، فنحن نجعل من أنفسنا أولا وكأن مائدة التفاوض الكريهة قد طهرت. إن كل المعطيات الإجرامية إزاء شركائنا فى حملة السلام تصرخ وتدوى، ولكننا كالعميان تماما.

على سبيل المثال، فى الوعى الجماهيرى عندنا، تبدو إسرائيل أنها لا تلتزم ببنود الاتفاقيات مع الفلسطينيين. أما حقيقة أنه قد أعلن ألف مرة عن أن الفلسطينيين قد خرقوا إلتزاماتهم فى إتفاقيات واى والخليل، من كميات الأسلحة، والمناطق الفاصلة، وتفكيك أسلحة حماس، وعدد الجنود الفلسطينيين.. وحتى التحريض.. كل ذلك لا يؤخذ فى الاعتبار.

قبل اسبوع نشر مقال فى "يديعوت احرونوت" حول حملة التحريض المنهجية التى تدور ضدنا فى كتب التعليم الفلسطينية. إن تلك المعطيات قد نشرت وأذيعت بتوسع فى برنامج الراديو الذى أعده قبل حوالى نصف عام. ولكن مثلما لم تحظ بأى إهتمام إعلامى حينذاك فإنها لن تحظى بالانتباه الجدير الآن أيضا.

إن موضوع تعليم الأولاد دلالى بشكل خاص. فنفس أولئك الأشخاص الذين يجلسون معنا لمباحثات التفاوض حول صورة التعايش بين الشعوب هم اولئك الذين يعطون الأوامر لكتابة الكتب التعليمية، والتى تشرح لأطفالهم أننا أشباح نازية واد يجب محونا من على وجه الأرض.

هل يوجد لذلك أهمية أو مغزى؟ ليس من جانبنا. فمن يكرر ويطرح تلك المعطيات غير اللطيفة ينظر إليه كمزعج أو كمن يبحث عن الذرائع. إن المطالبة بالتبادلية قد دخلت بالفعل إلى صندوق النكات (الضحكات) المنسية لنتنياهو.

وكذلك عندما نتناول هضبة الجولان المحبوبة والتى يرتادها المتنزهون، فإن التجاهل يكون تاما. تلك الحقيقة لا تهز مشاعر أحد. والادراك القائل بأنه بدون ترانسفير كامل للمستوطنات وبدون إدخال السوريين إلى "حامات جادير" لن نحصل حتى على ذلك الاتفاق البارد، الهش والخطر والذى يعدوننا به، ذلك ليس فى الحسبان ولا يؤخذ فى الاعتبار.

ويبدو أنه إذا ما نجح إيهود باراك فى قمع معكِّر المناخ العام، محافظ البنك المركزى يعقوب فرنيكل، وإذا ما نجح قليلا فى تحسين الأجور، فإن الأوهام ستصل إلى ذروتها. وليس ببعيد أنه فى الاسبوع الماضى قد تم توبيخ وزير المالية بعنف عندما صور مستقبلا إقتصاديا رماديا ومحبطا. إن أقوالا كهذه لا تساعد على إحتمالات وفرص الانتصار فى الاستفتاءات الشعبية حول الجولان أو حول إقتلاع مستوطنات الضفة الغربية. فالضفة أصبحت واضحة: إذا ما حصلنا على نسبة واحد أو إثنين فى المائة زيادة فى الأجور فسوف نحذف بطيب خاطر أيضا الأحزمة القومية الأمنية وشهادات ملكية أراضى المستقبل. وبعد كل شئ وراءنا الطوفان.

لا تعطوهم طائرات

هآرتس ١٩٩٩/٧/٣٠
بقلم: زئيف شيف

قبل أن تستأنف إسرائيل المفاوضات مع سوريا ومع الفلسطينيين، عليها أن تنتهي من التفاوض مع واشنطن فيما يتعلق بدور الولايات المتحدة في تسويات السلام، والحصول على إجابات واضحة لقضية تواجد قواتها في هضبة الجولان المنزوعة السلاح بعد إنسحاب إسرائيل، وكيف ستتصرف إذا ما تم خرق الاتفاقيات وسوريا تعرض إسرائيل للخطر بإجراء عسكري مفاجئ.

إن أمامنا مساران منفصلان - أمريكي وعربي، والمرتبطان بعضهما ببعض. ونتائج التفاوض على المسار الأمريكي ستؤثر على مواقف إسرائيل. هكذا كان الوضع أيضا في الماضي. فإسحاق رابين، كرئيس للحكومة في جولته الأولى، لم يستكمل الاتفاق الانتقالي في سيناء وإتفاقية فصل القوات في هضبة الجولان قبل أن يصل مع هنري كيسنجر إلى تفاهم حول إلتزام أمريكا نحو إسرائيل. وقد كان الاتفاق الذى أنجزه آنذاك من الإدارة الأمريكية، واحدا من أحسن الاتفاقات التى حصلت عليها إسرائيل على الإطلاق.

وموضوع هام آخر هو ما يعرف بـ "صفقة التعويض" الأمريكية لإسرائيل فى حالة الانسحاب من هضبة الجولان، والتى أساسها معدات إنذار تبلغ مليارات الدولارات. إن ذلك الموضوع قد تم بحثه مع واشنطن، كذلك فى فترة نتنياهو، وسوف يجد باراك على مكتبه عملا منظما والذى أعد فى الجهاز الأمنى.

إن تجربة الماضى تعلمنا، أنه أيضا فى مباحثات مشابهة مع الأمريكان قد تمت أخطاء. فعلى سبيل المثال، كيف حدث أن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت فى تزويد جيش مصر بالسلاح الحديث للغاية وحولته إلى جيش قوته تفوق بكثير قوته وقت حرب عيد الغفران (أكتوبر).

إن الأمر بدأ عندما أعلن كيسنجر بعد إتفاق السلام بين مصر وإسرائيل عن بيع طائرات نقل للسلاح الجوى المصرى. وقد تم التأكيد حينذاك على أن المصريين لن يحصلوا على أسلحة هجومية، والبقية معروفة.

ويكفى أن نقارن السلاح الجوى المصرى اليوم بعشرات الطائرات الـ F - 16 التى فى حوزته بسلاح الطيران المصرى فى عام ١٩٧٣، والذى كان مزودا بالمبيج الروسى المنحط فى المستوى.

إن بيع أسلحة أمريكية لسوريا غير مقبول فى الوقت الراهن. فالسوريون غارقون منذ سنوات فى السلاح الروسى بأنواعه. وحتى فى هذه الأيام التى يتبادل فيها الأسد المجاملات مع باراك، فإن السوريين يديرون مفاوضات مع الروس حول صفقة أسلحة كبيرة. ولكن رغم ذلك حذار من تجاهل إمكانية عقد صفقات أسلحة أمريكية مع سوريا فى المستقبل. وكذلك الوضع هنا يمكن أن يبدأ مثلما حدث مع المصريين، ببيع طائرات نقل ومعدات دفاعية وبعد ذلك التطرق لمبيعات أسلحة هجومية بل وبتزويد طائرات قتالية حديثة. فالضغوط على الادارة الأمريكية من جانب الصناعات الأمريكية العسكرية والتى تتطلع لبيع أسلحة تقريبا بأى شروط، ستكون ضغوطا كبيرة.

إنه موضوع هام وطارئ، ولا يجب تأجيله إلى فترة ما بعد توقيع الاتفاقيات. من المهم الحصول على تعهد من جانب الرئيس الأمريكى، أنه بحلول السلام لن تبدأ مسيرة يبنى فيها الأمريكان جيشا عصريا للسوريين على غرار ما فعلوا فى مصر.

إن البيان الأمريكى - الإسرائيلى المشترك الذى صدر فى نهاية زيارة باراك لأمريكا، جاء فيه من ضمن الأمور، أن الولايات المتحدة ستساعد إسرائيل على تقليل إحتمالات الخطر الذى ستأخذ على عاتقها بمسيرة السلام. إن تقليل المخاطر لا يجب أن يتبلور فقط فى الحصول على معدات حديثة من الأمريكان، بل أيضا فى منع صفقات السلاح مع السوريين. ونحن لسن بصدد معارضة إسرائيلية لمعونة إقتصادية لسوريا.

على العكس يجب حث الأمريكان والمجتمع الدولى على مساعدة سوريا من الناحية الاقتصادية. إنها المساعدة التى تحتاجها سوريا أكثر من أى شئ آخر. ولكن ليس الأمر كذلك عندما يكون المقصود هو بيع أنظمة سلاح حديثة لسوريا فى المستقبل. وإذا لم يكن كذلك فإن إسرائيل ستنزلق إلى وضع تهكمى، والذى فيه تحصل من أمريكا على تعويض عن الانسحاب من الجولان وفى نفس الوقت ستجد أنهم يطورون الكفاءات العسكرية السورية بأسلحة أمريكية، وبذلك ستنجرف إلى سباق تسلح لم تكن لتتوقعه.

الجولان وطبيعة الخير

معاريف ١/٨/١٩٩٩
بقلم: يحيعام فايتس

إن مصير مستوطنات الجولان يمثل قضية مزعجة والتى لا مفر من الانشغال بها، وبكامل الجدية. فمن عدة نواحي تعتبر تلك المستوطنات مختلفة عن المستوطنات التى أقيمت فى مناطق أخرى والتى احتلت فى حرب الستة أيام (١٩٦٧). والناحية الأولى أننا هنا لسنا بصدد عملية إستيطانية نشأتها خطأ. وذلك على النقيض التام للمستوطنات التى فى قلب الضفة، والتى كان سبب إقامتها الجوهرى هو إعاقة عجلات السلام، والدعوة للتحدى على صلاحيات السيادة الإسرائيلية. فقد كان ذلك هو الوضع بالنسبة لمستوطنة "قوديم" التى أقيمت فى أواخر عام ١٩٧٥ وكانت بمثابة أحد المسامير الأخيرة فى نعش حكومة رابين الأولى، وكذلك كان الحال فى مستوطنات "مأحازيم" والتى أقيمت قبيل الانتخابات الأخيرة.

وهى أيضا تختلف عن مستوطنات قطاع ياميت والتى أقيمت بعد قضية مؤلة ولكن نسبت لإنقاذ قبائل البدو التى عاشت على مداخل رفح.

ولكن على النقيض من ذلك فإن أناس الجولان هم فى الحقيقة خيرة البلاد. لقد ذهبوا للعيش فى قطاع من الأرض غير مأهول بالسكان وأقاموا فيه المجتمعات الاستيطانية الرفيعة المستوى والمصانع والمنشآت الصناعية. لم يكن هدفهم سياسى بل ريادى بحت، وعلى النقيض من أناس "جوش أمونيم" (المتطرفين)، فهم بالفعل لهم الحق فى أن يروا فى أنفسهم من يكملون (أتباع) المشروع الاستيطانى الكبير فى العشرينات والثلاثينات، من أمثلة مواقع نهلال، ومشمار هاعميق وحانيتا، والمقصود به المشروع الذى استمر لأكثر من ثلاثين عاما، فإن أطفال الجولان هم الجيل الثالث للمستوطنين الأول، وأولئك الذين وصلوا لهناك فى عام ١٩٦٧ كشباب صغار هم اليوم على مشارف سن التقاعد.

وبرغم كل ذلك، فإنه فى حالة الوصول إلى إتفاق سلام، فلن يكون هناك مناص من إجلاء المستوطنات. وهذه النتيجة القاسية والتى لا يمكن منعها تنبع من سببين. السبب الأول هو السابقة المصرية.

إن مناحم بيجين الذى كان من أشد المؤمنين بالمشروع الاستيطانى، آمن بأنه بتضحيته لمدينة ياميت وبمستوطنات القطاع فإنه يضمن إستمرار السيطرة الإسرائيلية على الضفة. وفى هذا الصدد فإنه من الجدير أن نتساءل.. هل وجهة نظر أخرى، أكثر براجماتية (عملية) كانت من الممكن أن تنقذ القطاع من الاستئصال. ولكن هذا السؤال المزعج هو سؤال أكاديمى بشكل تام. ففى الواقع فإن حقيقة أن مصر قد تسلمت سيناء حتى حبة الرمل الأخيرة هى سابقة لن تسمح بأية إحتمالات لمستوطنات الجولان.

والسبب الثانى هو السؤال المطروح ماذا يوجد بكفتى الميزان.

ففى كفة يوجد مشروع إستيطانى فاخر والذى يرى فيه الآلاف من الناس قرة أعينهم وروحهم. و فى الكفة الأخرى يوجد مستقبل ومصير المجتمع، والفرصة لمنع جولة إضافية مع السوريين، ولجلب - لمرة واحدة وللأبد - نهاية للتراجيديا اللبنانية، والامكانية لتغيير، وبشكل حاد، الوضع الاستراتيجى لدولة إسرائيل. فلا مناص من حسم تراجيدى ولكن واضح ومؤلم ولا يقبل أكثر من تفسير. فهل هذا الحسم هو ضد الصهيونية؟ بالعكس، فنحن بصدد حسم هو بمثابة الطريق الملكى للصهيونية.

لقد كتب دفيد بن جوريون فى مذكراته فى الثالث من ديسمبر ١٩٤٧، بعد أيام معدودة من تصديق الأمم المتحدة على قرار التقسيم "أنه على الرغم من أن القدس قد أصبحت دولية، وعلى الرغم من أنهم تقريبا لم يمنحوننا جبال، وعلى الرغم من أنه قد ظلت أكثر من ثلاثين موقعا (تابع لنا) فى منطقة عربية، على الرغم من كل ذلك فإن التاسع والعشرين من نوفمبر هو من الأيام العظيمة للغاية فى تاريخنا".

لقد كتب "يشعياهو ليبوفيتش" فى مقاله الرائع (بعد كيفيا): إن المشكلة الاخلاقية تثار بكل شدة فى التصادم بين الطبيعة الخيرة والطبيعة الشريرة، فإن إبادة الطبيعة الشريرة بواسطة الطبيعة الخيرة للإنسان هى أمر صعب، ولكن ليس معضل". إن إجلاء مستوطنات الجولان سوف يضع الجمهور الإسرائيلى وقيادته أمام إختبار سياسى وأخلاقى لن يكون هناك أخطر منه. ويجب أن نأمل أن التفهم، والأمل واحترام ضغوط الواقع ستنتصر على الغوغائية، والتحريض، والترويع وكذلك على الألم الفظيع.

العملية التى انطلقت من قصر الحسن

هاتسوفيه ٢٦/٧/١٩٩٩
بقلم: حجاى هوفرمان

لقد كتب الكثير جدا عن أن السلام البارد بين إسرائيل ومصر قد تم لأول مرة فى قصر الملك الحسن بالمغرب، من خلال لقاء سرى بين حسن التهامي والراحل موشى ديان. سيتذكر الجميع أن الزيارة جيدة الترتيب التى قام بها شيمون بيريز لقصر الملك بالرباط منذ ١٣ عاما فى ٢٢ يوليو، ويتذكرون هبوط طائرة رابين وبيريز فى الرباط بعد التوقيع فى واشنطن على اتفاقية أوسلو، وزعماء إسرائيل الذين توافدوا على بوابة القصر. ولا نتذكر الا القليل عن المساهمات المغربية السلبية فى عملية السلام بالشرق الأوسط، مثل القرار الذى اتخذ فى مؤتمر القمة العربية بالرباط منذ ٢٥ عاما، فى أكتوبر ١٩٧٤ بأن منظمة التحرير بزعامة ياسر عرفات هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ومن ثم فهى المسئول عن مستقبل يهودا والسامرة وليس الملك حسين، الذى سلبت صلاحيته للتفاوض مع إسرائيل. ونتذكر قليلا انه فى الرباط هبط زعيم آخر بعد توقيع اتفاق سياسى فى الشرق الأوسط، أنور السادات، بعد أن وقع على اتفاق كامب ديفيد، ولكن الحسن رفض أن يمنحه التأييد العلنى للاتفاق مع إسرائيل، وبذلك وضعه فى عزلة داخل العالم العربى.

وكانت للحسن مساهمة أخرى، سلبية بالتأكيد. يتضح من الاعلان الذى اذاعه شيمون بيريز، أن الحسن رتب لقاء بينه وبين عرفات فى الوقت الذى اقسم فيه زعماء حزب العمل بالقضاء على منظمة التحرير. وتكلم بيريز مع عرفات. كان هذا جزءاً من كل الأكاذيب والخداع الذى أدى إلى عملية أوسلو، والتى نأكل ثمارها المريرة، للأسف الشديد إلى يومنا هذا.

على النقيض من آمال السبعينات، عندما تبلور فى قصر الملك الحسن السلام المصرى - الإسرائيلى بات من الواضح اليوم المساهمة السلبية لمصر فى العملية السياسية. يسود مكتب ايهود باراك غضب شديد من مبارك، الذى ينظر اليه كمن يحاول نسف التفاهم مع الفلسطينيين. فقد اتضح من معلومات وصلت إلى القدس أن مبارك يحرض عرفات حتى يتعنت فى مواقفه وعدم الموافقة على الاقتراح الإسرائيلى. بالضبط مثلما فعل فى السنوات الثلاث الأخيرة لحكم نتنياهو. سيحاول باراك اقناع مبارك يوم الخميس بأن يقنع عرفات حتى يؤيد الصفقة الإسرائيلية، التى سيطرحها غدا على عرفات. سيحاول باراك اقناع عرفات بصفقة تقوم على تسليم المعتقلين وإنشاء ممر آمن لو وافق عرفات على انسحاب إسرائيلى بسيط فى المرحلة. يتضمن الاقتراح تنازلات إسرائيلية عن جزء من التعهدات الفلسطينية فى اطار اتفاق واى، وتنفيذ عدة بنود فى الاتفاق والتى تهم الفلسطينيين للغاية وموافقة فلسطينية على الانسحاب بنسبة صغيرة الآن وتأجيل الباقى حتى التسوية النهائية. وقد تبلور فى مكتب رئيس الوزراء الاستعداد للتنازل عن جزء من التعهدات الفلسطينية (التبادلية)، مثل التدقيق فى حجم الشرطة الفلسطينية أو جمع الأسلحة غير المرخصة، مقابل تنفيذ بنود هامة للفلسطينيين مثل الافراج عن المعتقلين حتى الذين تورطوا فى قتل يهود، من خلال مرونة فى المواصفات، والفتح الفورى (للممر الآمن) حتى يخلق لدى الفلسطينيين مناخا طيبا بعد تسهيل الانتقال بين القطاع ويهودا والسامرة. كذلك فإن باراك مستعد لتقديم تنازلات إسرائيلية عن بنود معقدة من جانب الفلسطينيين مثل شق طريق دائرى يتفادى العروف، وهو الطريق الذى يثير غضب الفلسطينيين. هذا مقابل موافقة عرفات على تنفيذ جزء صغير من الانسحاب خلال الشهور القادمة ودمج بقية الانسحاب فى الاتفاق الدائم.

إلا أننا ندرك من تصريحات الفلسطينيين أن فرصة قبول عرفات لذلك العرض هى فرصة ضعيفة، سواء بسبب ضغوط مبارك أو بسبب أن عرفات نفسه يحاول أن يوفق أوضاعه مع

فى شاس حسموا الأمر: مستعدين للنزول من الجولان

معاريف
٢١/٧/١٩٩٩
بقلم: أريبه بندر

شاس "خرجت عن الإطار" فى موضوع هضبة الجولان، وتقف على يسار رئيس الحكومة "ايهود باراك": فحسب الاستفتاء الذى أجرته صحيفة معاريف فإن وزراء "شاس" وأغلبية كبيرة من أعضاء الكنيست من الحزب، يؤيدون الانسحاب من هضبة الجولان فى إطار تسوية مع سوريا بشرطين هما:

ضمان ترتيبات أمنية وتأييد من مجلس الحكماء وعلى رأسه الحاخام عوفاديا يوسف.

لقد اعطى الحاخام عوفاديا يوسف فتوى عام ١٩٨٩: "إذا ما إتضح بما لا يدع مجالا للشك، أنه سيحدث

سلام حقيقي بيننا وبين جيراننا العرب إذا ما أعيدت لهم الأراضي، وفي حين يوجد خطر بنشوب حرب إذا لم تعاد لهم الأراضي، فيجب إعادة الأراضي لهم. فالحفاظ على حياة الإنسان يتقدم على الأولوية على الاحتفاظ بالأرض".

أطلق تلك الفتوى، الحاخام عوفاديا، وأعضاء الكنيست لكتلة شاس ووزرائه، يعتمدون على هذه الفتوى بعد مضي عشرة أعوام، في الوقت الذى تعتبر فيه تلك الفتوى موضوعية أكثر من أى وقت آخر في الماضي. وفيما يلي مواقف الوزراء ومعظم أعضاء الكنيست كما عرضوها بالأمس:

- وزير العمل والرفاهية إيلي يشاي : من الواضح أن مجلس الحكماء هو الذى سيقرر. فرجال الدين (الحاخامات) يأخذون في الإعتبار الأمن الشخصي والقومي في أي قرار يتعلق بإعادة الأراضي.

- وزير البنية الأساسية إلياهوسويسا : إن كل واحد من بين حوالي ٥٠٠ ألف والذين صوتوا لشاس قالوا أن ما سيقرره الحاخام عوفاديا يوسف، هو ما سنذهب إليه. وعلى الرغم من وجود حنين في الوعي نحو الجولان، فإن ناخبي شاس لديهم حنين أكثر نحو جبل موسى بسيناء.

- وزير الصحة شلومو بنيزري : «ما سيقرره الحكماء سوف يكون رأيي، أما رأيي الشخصي هو أن للجولان أهمية إستراتيجية.

- وزير الأديان إسحاق كوهين : حالياً الأمر كله إفتراضي وعندما يصل بكل التفاصيل إلى مجلس الحكماء سوف يضطر لإتخاذ قرار ويميل قلبي إلى دفع عملية السلام.

- عضو الكنيسيت مشولام نهاري : لقد خدمت في فترة الإحتياط في قوات الدفاع الجوى في موقع بجبل الشيخ. وجلست هناك وشاهدت من مكاني السوريين من خلال فوهات البنادق، وأنا أقول أنه يجب علينا عمل السلام مع سوريا.

- عضو الكنيست نسيم زئيف . إنني مؤمن بالسلام مع سوريا وأنا أعتقد أن ذلك ضرورة حيوية لشعب إسرائيل. وإذا إفترضنا أن إيهود باراك سيعرض أمامنا تسوية سلمية تتضمن ترتيبات أمنية مُقنعة وأن الإنسحاب من الجولان يتم على مراحل وأن الأراضي التي سيتم إخلاؤها سيتم نزع سلاحها، فأنا متأكد في هذه الحالة أن شاس وناخبيها سوف يؤيدون السلام.

- عضو الكنيست نسيم واهان : إن أي سلام وحتى سلام بارد مع سوريا أفضل من وضع الحرب وسفك الدماء. وليس عندى أي شك أنه من أجل الوصول لسلام سنضطر للتنازل عن أجزاء في الجولان.

- عضو الكنيست دفيد أزولاي : إنني هادئ وصامت لأنني أستند على فتوى الحاخام عوفاديا وأيضاً على التأكيد بالذهاب لإستفتاء شعبي.

- عضو الكنيست أمنون كوهين : إنني يميني في أفكاري ولا أريد التنازل حتى عن ميللمتر واحد من أرض إسرائيل. وإبني بدأ لخدمة اليوم في جيش الدفاع لإسرائيل وسيذهب لوحدة قتالية. ومع ذلك فسوف أتقبل بالطبع بدون أي نقاش أي قرار لمجلس حكماء التوراة.

- عضو الكنيست يتسحاق فيكنين : ليست هناك حاجة لأن تكون عبقري كبير حتى تدرك أنه يوجد إجماع بين الشعب مؤيداً للسلام مع سوريا. وحسب رأيي لن يُتاح الوصول إلى تسوية مع السوريين بدون التنازل عن هضبة الجولان.

- عضو الكنيست عوفر حوجي : لن نستطيع أن نستمر هكذا لمدة سنوات عديدة بدون سلام مع سوريا. لقد خدمت حوالي عامين في لبنان وأعرف جيداً ماذا تعني السيطرة على شعب محتل.

- عضو الكنيست يائير بيرتبس : إن موقفي هو ممنوع النزول من هضبة الجولان وإن التنازل عن الجولان معناه دعوة للحرب. ومع ذلك فإنني ملتزم بالإنصياع لأي قرار سيتخذه مجلس الحكماء.

- عضو الكنيست دفيد طال : بشكل شخصي سوف أؤيد تسوية سلمية تتضمن ترتيبات أمنية. وكذلك فالكتلة كلها ملتزمة بفتوى الحاخام عوفاديا بأن إنقاذ النفس يتقدم على الأراضي.

- عضو الكنيست يتسحاق جاجولا : إن قلبي سيتألم عندما أقترع للنزول من الجولان. فلن يسعد أحد بإعادة حبة رمل من أرض إسرائيل في أي مكان، ولكن هناك فارق بين المشاعر وبين ما يُمليه العقل. فالعقل يُلزم بالتوجه نحو السلام.

- عضو الكنيست إسحاق سبان : سوف أبارك أي إتفاق سلام حقيقي وأتمنى أن يكون الثمن أقل ألماً.

- عضو الكنيست رحاميم مالول : كلنا سنسير حسب فتوى الحاخام عوفاديا يوسف.

- عضو الكنيست أربيه جامليئيل : لم يكن ممكناً الإنجاز بالأمس.

باراك يعرض فى الولايات المتحدة خطة للتعاون الاقتصادى الإقليمى فى مجالات تحلية المياه والسياحة.

هآرتس ١٨/٧/١٩٩٩
بقلم: الوف بن

عرض رئيس الوزراء إيهود باراك فى محادثاته فى الولايات المتحدة الأمريكية وخلال لقاءاته مع الزعماء العرب خطتين للتعاون الاقتصادى الاقليمى لمصاحبة عملية السلام التى استؤنفت. ومن بين المشروعات المطروحة مشروع لتحلية مياه البحر ومشروع للتعاون السياحى عام ٢٠٠٠.

ويرى باراك أن تحلية مياه البحر هى الحل الوحيد لأزمة المياه فى المنطقة والتى يتزايد فيها عدد السكان بمعدل سريع. ومشروع تحلية مياه البحر الذى سيتم تمويله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية سيجعل من السهل توزيع المياه بين إسرائيل وسوريا والفلسطينيين. وصرح مصدر مسئول فى الوفد المرافق لرئيس الوزراء أن فكره تحلية مياه البحر قد طرحت بجدية وأنه إلى جانب محادثات رئيس الوزراء عقدت أيضاً لقاءات على مستوى عالى بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أبدى الأمريكيون أهتماماً كبيراً وأعربوا عن استعدادهم للمساعدة فى تنفيذ المشروع.

وأما المشروع السياحى الذى يطرحه باراك فإنه يهدف إلى انتقال مجموعات السائحين ما بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية ومصر والأردن وسوريا فى عام ٢٠٠٠.

ويقول باراك أنه قد لاحت هذا العام فرصة نادرة لدعوة المواطنين فى العالم أجمع للمجيئ من أجل الاحتفال بالألفية الثالثة للمكان الذى بدأ منه تقويم الألفية الأولى والثانية.

وقال باراك أن احراز تقدم فى عملية السلام سوف يتيح فرصة للتعاون بين جهات السياحة فى دول المنطقة.

ساحبوا المياه

هآرتس ١١/٧/ ١٩٩٩
بقلم : عميرا هيس

كان من بين المزاعم الإسرائيلية الفورية، لحظة أن بدأ المراسلون والصحفيون يبدون اهتمامات بمشكلة المياه الصيفية الدائمة فى أوساط السكان الفلسطينيين، ان أخطاء تخطيطية من الفلسطينيين قد تسببت فى انخفاض غير ارادى فى كمية المياه التى تم ضخها إلى هذا المكان أو ذاك عن طريق شركة مكوروت - أو شركة المياه الإسرائيلية -أو تسببوا فى أعطال لا لزوم لها لاستغلال بنية جديدة للمياه. وكمثال أولى - والذى أذيع كخبر فى نشرات الأخبار الإسرائيلية وبدون تعليق فلسطينى - سوف نستعرض خزان المياه الرئيسى فى بيت لحم : فقد قالوا فى الادارة المدنية، أن الفلسطينيين لم ينصتوا لنا وهدموا الخزان قبل أن يقوموا ببناء خزان جديد وبالضرورة فقد نقصت كمية المياه.

أما الجانب الفلسطينى فرد قائلا أن الخزان القديم لم يعد صالحاً للاستخدام. والخزان الجديد - والاكبر سيتم بناءه فى نفس المكان. كذلك تم عمل بعض الوصلات الإضافية، لضخ المياه إلى خزانات أخرى. من جانب ثان، كان من الصعب أن نفهم من المتحدثين الفلسطينيين لماذا لم يسارعوا الى مد خط مياه يتصل بالأنبوب الذى مدته شركة مكوروت منذ شهرين حتى الخط الأخضر، حتى تفى إسرائيل بتعهدها المكتوب طبقاً لإتفاق طابا (سبتمبر ١٩٩٥) بتزويد قطاع غزه بكمية مياه اضافية قوامها خمسة ملايين متر مكعب سنوياً مدفوعة الثمن.

لا توجد نهاية لتبادل المزاعم. تلوح الأطراف ببيانات مختلفة حول كميات المياه التى تم ضخها عن طريق شركة مكوروت لكل خزان رئيسى فلسطينى. ولكن لدى كبار الموظفين شكاوى من الثمن الشهرى مقابل المياه التى تضخها شركة مكوروت هناك توجد البيانات الدقيقة. إذا لم يحدث تخفيض عام سنوى فى كميات المياه فإن هناك حقيقة واضحة تبرز من البيانات وهى أنه لا توجد زيادة فعلية فى شهور الصيف.

تؤكد الجهات الإسرائيلية (هيئة المياه والإدارة المدنية) أنه

على الرغم من أن هذا العقد هو عقد جفاف وأنه تم تخفيض حصص المياه للمزارعين الإسرائيليين، لم يتم تخفيض كمية المياه المخصصة للفلسطينيين. ياله من كرم. قارنوا بأنفسكم، فروع الاقتصاد المنزلي، ولكننا، وبسماحتنا، لا نخفض كمية مياه الشرب والاستحمام للفلسطينيين.
هذا التفاخر بالذات يكشف أكثر من أى شئ الأسلوب العنصرى وغير المتكافئ الذى تتبعه المؤسسات الاسرائيلية، والقائمة منذ سنوات على إدارة حياة الفلسطينيين.
وهى تصور عدم التخفيض فى المياه للفلسطينيين على أنه لفتة كريمة، وتعطى صورة عادلة لمن يسيطر على مصادر المياه. وهم يكشفون إلى أى درجة لا يعترفون بقيمة المساواة بين البشر. وليتفضل كل إسرائيلى، على جانبي الخط الأخضر، ويدرس سلوكه فى الاستحمام صيفاً، وأيضاً بدون التشاور مع خبراء المياه، سوف يستنتج أن الكمية العامة للمياه تزيد وهو غير مطالب بأن يعمل حساب الجفاف. لم يطالبنا أى مسئول إسرائيلى بأن نستحم مرة واحدة فى اليوم، ولا يطلبون منا عدم سقى حدائق منازلنا (أو ملء حمامات السباحة الخاصة والعامة).
ويذكر خبراء دوليون بدهشة غير خفية ـ وبخاصته البنك الدولى ـ الحقائق التالية . استهلاك الفرد فى إسرائيل أعلى من استهلاك الفرد الألمانى مثلاً فى المياه. منذ سنوات، أى تحت الحكم الإسرائيلى، واستهلاك الفرد الفلسطينى للمياه فى الاستخدام المنزلى أقل من الحد الأدنى الضرورى الذى حددته الأمم المتحدة (٧٠ لتراً يومياً)، وهو يمثل الاستهلاك الأدنى جداً فى المنطقة.
وليس المقصود هنا الأحتياجات المختلفة المتعلقة بطبيعة الناس، والتى تحدد الكميات. بل المقصود تخصيص غير متكافئ فى حصص المياه وعمدا بين الشعبين، وهذا التخصيص هو الذى حدد منذ عام ١٩٦٧ نوعية ومعدل تطوير البنية الأساسية للمياه ومستوى الصيانة. فى الأحياء الراقية بقطاع غزة تتزايد المنازل المزودة بنظام تطهير وتنقية المياه المنزلية، فقد وصلت المياه إلى درجة تلوث وملوحة ليست قليلة، وليس فقط سيئة المذاق ويعيش مواطنو القطاع تحت نظام مياه ذو اكتفاء ذاتى، مخصصة لهم المياه التى يتم ضخها من مياه الأعماق الموجودة داخل خطوط الحدود المصطنعة للقطاع. هل يمكن أن يوجد من يخطر على باله فى إسرائيل أن يطلب من بئر سبع أو من المجلس المحلى (شعرهنجف) الاكتفاء بالمياه التى يتم ضخها فى اطار حدودهما؟ ولكن مالا يفرضوه على اليهود، يفرضونه على الفلسطينيين. ان تطبيق خطط فلسطينية لإقامة خط مياه قطرى إلى قطاع غزه، من أجل تقليل العجز المتراكم فى المياه الجوفية بالقطاع بسبب السحب الكبير من الإحتياطى السنوى المحدود مرتبط بتغيير التوزيع غير العادل للمياه فى حدود الضفة، من المياه التى يتم ضخها من الخزانات الجوفية فى حدود الضفة الغربية، تستخدم إسرائيل ٨٠٪ منها (على جانبى الخط الأخضر، إضافة إلى مصادر المياه الشمالية) و ٢٠٪ للفلسطينيين. إن التناطحات الكلامية حول مشكلة المياه تغطى على حقيقة رئيسية وهى أن المفاوضات المتوقفة بشأن التسوية النهائية تستهدف وضع نهاية للسيطرة الإسرائيلية المنفردة على مصادر المياه، ووضع أسس جديدة ومتساوية، لتوزيع المياه بين الشعبين.

السلام مهم، والجيش أكثر

هارتس ٢٧/٧/١٩٩٩
بقلم / ألوف بن

فى أحد أيام سبتمير القادم سيدعونا رئيس الحكومة ايهود باراك وزملاؤه الوزراء إلى مكان ما لمشاهدة ختام تجربة عسكرية ضخمة لأختبار تنفيذ نظام تسليح مرتبط بنظرية تطبيقة جديدة. وسيكون باراك راضياً عن ذلك لسبب مزدوج : فالتجربة ستكون ثمرة جهود بدأت بتشجيع منه شخصياً عندما كان رئيسا للأركان العامة، وستدعم النتيجة المترتبة على ذلك، من أحتمال تحقق هدفه السياسى هو التقدم بإسرائيل إلى أتفاقات سلام من خلال تفوق عسكرى.
وقد بدا باراك أول أمس نجماً فى جنازة الملك الحسن بالمغرب باعتباره بطل السلام الجديد. ولكن لا يجب أن نخطئ فهمه. انه يرى العمليات السياسية بمفهوم علاقات القوى، فالسلام فى نظره مجرد وسيلة لتقوية الأمن القومى، وليس هدفاً فى حد ذاته. ان المناصب الحالية لباراك، كرئيس حكومة ووزير دفاع، هى فرصة ثانية لاستكمال المهمة التى بدأها عندما كان رئيساً للأركان.
وستكون تجربة سبتمبر مرحلة هامة، لكنها ليست الوحيدة، لدعم قوة إسرائيل الماضية فى اتجاه السلام. واليوم تدخل ميناء حيفا الغواصة الجديدة «دولفين»،

أول غواصة من ثلاث تم بناؤهم في ألمانيا. وبعدها سيدخل الخدمة خلال عدة أشهر، الصاروخ المضاد للصواريخ حيتس. وقد اعترض باراك عندما كان رئيساً للأركان على الغواصة والصاروخ حيتس، وقال أن هناك متطلبات أكثر الحاحاً، وأبعد من قبل المستوى السياسي الأعلى منه. أما الآن فباراك هو المستوى السياسي الذي يقرر ما يعرض أثناء الاحتفالات ويتمتع باستخدام أوراق القوة في لعبة البوكر مع حافظ الأسد.
لقد طلب اسحاق رابين أن يتفرق اتفاق السلام مع سوريا على عدة سنوات، وبرر ذلك بالتشكك في مدى مصداقية الأسد، لكن يبدو أنه كان لديه سبب آخر لعرقلة التسوية ، كسب الوقت حتى يستكمل الاصلاح العسكري، وحتى يقف قوياً صلباً عند الحدود الجديدة مع سوريا. أما خلفاء رابين فسيجنون الثمار. لقد استغلت إسرائيل نافذة الفرص التي أوجدتها المماطلة في المفاوضات مع سوريا لتعظيم قدرتها العسكرية، تقريباً دون مقدمات.
لقد عُيّن باراك رئيساً للأركان العامة بعد حرب الخليج في ظل الصمت الاستراتيجي الذي صادفته إسرائيل. وكشفت ضربات صواريخ سكاد العراقية عن ضعف المؤخرة الإسرائيلية والتهديد المتزايد من دول بعيدة. وفي الجولان حشد السوريون أربع فرق، جنباً بجنب، واثنتين أخريين احتياط وراءها، وبإجمالي أكثر من ٦٠٠٠ دبابة ومدفع، مقابل كتيبة بمفردها من جيش الدفاع الإسرائيلي. وخلال الثمانينات عرفوا في إسرائيل أن حشد القوة السورية يُحيِّد نظرية القتال القديمة المعروفة من قصص البطولة في "تل فاخر"، التي تربت عليها أجيال إسرائيلية. واختراق النظام السوري المحتشد يبدو مهمة مستحيلة، وسيكلف آلاف الضحايا ولن يحسم حرباً.
وأحداث ١٩٩١ - حرب الخليج وتفكك الأتحاد السوفيتي - عمقت من جديد الفجوة العسكرية لصالح إسرائيل أمام سوريا التي فقدت السند الاستراتيجي لها، والعراق التي ضُربت. وقد بدأت المؤسسة الأمنية برياسة رابين وباراك، في التحدث عن «نافذة الفرص»، التي تمنح أملاً في مسيرة السلام التي ستحدد التفوق الإسرائيلي في المنطقة، بالقدرة النووية، ووفرة السلاح المتقدم من أمريكا، وتسويات سياسية تبعد الجيش السوري عن الحدود، وتهدئ الانتفاضة في المناطق وتوقف حرب الإبادة في لبنان.
وعندما كان رئيساً للأركان أوضح باراك أن إسرائيل محاطة بما أسماه "خطرين ونصف": هجوم تقليدي لتحالف عربي، بمشاركة جيوش الدول المجاورة وأسلحة مرسلة من بلاد لا حدود لها مع إسرائيل؛ وحيازة القنبلة النووية من جانب دولة عربية، وهجوم مباغت على المؤخرة بسلاح كيماوي. وقد أسماه "نصف تهديد"، لأنه لا يهدد وجود الدولة ولكن من شأنه أن يتسبب في آلاف الضحايا. وقلل باراك من أهمية تهديد الارهاب والصواريخ التقليدية، كصواريخ سكاد العراقية التي تصيب أساساً الروح المعنوية وتؤثر على المسارات السياسية.

ولم تتغير نظرية باراك الأمنية في السنوات التي أعقبت رحيله من الجيش إلى الحياة السياسية. وأمام التهديدات يضع باراك مطالبه، إذ أنه في ظل الخريطة الجديدة للشرق الأوسط سيكون لإسرائيل أيضاً هوامش أمنية واسعة. أولاً، سيبقى جيش الدفاع على مدى جيل آخر الجيش الاقوى في المنطقة، الذي يستطيع أن يتغلب على أي طرف عربي يحاول مهاجمة إسرائيل. وفي أحد الملتقيات أوضح باراك أن هدف زيارته للرئيس كلينتون كان ضمان تقوية جيش الدفاع في كل مسار للسلام، بفضل الالتزام الأمريكي بمساعدة الأمن الإسرائيلي.
وإلى جانب القدرة التقليدية، ستكون إسرائيل في حاجة أيضاً لما يسميه باراك "الاعتراف العربي بقدرتنا النووية". والغواصات الجديدة تمنح "قدرة توجيه ضربة ثانية". ودعماً آخر للردع الإسرائيلي. فمن تسول له نفسه بإطلاق قنبلة على تل أبيب سيعرف أن إسرائيل يمكن أن تدمر بلده من أعماق البحر. ففي مواجهة الصواريخ الكيماوية «نصف التهديد» ينصب باراك منصات حتيس.
وعندما كان وزيراً للخارجية أوضح باراك ذات مرة، أن "السياسة النووية الأسرائيلية لم تتغير، ولن تتغير، ولا يمكن أن تتغير".

والضمانات العلنية الأمريكية بالحفاظ على التفوق العسكري لإسرائيل وتقوية قوة ردعها، تعتبر اعترافاً بالحفاظ على الإستقلالية النووية لإسرائيل. وفي زيارته الأولى لحسني مبارك أوضح له رئيس الحكومة "أن إسرائيل دولة صغيرة ولن نفرط في أمننا". وبذلك ألمح إلى رد فعل إسرائيلي متعنت إذا استأنفت مصر الضغوط لتتخلص إسرائيل من سلاحها النووي، وهي

ضغوط يرى الخبراء أنها ستتجدد العام القادم، مع اجتماع الدول المتوقعة على معاهدة منع الانتشار النووى (N.P.T) التى رفضت إسرائيل الإنضمام إليها.
ولكى تتسع هوامش الأمن وراء قيود قوى الطائرات، المدرعات، والمفاعل النووى فى ديمونة، تمضى إسرائيل إلى اتفاقات سلام، تنزع فتيل الإنفجارات وتُحيد مراكز العداء والتلويح بالحرب وكذلك تستبدل الأراضى بترتيبات أمنية، تبعد الجيوش، مصدر التهديد عن الحدود. فالسلام مع سوريا صاحبة الجيش الكبير هو هدف باراك. ولذا فإن السلام مع الدول العربية والفلسطينيين سيقلل كثيرا من الرغبة فى الحرب لدى الدول البعيدة، كإيران والعراق، التى لن تجد مبرراً للهجوم.
ان جيش المستقبل الذى يعملون على تطويره فى جيش الدفاع خلال السنين الأخيرة، يولد فى عصر السلام، فبدلاً من قوات كبيرة من الدبابات المتناحرة فوق الصخور الحديدية فى الجولان، سيُعطى الثقل الأساسى لسلاح الجو. فالذراع الجوى الآن يتمتع بأفضليات واضحة فى تخصيص الميزانيات المطلوبة فى ميزانية الدفاع. وسينضم إليه قريباً عشرات من طائرات أف ١٦ الجديدة وهليكوبتر أباتشى المتطورة.
الثورة الكبرى ستحدث فى المرحلة القادمة، وفيها سيستخدم سلاح الجو قوات كبيرة من طائرات بدون طيار أيضاً لأغراض هجومية. «كانت إسرائيل فى طليعة مستخدمى الطائرات بدون طيار، وستواصل استخلاص مردود هذه الميزة النسبية عن طريق استثمارات متزايدة فى هذا المجال»، ذلك ما كتبه طاقم خبراء أمريكى نشر بحثاً عن الثورة الأمنية الإسرائيلية. "ويمكن افتراض أن جيش الدفاع قد طور طائرات بدون طيار لمسافات قصيرة ولبقاء متصل فى الجو فى نفس الوقت، لمهام استخبارية وتوجيه ضربات". لذا فإن ميزات الطائرات بدون طيار واضحة. فهى لا تتعب ولا تحتاج إلى طيار قد يفقد حياته.

ان القرار الذى اتخذ فى هيئة الدفاع، ومفاده، "أى شئ له جناحان ينتمى لسلاح الجو"، لا يقل أهمية عن التغييرات التنظيمية المرتبطة ببعضها التى أعلنت مؤخراً، بإقامة ذراع برى وشعبة تنفيذية فى قيادة الأركان العامة. وستنيم الطائرات بدون طيار لسلاح الجو تضمن وحدة استخدام القوة، وسيطرة مركزية، ولا يقل أهمية عن ذلك، تحييد المعارضة الطبيعية لسلاح كل قادته من الطيارين لاستبدالهم بروبوت مجنحة. فالقوة الجوية سريعة ويمكنها مهاجمة جبهتين فى آن واحد.
ان الجيش الطائر يروج نظرية جديدة لاستخدام القوة العسكرية. فحتى اليوم تلوح نظرية الأمن الإسرائيلى بغزو أراضى العدو، حتى تحتل مناطق حيوية والتمسك بها كأوراق مساومة لوقف القتال وفرض السلام. وبعد سنوات من سيطرة طويلة فى المناطق وفى لبنان فإنهم يدركون فى إسرائيل أن المنطقة المحتلة تلحق الضرر بالمحتل. أما النظرية الجديدة فتؤكد على تدمير القوة، بدلاً من احتلال أراضى. من يهجم يخطف، سواء بكسر القوة العسكرية أو ضرب أهداف البنية الأساسية، وقواعد الدفاع الجوى ومنصات إطلاق الصواريخ. وبالنسبة لدولة تسعى للسلام فمن السهل تبرير نظرية أمنية للدفاع عن النفس على خلفية التهديد بالاحتلال الذى يثير دائماً الخوف من التوسع الإسرائيلى.

وسيكون لهذا البناء الجديد للقوة انعكاساً سياسياً عاماً، فإنه سيسمح بقيام ارتباط آخر للجيش الثابت والخدمة الإجبارية. فالتكنولوجيا المتقدمة تتطلب قوة بشرية بارعة، تلتزم بخدمة طويلة، مثل الطيارين حالياً. فجيش الحشود سيكون أقل حيوية، حتى لو استمر مبدأ الخدمة الإجبارية، وقد أيد باراك عندما كان رئيساً للأركان تقليل الخدمة الإجبارية وتحويل جيش الدفاع الإسرائيلى إلى جيش أقل عددا، لكنه لم ينجح فى تنفيذ خططه، بينما يستطيع كرئيس حكومة السير فى هذا المضمار، وأن يجنى ثمار السلام.

٢ إسرائيل: شئون داخلية

ليست هناك عنصرية ولكن هناك نفاق

لقد أثار اختيار عضو الكنيست هاشم محاميد لعضوية لجنة الخارجية والدفاع في الكنيست على أيدي أحزاب الائتلاف نقدا عنيفا من جانب أعضاء الكنيست من الليكود. [illegible] من التصريحات التي [illegible] ان مثل هذا الشخص لا يستطيع ان يكون شريكا في الاسرار الخطيرة للدولة [illegible] كبيرة إلى جانب العدو ويؤيد سياسته [illegible] الأعمال التي يقوم بها عملاء هذا العدو [illegible] الاقتناع بالادعاءات الموضوعية والمنطقية [illegible] ولكن تعلق ابراهام بورج بأن مثل هذا النقد قد تجاوز [illegible] مثير للسخرية. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو أوليس من المنطقي رفض عضوية أعضاء الكنيست العرب - أي الفلسطينيين سكان إسرائيل الذين اصبحوا مواطني هذه الدولة بمحض الصدفة واشراكهم في الاسرار الأمنية لإسرائيل بعد ان اصروا على عدم قيام الجماهير الفلسطينية بالخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي والا تتحمل هذه الجماهير عبء الحفاظ على أمن الدولة؟ وهل نسينا الهجمات الشرسة لهؤلاء العرب الإسرائيليين الذين تسبب تضامنهم مع الدولة في تجنيدهم في جيش الدفاع الإسرائيلي ثم دعوتهم لهؤلاء المجندين إلى الهروب من الخدمة في الجيش [illegible]

إن أعضاء الكنيست العرب [illegible] قدامتهم [illegible] عنصريون وأن كل من يعترض على [illegible] الفلسطينيين في المساواة غير جدير بالاحترام. ومن المحتمل الا يكون قد ورد على ذهنهم أو على ذهن الذين ينتقدونهم طرح السؤال الذي كان من المفروض ان يطرح وهو: لماذا [illegible] خطوة مشروعة؟

[illegible] تصريحات قال فيها أنه يجب العمل من أجل المساواة التامة بين العرب الإسرائيليين في كل ما يتصل بالخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي وحاول ارنز توسيع نطاق التطوع من جانب العرب للخدمة في جيش الدفاع الإسرائيلي وادعى انه من المستحيل الاستمرار طيلة الوقت في سياسة التفرقة وقال: المواطنون هم المواطنون وأضاف انه من المستحيل ان يكون هناك مواطنون إسرائيليون معافون من واجبات المواطنة الإسرائيلية. وليس هناك شك في أن هذا تصريح ليبرالي مائة في المائة، ينبع من تراث الديمقراطية الليبرالية للولايات المتحدة الأمريكية، منشأ موشيه ارنز.

ولو عاد ارنز وكرر اليوم نفس هذا الكلام الذي قاله قبل ست سنوات وأضاف أن أعضاء الكنيست العرب مؤهلين للخدمة في لجنة الخارجية والدفاع [illegible] إسرائيل على [illegible] طريق تحويل عرب إسرائيل إلى عنصر شرعي في المجتمع الإسرائيلي. ويضيف بيلين أنه ليس لديه شئ سوى الأمل في أن يحدث مثل هذا التحول.

والشئ الواضح هو أن اختيار هاشم محاميد لعضوية لجنة

الخارجية والدفاع لن يغير شيئا فى وضع عرب إسرائيل فى الدولة.

وأن كل ما سوف يحدث هو الا يتم مناقشة القضايا الجوهرية فى لجنة الخارجية والدفاع ولن تطرح فيها معلومات سرية. والشئ الذى سيحول عرب إسرائيل إلى عنصر مشروع فى المجتمع الإسرائيلى بل إلى مواطنين إسرائيليين بكل ما فى الكلمة من معنى هو الغاء التفرقة ضدهم فى مجال الميزانيات والتعيينات وكذلك فى مجال اداء [illegible]

الخدمة العسكرية.

وليس هناك شك فى أن الخدمة العسكرية الموحدة للجميع والتعليم القومى الإسرائيلى الموحد للجميع سيساعد على تحقيق ما لم يتحقق طوال الخمسين عاماً الماضية ، وسيساعد على وضع أسس ثابتة لتحويلنا إلى قومية إسرائيلية واحدة بدلاً من مجموعة من الطوائف والقطاعات التى تتصارع فيما بينها حول نصيب كل منها فى الكعكة الوطنية بدون المجتمع [illegible]

انتفاضة عرب إسرائيل

معاريف ٢٣/٧/١٩٩٩

[illegible]

(تقرير جديد لمعهد أبحاث يؤكد اتجاه عرب إسرائيل للتنكر للهوية الإسرائيلية) [illegible] تجاوز الشخصيات [illegible] أعضاء الكنيست العرب [illegible] المحامى السابق لزعيم حركة حماس الشيخ احمد ياسين والمستشار السابق لياسر عرفات [illegible] معتقل أمنى تم الافراج عنه مؤخرا بعد عفو رئيس الدولة ، الى جانب هؤلاء الثلاثة: عبد الملك الدهمشة وأحمد طيبى ومحمد كنعان يوجد أعضاء الكنيست هاشم المحاميد وعزمى بشارة [illegible] مقاتلى حزب الله [illegible] في الشهور الاخيرة صورة جديدة لأعضاء الكنيست العرب ، [illegible] حول انضمام محاميد عضو القائمة العربية الموحدة [illegible] للجنة الخارجية والدفاع بالكنيست [illegible] أعضاء الكنيست من اليمين بشدة على ذلك ولكن الائتلاف [illegible] وأصبح محاميد اول عضو كنيست عربى ينضم الى لجنة الخارجية والدفاع رفيعة الشأن . وهو يعلم ايضا أن وجوده فى هذه اللجنة قد يكون مصدر مشاكل احياناً ولكن المبدأ فى نظره هو الاكثر اهمية . يقول محاميد مؤكدا: "لو ناقشت اللجنة اغتيال مسئول [illegible] كبير ، فسوف اغادر الاجتماع [illegible] . لن اشارك فيها [illegible] وأستطيع أن [illegible] ما الذى اشارك فيه وما الذى لن اشارك فيه ، ولكننى عضو كنيست ، ولا يعقل أن تكون هناك لجنة فى الكنيست مغلقة امامى أو أمام أى عضو آخر". هناك [illegible]

غيرهم [illegible] ويعلنون فى المقابل من انتمائهم للشعب الفلسطينى ويعبرون عن تأييدهم للتطلعات السياسية للسلطة الفلسطينية. مثلا يقال أن عضو الكنيست محاميد قد صرح منذ عدة شهور فى حديث للتليفزيون الفلسطينى: "عندما اكون فى غزة فأنا فى وسط عائلتى. نحن شعب واحد. مثلنا مثل صامد والنقب لنا - ورماله نار تحت اقدام العنصريين". ويؤكد محاميد انه قال هذا الكلام ويضيف: "من حقى ان اقول ذلك ، أليس مثلنا صامد ؟ ألا يجب أن تشتعل رمال نقبنا تحت اقدام العنصريين ؟ أنا لم اتكلم عن الشعب اليهودى ولا عن طائفة معينة بل عن العنصريين ، من يتضرر لأنه يشعر بأنه عنصرى فهذه مشكلته . فالقبعة تشتعل فوق رأس اللص".

وزميل محاميد فى الحزب ، عضو الكنيست عبد الملك الدهمشة ، قال فى شهر مايو فى حديث لصحيفة عربية ، انه ينبغى على عرب إسرائيل تكوين قوة سياسية موحدة من أجل اقامة دولة فلسطينية عاصمتها القدس". وهو يكثر ايضا من استخدام لفظ (عرب ١٩٤٨) والذى يعبر عن عدم الاعتراف بإسرائيل. وقال فى حديث للتليفزيون الفلسطينى: كنا اول من جاء الى غزة من (الداخل) من فلسطين ١٩٤٨ ، أو إسرائيل كما يسمونها اليوم [illegible] الإسرائيلى ، ومن فوق منصة الكنيست وأعلن "انا لا اخفى أى شئ. ليس سراً أننى اعتقد ان القدس يجب ان تكون عاصمة فلسطين. القدس ليس لنتنياهو أو لباراك فقط ، بل هى لنا [illegible] يدافع عنه". وكان الدهمشة نفسه معتقلا امنيا عام ١٩٦٨ [illegible]

بعد ذلك بفترة قصيرة تم اعتقاله بتهمة تزعم جماعة تورطت في عدة عمليات ولكنه اتهم في النهاية بالانتماء فقط إلى منظمة معادية وإدخاله السجن، حيث اعلن ندمه وقال في الماضي (لقد ادركت ان الطريق الذي تسير فيه منظمة فتح - طريق الصراع المسلح - ليس طريقي، ويجب ان اتراجع عنه). وقد ركز الدهمشة في عمله كمحام، وفي عام ١٩٩٦ تم انتخابه للكنيست. ويقول في تعليقه على تقرير معهد الابحاث: "أن القول بوجود انتفاضة داخل عرب إسرائيل للتنكر للهوية الإسرائيلية، نوع من التحريض ضد السكان العرب".

ويتفق معه في الرأي احمد طيبي عضو كتلة بلد، والذي يؤكد ان تقرير المعهد الصادر تحت عنوان (نظرة على الاعلام الفلسطيني)، ضحل وغير جاد وسطحي. ويضيف ان تعبير (هوية إسرائيلية) تعبير هلامي غير محدد بالنسبة للمجتمع ويقول (ماهي هوية عضو حزب شاس مقارنة بهوية مهاجر من روسيا؟ ماهي هوية عضو حزب يهودت هاتوراه مقارنة بهوية مهاجر من اثيوبيا؟

إن عناصر هوية عرب إسرائيل تعتمد على اصليين: القومي (عربي - فلسطيني) والمدني (إسرائيلي) ولدينا رغبة قوية للاندماج في المجتمع الإسرائيلي على اساس المساواة). ويضيف طيبي أن هذه الرغبة لن تدفعه إلى قطع علاقاته مع السلطة الفلسطينية. وقال "سوف اواصل السفر إلى غزة ورام الله وعمان ودمشق".

أيضا عضو الكنيست طلب الصانع من كتلة (رعم) له رأي مماثل. يقول "من يزعم أن هناك حركة تنكر عرب إسرائيل لهويتهم الإسرائيلية، غير مدرك لما يقوله". ويضيف "ليس هناك تنكر لإسرائيل، لأنه ليس لدى العربي مفهوم يتعلق بالدولة الإسرائيلية بل يرى أن هناك دولة يهودية وليس دولة إسرائيلية. طالما لم يتم تغيير طابع الدولة ستظل مشكلة الاغتراب قائمة. رغم اننا نعيش في وضع غريب نتمزق فيه بين دولتنا وبين شعبنا، ورغم اننا نعيش في ظل تفرقة عنصرية وفقر وبطالة، فنحن مواطنين مخلصين ومحافظين على القانون. أننا نستحق وسام".

يقول عزمي بشارة من كتلة بلد والذي كان أول من دعا الي تحويل دولة إسرائيل إلى دولة لجميع مواطنيها، انه لا توجد اي ميول متطرفة لدى عرب إسرائيل ويضيف "اتمنى ان يكون لدى عرب إسرائيل انتفاضة بالنسبة الهوية وإن كنت غير متأكد من ذلك".

يعتقد واضعو التقرير (نظرة على الاعلام الفلسطيني) ان الامر مختلف. فهم يقولون ان المعركة الانتخابية التي خاضها بشارة ونافس فيها على رئاسة الوزراء (إلى ان انسحب في اللحظة الاخيرة) تمت في ظل مجموعه من الاتباع ترفع العلم الفلسطيني ويقول التقرير ان العلم ورموز أخرى للسلطة الفلسطينية ظهرت مؤخراً في مناسبات مختلفة، وهو يشير إلى وجود علاقة وثيقة بين عرب إسرائيل وبين السلطة الفلسطينية. ويطرحون عدة امثلة من بينها حقيقة أن الاحتفالات الخاصة بانتهاء العام الدراسي في مدارس الطيبة والقدس الشرقية قد بدأت كلها بعزف السلام الوطني الفلسطيني.

يرفض عضو الكنيست احمد طيبي تماما مزاعم واضعي التقرير ويؤكد "ليس هناك اي تطرف لدى عرب إسرائيل. يقول زعماء عرب إسرائيل حالياً كلاما لا يجد استحسانا في نظر من يعتقد انه يجب على عرب إسرائيل ان يكونوا مستسلمين تماماً". كذلك يقول هاشم محاميد: "انه لا تطرف داخل عرب إسرائيل". ولكن يحذر من ان الشعور بالاغتراب بين الجمهور العربي وبين الدولة يتزايد. وقال: "انني احذر منذ فترة من اخطار هذه الضربة. انظر إلى ما يحدث الآن: لقد تم انتخاب ايهود باراك بفضل اصوات ٩٥٪ من عرب إسرائيل، ثم كيف يتعامل معهم؟ لقد تجاهلهم تماماً تقريباً بعد الانتخابات. هناك شعور بالغربة لدى عرب إسرائيل، والاحساس بأنهم يعاملون بنكران الجميل، وأنهم يعيشون في دولة كل ما يجري فيها لا يمت لهم بصلة. كيف تريدون أن يشعر العرب في ظل هذه الظروف بأنهم إسرائيليون؟ انا لا اعرف ما الذي تريدونه منا؟ الا نقول ما تجيش به صدورنا؟ أن نعمل في الحقارة؟"

ما زالت هناك فجوة ثقافية بين الاشكينازيين والشرقيين

يديعوت احرونوت
١٩٩٩/٧/١٩
بقلم: تامار تربلسي

لم تضق الفجوة الثقافية بين الاشكينازيين والشرقيين في إسرائيل على مر السنين، حيث أن نسبة الشرقيين الذين حصلوا على دراسة ما بعد الثانوية تصل الى ٣٣,١٪ مقابل ٥٢,٤٪ بين الاشكينازيين. وما زالت الفجوات كما هي على الرغم من الارتفاع المضطرد في مستوى الثقافة العامة بين السكان.

وقد وردت هذه الحقائق في البحث الجديد الذي اجري لصالح المعهد الإسرائيلي الديمقراطية. وقام بإجراء هذا البحث طاقم برئاسة البروفيسور فيكتور لافي رئيس قسم الاقتصاد في الجامعة العبرية في القدس. ووجد الباحثون أنه ليس هناك فرق في المستوى الدراسي بين تلاميذ الصف الرابع من كافة دول العالم ولكن كلما زادت السنوات الدراسية كلما زادت الفجوة وأصبحت اكثر اتساعاً. ويفسر معدو البحث هذه الظاهرة بأنه كلما زادت المراحل التعليميه كلما زاد مستوى المتطلبات التعليمية وكلما كان التلميذ في حاجة إلى بذل المزيد من الجهد في الدراسة. ومن ثم فانه في هذه المرحلة نجد ان مستوى ثقافة اولياء امور التلاميذ الشرقيين متواضع والموارد الاسرية ليست كبيرة

وليست هناك قدرة على توفير الكتب الدراسية الخارجية أو المدرسين الخصوصيين.

نتائج الثانوية العامة:
وفيما يتصل بنتائج امتحان الثانوية العامة فإن الفجوة تصل الى حوالى ١٦٪، ولكن هذه الفجوة تصبح اكثر اتساعاً اذا وضعنا في الاعتبار نسبة التسرب الكبيرة بين التلاميذ من اصل شرقي. ويؤكد الباحثون ان الفجوة في نتيجة الامتحان اضيق نسبياً في اللغة العبرية ولكنها اكثر اتساعاً في الرياضيات والعلوم واللغة الانجليزية. وقد برز هذا الامر في نتيجه امتحان العلوم في امتحان الثانوية العامة. وتصل نسبة الفجوة الى حوالى ٤٠٪ في المتوسط لصالح الاشكينازيين الذين يحصلون على الثانوية العامة الامر الذى يساعدهم على استكمال دراساتهم الجامعية. وفيما يتصل بنتيجة الثانوية العامة فإن متوسط مجموع التلاميذ الاشكينازيين في المدارس الحكوميه يصل إلى ٨٣,١٪ وأما بالنسبة للشرقيين فيصل إلى ٧٥,١٪ وفي المقابل فإن الفجوة في المدارس الدينية اكبر بكثير وأما متوسط درجات الاشكينازيين فإنه يصل إلى ٩٠,٣٪ مقابل ٧٩,٠٪ للشرقيين. وتتسع الفجوة اكثر واكثر في مرحلة التعليم العالي حيث ان نسبة الحاصلين على درجه البكالوريوس او الليسانس من بين السكان الشرقيين في سن ٢٠ حتى ٣٤ تقل بحوالى ٣٠٪ عن النسبة المماثلة في نفس الشريحة السنية للسكان من اصل عربي. وفيما يتصل بالخريجين في اقسام علوم الحياه والعلوم التكنولوجية فإن الفجوة تصل الى ٦٠٪.

القطاع العربي:
هذا وقد تعرض الباحثون بصورة جزئية فحسب للفجوات بين اليهود والعرب. ويتضح ان الفجوة في الدرجات بين التلاميذ اليهود والعرب في الصف الرابع والصف الثامن في مادة الرياضيات تصل إلى حوالى ٢٨,١٪ . وتصل نسبة الناجحين في الثانوية العامة بين اليهود الى ٦١٪ وبين العرب الى ٤٤,٥٪ ويرجع الباحثون الفجوة بين هذه القطاعين من السكان إلى عده اسباب:
- الاسباب الأسرية: مثل ثقافة الابوين وخاصة الأب وعدد الاخوة ودخل الاسرة. ويتضح من البحث ان الفجوة في نسبه الحاصلين على الثانوية العامة بين اليهود والعرب تصل الى ٨٪ فقط اذا كان مستوى ثقافة الأبوين مشابهة.
- المستوى البيئي - الاساس التعليمي والموارد المتوافرة لدى التلاميذ (مثل المكتبات) وقطاع المهاجرين. وأما المدارس التي تتسع فيها الفجوات في نتيجة الامتحان تكون نسبة المهاجرين الجدد فيها اكبر بثلاثة اضعاف.
- أسباب مدرسية - مثل مستوى المدرسين ، ففي المدارس التي تصل فيها الفجوة بين الشرقيين والاشكينازيين إلى الصفر، تزيد فيها نسبة المدرسين الحاصلين على درجة الدكتوراه بنسبة ٥٠٪ .

وقد ارسل التقرير إلى وزير التعليم يوسي ساريد الذى صرح بالامس في لقاء مع صحيفة يديعوت احرونوت قائلاً " انى افكر في تشكيل طاقم خاص من الخبراء من داخل الوزارة ومن خارجها بحيث يعمل هذا الطاقم على دراسة جميع الخطط التي ستطبق من اجل تقليص الفجوة وبلورة خطط جديدة لتنفذ في المستقبل.

دولة للجميع وبالذات لليهود

هآرتس ١٥/٧/١٩٩٩

بقلم: سالم جبران (كاتب ومحاضر في المركز اليهودي-العربي بمعهد جفعات حبيبا)

الجيل الجديد من عرب إسرائيل لم يعد مستعداً لقبول التفرقه العنصرية

في فترة معركة الانتخابات، وبالذات بعدها، طُرحت بشكل كبير قضية وضع المواطنين العرب في إسرائيل وتحولت إلى مركز للنقاش الجماهيري، فيما يتعلق بمشاركة الأحزاب العربية في إسرائيل في الإئتلاف الحكومي وفي حق أو عدم حق العربي في الجلوس إلى مائدة الحكومة.

إن قضية المشاركة التامة للعرب من مواطني الدولة في الحياة السياسية كانت دائماً قضية غير مريحة. ولذلك فقد فضل زعماء الدولة ورؤساء الأحزاب اليهودية إبعاد تلك القضية جانباً وذلك من خلال محاولتهم إعطاء المبررات بأن دولة إسرائيل هي دولة يهودية وديمقراطية "وأنه لا تعارض بين الإثنين".

في مواقف غير مُلزمة كانت تُسمع دائماً تصريحات تساند إندماج العرب في الحياة السياسية على أساس متساو. ففي وثيقة الإستقلال دعى العرب مواطني إسرائيل للإشتراك في بناء الدولة وفي قيادتها، وهكذا جاء في الوثيقة. "إننا ندعو، كذلك وأيضاً خلال هجوم العرب الدموى علينا منذ شهور، ندعو أبناء الشعب العربي مواطنى دولة إسرائيل للحفاظ على السلام، وللقيام بدورهم في بناء الدولة على أساس المواطنة الكاملة والمتساوية، وعلى أساس تمثيل مناسب في كل مؤسساتها المؤقتة والدائمة.

ولكن الكلمة المكتوبة شئ والواقع شئ آخر. فمنذ قيام الدولة وحتى اليوم فإن العرب ليسوا شركاء بل محتلين تحت السيطرة. فلا يوجد مجال في حياة العرب بإسرائيل إلا ويتحدد ويحسم بأيدى رئيس يهودى. حتى على رأس الاقسام الاسلامية والمسيحية والدرزية في وزارة الأديان يجلس يهود. كذلك في وزارة التعليم فإن تأثير المواطنين العرب صغير للغاية، ولن نتحدث عن دورنا في الموارد هناك.

على مدى عشرات السنين إستسلم العرب للوضع، من خلال

خوف أو يأس من القدرة على التغيير. وكذلك فإن غياب السلام ساهم في خلق الإحساس لدى عرب إسرائيل بأنه يجب أن ينتظروا، على أمل أن يأتي يوم ويتحقق السلام وحينئذ تأتي أيضاً المساواة. في السنوات الأخيرة حدثت مسيرتان ذات مغزى. فقد بدأت مسيرة سلام مع العالم العربي ومع الفلسطينيين وفي المقابل طرأت تغييرات إقتصادية، إجتماعية، تعليمية وثقافية في أوساط العرب بإسرائيل، وأخذ في التعمق الإتجاه المتبادل بين المجتمعين اليهودي والعربي.

إن العرب في إسرائيل هم مواطنو الدولة وهذا ليس وضعاً مؤقتاً. إن كل عربي في إسرائيل يشعر أنه يعيش على أرض آبائه. وأكثر من ٩٠٪ من العرب في إسرائيل ولدوا بعد عام ١٩٤٨. فخيبة الأمل، والسلبية، والإستسلام والإنتظار كلها تترك أماكنها للرغبة القومية للغاية في أن يكونوا مواطنين حقيقيين، أي متساويين وشركاء. إن الأجيال الشابة من عرب إسرائيل لا يسلموا بالإبعاد، مع الوضع المنحط والظالم. فليس فيهم مشاعر خوف أو إنحطاط. فهم يريدون أن يكونوا متساويين وشركاء. ولن تنجح أي قوة في العالم في إقناعنا بمصداقية الوضع الذي فيه المهاجرون من روسيا وإثيوبيا يتم إستيعابهم ويشاركون في الحكم، وكأننا نحن هنا ولسنا هنا، حاضرين وغائبين. إن أحاديث حكومة تعتمد على "غالبية يهودية" تملأ نفس كل مواطن عربي بالمرارة، الإحباط والغضب إن لم يكن أكثر من ذلك.

لقد حظي إيهود باراك بـ ٩٥٪ من أصوات الناخبين العرب. لقد كان الشعار الرئيسي الذي وجهه إلى الناخبين العرب "دولة للجميع" وها هي إنتهت الإنتخابات ونسي باراك أنه يوجد عرب وأحزاب عربية في إسرائيل والذين عملوا كلهم من أجل نجاحه. فأعضاء الكنيست من أحزاب شاس والليكود صالحين للمشاركة في الإئتلاف أما العرب فلا.

فهل دولة تتعامل هكذا مع ٢٠٪ من تعداد سكانها هي بالفعل دولة ديمقراطية أم أنها ديمقراطية الغالبية فقط؟ إن المنطق الديمقراطي البسيط والصحي يستوجب إشراك العرب في كل مجالات الحياة بما في ذلك الحكومة. وكذلك فالمصلحة القومية الحيوية للغاية لليهود والعرب ومستقبل المجتمع يستوجبون ذلك.

من يرأب صدع الليكود؟

معاريف ٢٠/٧/١٩٩٩

بقلم: شموئيل شنيتسر

إن غرق الليكود في الإنتخابات الأخيرة قد خرق توازن القوى والأفكار والذي كان مميزاً خلال الأعوام العديدة السابقة للساحة السياسية الإسرائيلية. وكما يحدث في الدولة الديمقراطية الكبرى للغرب فقد أصبح عندنا أيضاً عُرف تبادُل السلطة بشكل دوري بين اليسار واليمين. ومن ناحية التأثير على الناخب والقدرة على توجيهه إلى هنا وإلى هناك، فقد كان الحزبان الكبيران متساويان في ذلك تقريباً إلى حد ما، وكانت رسائلهم تجد أصداء متعاقبة لدى الجمهور. إن هذا التوازن لم يعد باقياً الآن. فقد ضُرب اليمين في الانتخابات الأخيرة ضربة قاسية وانخفض عدد ناخبية بصورة لم يسبق لها مثيل. إن المرشحين الثلاثه لزعامة الليكود لديهم درجات عديدة ولكن هناك شك كبير إذا كان واحد منهم يستطيع أن يُعيد قوة حزب الليكود التي كان عليها في أيام مناحم بيجين. فقد كان أول زعيم عرف كيف يخلق الربط بين اليمين القومي، واليمين الديني والجمهور الشرقي، ذلك الربط الذي كان يعتبر سر الإنتصار الكبير لليكود في إنتخابات عام ١٩٧٧.

ويكفي إلقاء نظرة خاطفة على الليكود في تلك الأيام والمقارنة بما هو عليه الآن، حتى يمكننا الوقوف على التغيير الكبير الذي طرأ عليه. لقد كان الليكود في أواخر السبعينات ذا موقف سياسي صلب. كان يعتمد أساساً على أنه لا إتفاق على إقامة سيادة إضافية بين نهر الأردن والهجرة وأنه لا إستسلام لأي تقسيم لأرض إسرائيل الغربية، وأن الحد الأقصى الذي يستطيع أن يتطلع اليه الجمهور العربي في إسرائيل هو إدارة ذاتية لشئونه. أما حزب العمل فقد تبنى تصنيفات مختلفة لتقسيم غرب نهر الأردن بين السيادة اليهودية والسيادة الفلسطينية التي من الممكن أن تقوم. أما في الليكود الحالي فإن ذلك الفارق بين اليسار واليمين لم يُعد قائماً فيه. ليكود براجماتي تقبل في الواقع إلى مدى كبير إرساء دولة فلسطينية غرب نهر الأردن. وفي حكم نتنياهو هدمت أيديولوجية حزب الليكود بشكل أساسي جداً. إن نقص الوضوح الفكري هو، في رأيي، عنصر أهم من تضاءل صورة الليكود عن العمل، حيث فقد العلاقة الوثيقة مع الجماهير المختلفة والتي إعتمدت عليه في الماضي. وطبقاً لذلك فإنني لا أعتقد أن مُرشحاً مثل شطريت، مع كل قدرته على أن يبني من جديد الجسور إلى الناخبين الشرقيين وإلى المدن العمرانية الجديدة، وبدون إبعاد للدوائر الدينية، لا أعتقد أنه بالفعل الشخص المطلوب لليكود في هذا الوقت.

إن له شيئاً واحداً مشتركاً مع ايريل شارون، فلدى كليهما نفس الغُموض الفكري الذي يرتدي ثوب البراجماتية. ولدى كليهما غموض حول ما يمكن ان يقبلوه كحلول وسط وأين سيجتازون الخطوط الحمراء عندهما.

كان الليكود قد تلقى سقوطاً دائماً في النقاش الفكري مع خصومه. إن حزباً يصرخ عويلاً بأن خصمُه جلب كارثة على الدولة وعلى الشعب، وبعد ذلك يتبنى تلك الكارثة ويعمل بناء عليها، لا يستطيع أن يتوقع أن إنساناً سيصدقه ويؤمن به وبزعامته. فقد اعترف الحزب بإنحطاطه في المجال الايديولوجي. فقد قالوا: "إن حلم أرض إسرائيل الكاملة" لم يمت بأيدي اليسار، فقد مات على فراش المرض لليمين، والذي

اعترف أن الحياة والموت لحلمه هم بأيدى خصمه من اليسار. إننى أشك فى أنه ما زال يوجد أمل لليكود فى العودة لمكانته السابقة، إذا لم يقم له زعيم يثق فى نفسه وفى حركته بشكل كاف حتى يستطيع تجديد عقائده السياسية والأمنية. إن أى براجماتى سوف يعزف على الطرفين لن ينجح. فقط زعماء أصحاب خط رئيسى فكرى لهم فرصة النجاح فى رأب صدع الليكود وإعادته إلى سابق عهده.

ساريد لن يسمح بخفض ميزانية جهاز التعليم

معاريف ١٦ / ٧ / ١٩٩٩
بقلم. طل شحاف

صرح وزير التعليم يوسى ساريد بأنه لن يسمح بخفض ميزانية جهاز التعليم. وأضاف فى المحاضرة التى القاها فى المؤتمر الاقتصادى السنوى للمعهد الإسرائيلى للديمقراطية بأنه وجد جهاز تعليم مقطع الاوصال ومنكمش وأنه ينوى إحداث تغيير فى جدول الاولويات للوزارة وجعل التعليم العام فى المقدمة بعد أن تعرض للظلم حتى الآن. وأضاف ساريد انه سيضع فى مقدمة اهتماماته تقليص الفجوات فى التعليم وتفضيل القطاعات الضعيفة والتى تقع فى المناطق النائية.

وقد عرضت فى المؤتمر توصيات اللجان التى ناقشت حالة جهاز التعليم. فقد اوصت اللجنة التى يرأسها البروفيسور مناحم يعر خفض مصاريف التعليم فى الجامعات بحوالى ٤٠٪ وإعفاء بعض الطلبة فى الجامعة المفتوحة من مصروفات التعليم. وأوصت اللجنة التى يرأسها فيكتور لافى والتى ناقشت قضية الفجوات الكبيرة بين التلاميذ بأنه يجب تعويض اولياء الأمور بصورة مباشرة وذلك بهدف منع تسرب تلاميذ المرحلة الثانوية من التعليم.

حكومة باراك الموسعة

هآرتس ٦ / ٨ / ١٩٩٩

صدق أمس الكنيست بأغلبية كبيرة على ضم خمسة وزراء جدد للحكومة وهم. امنون لبكين شحاك (حزب الوسط)، وماتان فلنائى (إسرائيل واحدة) ويولى تامير (تعيين شخصى)، وميخائيل اورون (ميرتس). وقد وافق على هذه التعيينات ٥٢ عضو كنيست من أحزاب الائتلاف، بينما عارض ١٦ عضوا من المعارضة، وامتنع ثمانية أعضاء كنيست من الاحزاب العربية.

الحكومة الموسعة:

- رئيس الوزراء ايهود باراك (إسرائيل واحدة)
- وزير الدفاع: ايهود باراك (إسرائيل واحدة)
- وزير الخارجية: دافيد ليفى (جيشر)
- نائب وزير الخارجية: نواف مصالحه (إسرائيل واحدة)
- وزير المالية. افراهام شوحت (إسرائيل واحدة)
- نائب وزير المالية: نسيم دهان (شاس)
- وزير الاديان: اسحاق كوهين (شاس)
- نائب وزير الاديان: ايجال بيبى (مفدال)
- وزير الاتصالات: بنيامين بن اليعزر (إسرائيل واحدة)
- نائب وزير الاتصالات: اسحاق وكنين (شاس)
- وزير الأمن الداخلى: شلومو بن عامى (إسرائيل واحدة)
- وزير العدل: يوسى بيلين (إسرائيل واحدة)
- وزيرة البيئة: داليا ايتسك (إسرائيل واحدة)
- وزير بمكتب الوزراء حاييم رامون (إسرائيل واحدة)
- وزير العمل ايلى يشاى (شاس)
- وزير الثقافة والعلوم والرياضة" ماتان فلنائى (إسرائيل واحدة)
- وزير التنمية الاقليمية. شيمون بيريز (إسرائيل واحدة)
- وزير البناء والاسكان اسحاق ليفى (المفدال)
- وزير الصناعة والتجارة ران كوهين (ميرتس)
- وزير التعليم. يوسى ساريد (ميرتس)
- نائب وزير التعليم شاؤل يهلوم (المفدال)
- نائب وزير التعليم شولام نهرى (شاس)
- وزيرة الاستيعاب: البروفيسور يولى تامير (تعيين شخصى)
- نائبة وزيرة الاستيعاب ماريند سولودكين (يسرائيل بعليا)
- وزير المواصلات: اسحاق موردخاى (الوسط)
- وزير السياحة: امنون لبكين شحاك (الوسط)
- وزير البنية الاساسية: ايلى سويسا (شاس)
- وزير الداخلية: ناتان شرانسكى (يسرائيل بعليا)
- وزير الزراعة: حاييم اورون (ميرتس)
- وزير الصحة شلومو بنزيرى (شاس)
- وزير بلا وزارة: ميخائيل ملاخيئور (ميماد - إسرائيل واحدة).

ملخص لبعض افتتاحيات الصحف العبرية :

يديعوت أحرونوت صحيفة مستقلة حجم التوزيع : ٢٥٠,٠٠٠ نسخة
معاريف صحيفة مستقلة حجم التوزيع : ١٦٠,٠٠٠ نسخة
هآرتس صحيفة مستقلة حجم التوزيع : ٦٥,٠٠٠ نسخة
هاتسوفيه تنطق باسم الحزب الديني القومي (المفدال)

١٤ يوليو ١٩٩٩ :

تتهكم صحيفة هآرتس على نسبة التمثيل الهزيلة للنساء في موقع السلطة والادارةالعليا ، وخاصة تلك المستويات المنوط بها صياغة وتنفيذ السياسات العامة، حيث يبدو وكأن النظام السائد يتعمد المصادرة على انتخاب النساء للوظائف العامة، وفي هذا الصدد تشير الصحيفة الى ضرورة تبني سياسات لمعالجة هذا الوضع الذي يحصد النساء في المهن من الوظائف ذات المكانة من التأثير المتدينين أو في الاعمال التي يأنفها الرجال لتدني أجورها ، بينما تؤكد الضمنية أنه سيكون من المجحف مطالبة رئيس الوزراء ايهود باراك بعلاج حاسم لهذه الاختلالات التي تراكمت على مدار الاعوام الخمسين الماضية ، الا أنها تنتقد عدم اهتمام باراك بزيادة نسبة تمثيل النساء في ادارته مقارنة بالتعهدات الاخرى التي أخذاها على عاتقه اثناء الحملة الانتخابية ، وفي هذا الاطار أعرب المحررون على تأييدهم للاقتراح المتعلق بارسال "ليارابين" الى الامم المتحدة كوسيلة لتحسين مكانة المرأة الاسرائيلية ، بيد أن ذلك لا يقلل - وفقا للصحيفة من ضرورة تخصيص حصص أكبر من الوظائف العليا للنساء ، فضلا عن ضرورة اعدادهن وتأهيلهن لسد الفجوة المتزايدة بينهن وبين الرجال ، حيث ترغم النساء على التباري مع رجال مؤهلين ويتقاضون دخولا أعلى ، أو مع العسكريين المحنكين الذين يمتلكون القدرة على المبادرة والسبق في الحياة المدنية .

تؤكد صحيفة هاتسوفيه على قدرة وزير الاسكان والتشييد اسحاق ليفي على إعادة الناخبين اليمنيين مجددا الى الحزب الديني القومي (المفدال) ، اذا ما قام بالادلاء ببعض التصريحات المتعلقة بخطط البناء في كل من يهودا السامرة ، غزة الجولان . وهو الامر الذي أحجم عنه ليفي حتى الان وحتى يمكن الحكومة من أداء مهامها ، وفي الوقت ذاته يشير المحررون الى أن وزير الصناعة والتجارة الجديد "ران كوهن" قد قرر بالفعل بشكل مستقل تحويل الموارد المالية بعيدا عن التجمعات اليهودية عبر الخط الاخضر ، على الرغم من أن ذلك يعد قرارا حساسا وغير منسجم مع اتفاق التحالف من الخطوط الارشادية للحكومة الائتلافية ، وطبقا للصحيفة، فان على رئيس الوزراء "ايهود باراك" أن يفرض سياسة حازمة فيما يتعلق بالتصريحات الخاصة بالموضوعات الاشكالية الشائكة خاصة وأن هناك العديد م المشاكل التي يمكن ان تنشب مستقبلا في حال استمرار تلك الازعاجات اللفظية ، ويحدد المحررون المشكلة الرئيسية للحكومة في رغبة ميريتس في توضيح ان شينوى لن تصادر على فعالياتها أو تتخطاها في صياغة التوجهات العامة للحكومة . وهو التوجه الذي يمكن أن يؤدي في النهاية لانهيار ادارة باراك كنتيجة لاستقالة الاحزاب الدينية من التحالف ، وانطلاقا من سلطة رئيس الوزراء في اقصاء أعضاء الوزارة ، فان الصحيفة تنصح باراك بأن يضع كوهن وقيادة ميريتس تحت الملاحظة .

١٥ يوليو ١٩٩٩ :

تعتقد هآرتس ان اللقاءات القادمة بين كل من رئيس الوزراء الاسرائيلي ايهود باراك ورئيس الولايات المتحدة الامريكية بيل كلينتون " تهدف لاعادة صياغة العلاقات الاسرائيلية الاميريكية واعادة عملية التسوية السلمية

المزمعة بين الزعيمين سوف تساهم فى النهاية فى تحديد طابع العلاقات بين باراك وكلينتون وذلك حتى نهاية فترة رئاسة الاخير، وفى هذا الصدد تشير الصحيفة الى أن كلينتون يرى فى باراك شريكا جادا ويعتمد عليه سواء فيما يتعلق بتنفيذ مذكرة واى ريفر ، أو استكمال مسار المفاوضات مع سوريا .. مع الالتزام بالاطار الزمنى الضيق المتبقى قبل انتخابات الرئاسة الامريكية عام ٢٠٠٠ انطلاقا من ذلك تنصح الصحيفة ايهود باراك بالبدء فى بناء أسس الثقة بينه وبين مراكز السلطة فى الولايات المتحدة فبمجرد أن ينتهى من وضع أطر سياسته وتحديد حجم المساهمة الذى يتوقعه من الولايات المتحدة ، فإن رئيس الوزراء سوف يكتشف ان الادارة الامريكية ستكون سعيدة للغاية بأداء المهام المطلوبة منها والتى سبق ان صانها كل من اسحاق رابين، وشيمون بيريز ، وفى الوقت ذاته تؤكد الصحيفة على ضرورة ان يبذل باراك كافة الجهود الممكنة لبناء علاقات قوية مع كل من الجمهوريين والتجمع اليهودى الامريكى ففى مواجهة عدم الاستقرار الحال فى كل من ايران والعراق ، فإن على باراك استعادة الثقة بين اسرائيل والولايات المتحدة وذلك بالتوازى مع استكمال المفاوضات مع كل من الفلسطينيين والسوريين ، وفى هذا الاطار يمكن أن تلعب المنابر الاسرائيلية المتعددة دورا هاما لقاعدة للتعاون بين المجتمع الدولى والعناصر الساعية للسلام فى الشرق الاوسط .

١٨ يوليو ١٩٩٩ :

تشير هآرتس الى أن التقارير الواردة بخصوص محادثات رئيس الوزراء ووزير الدفاع ايهود باراك مع واشنطن تفتح نافذة من الامل لاستعادة الثقة والتعاون والوضعية الخاصة التى كانت تتسم فى السابق علاقات اسرائيل بالولايات المتحدة والتى انحدرت لادنى مستوياتها خلال السنوات الثلاث لحكم بنيامين نتنياهو ، فالمعلومات الاولية التى توافرت عن هذه المحادثات تشير الى نجاح رئيس الوزراء فى اقناع الولايات المتحدة ان مشاركتها مطلوبة بشكل اساس فيما يتعلق بمسار التفاوض مع سوريا بيد أن حسم المفاوضات مع الفلسطينيين يجب ان يتم عبر الاتصالات المباشرة بين الطرفين الاسرائيلى والفلسطينيين وهو ما يوضح حرص باراك على تأبين النهج الذى اتبعه سلفة (بنيامين نتنايهو) الذى سمح للولايات المتحدة بالمشاركة التفصيلية فى قضايا التسوية مع الفلسطينيين وأدى بالتالى للاضرار بعملية التسوية بحقها وتتوقع الصحيفة أنه اذا ما وافق الفلسطينيون على اقتراح رئيس الوزراء بدمج تنفيذ اتفاق واى ريفر مع التفاوض حول اتفاقيات الوضع النهائى فان الطريق سيكون مشرعا لتحقيق تقدم فعلى على صعيد الحسم الكامل للمشكلة الفلسطينية وتؤكد الصحيفة على أن الجزء الكثر أهمية فى زيارة باراك لواشنطن سوف يبدأ غدا ، عندما يجتمع هو وكلينتون لتحديد نقاط الخلاف الاساسية فى رؤية كل منهما ، كما تتنبأ أن جولة المحادثات هذه سوف توضح الاحتمالات الفعلية للتقدم عبر مسيرة التسوية فى الشرق الاوسط ، فضلا عن تحديد حجم التعويضات المالية والدبلوماسية والعسكرية التى ستمنحها امريكا [illegible] ائيل مقابل ما ستتحلى عنه تلك الاخيرة لاحلال السلام فى الشرق الاوسط ، بيد أن رئيس الوزراء فى المقابل سيكون مضطرا لان يترك على مكتب الرئيس التزاما وتعهدا [illegible]

علقت هاتسوفيه على ملاحظة الرئيس كلينتون عشية لقائه مع رئيس الوزراء "يهود باراك" بأنه منفعلا كطفل ينتظر لعبة جديدة ، وعلى الرغم من أن التصريحات اللاحقة للرئيس قد أكدت أنه لم يقصد ازدراء اسرائيل أو باراك بهذه العبارة إلا أن الصحيفة تعتقد أن ذلك فى حد ذاته لا يعدو مثالا آخر على النهج الابوى الذى دأب كلينتون على ممارسته تجاه اسرائيل لمدة طويلة انه يمكن ان يكون صديقا ، ولكنه مثل عم عجوز يدرك افضل بكثير من الصبى الصغير ماهو الافضل بالنسبة له ، إن ذلك يمكن تلمسه فى الميل الاخير لامريكا تجاه العرب والمساندة الكاملة من قبلهم للفلسطينيين وفى هذا الاطار تلح الصحيفة فى ضرورة استبعاد رئيس ادارة المخابرات المركزية الامريكية CIA فى تل أبيب - وهو شخص يهودى - من عملية التفاوض الفلسطينية الاسرائيلية ، حيث يؤمن المحررون أنه سيكون من الايسر بالنسبة لباراك مقارنة نتنياهو أن يسعى لتقليص حجم التدخل الامريكى المبالغ فيه ، فلو أن نتنياهو قد أعلن ، كما فعل باراك ، أن تنفيذ اتفاق واي ريفر يمثل خطرا بالنسبة لاسرائيل لكان قد تعرض لهجوم حاد ان باراك لديه وضع أفضل بكثير ، فقد تم الترحيب به بحرارة بشكل اساسى لان الامريكيون ليس لديهم بديل آخر على يسار باراك ، وهو ما يعطيه قدرة أعلى الضغط والمساومة الامر الذى يتضح بخصوص تصريحه بان السوريين لن يعودوا الى شاطئ بحيرة طبرية ، فعلى الرغم من أن السوريين يصرون على ذلك ، الا ان تشبث باراك برأيه سيدفع السوريين لتغيير موقفهم ، فسيدركون عندئذ ان الامر لايساوى الانتظار

حتى يجيئ رئيس وزراء آخر ، ان باراك يمتلك العديد من نقاط التميز ، ومن الهام أن يستغلها جميعا .

٢١ يوليو ١٩٩٩ :
تعتقد هآرتس أن الزيارة الاخيرة لرئيس الوزراء "باراك" الى الولايات المتحدة قد قربت اسرائيل خطوة أخرى من عقد اتفاقيات سلام مع كافة جيرانها فبعد أن أكد الرئيس كلينتون تعهده بتقليص الاخطار التى يمكن ان تواجه اسرائيل اثناء سعيها لعقد مصالحة تاريخية فى الشرق الاوسط، فإن كلينتون قد أوضح بذلك استعادة الثقة والارتباط اللذان يشكلان سمة أساسية للعلاقات الامريكية الاسرائيلية ، ان هذه الوضعية فضلا عن المساندة التى يحظى بها رئيس الوزراء من التحالف الحاكم يمكن ان تسمح لباراك باستكمال مسيرة التسوية دون انقطاعات جدية وعلى الصعيد الاخر فان الترحيب الذى حظى به باراك والوعد الذى تلقاه بزيادة المساعدة العسكرية لاسرائيل قد ارسى الركائز الضرورية للمبادرة على صعيد التسوية ، وبينما لا يمكن توقع حلول سحرية للصراع العربى الاسرائيلى فان الاطار الزمنى الذى طلبه رئيس الوزراء والذى يقارب خمسة عشر شهرا بعد فترة أكثر من كافية للتوصل لاتفاق حاسم ، فبعد العديد من سنوات التفاوض والمحادثات الجادة فان جوهر التسوية وخطوطها العامة أصبحت معروفة للجميع . وفى الحقيقة فان الشك المتبادل وغياب النوايا الحسنة هى التى كانت وراء العضلات التى نشبت خلال السنوات الثلاث الماضية. ان توافر كل من الدعم الداخلى الساحق ، والوضع الاقليمى الملائم فضلا عن المساندة الهائلة من قبل زعماء العالم يخلق لحظة ملائمة لتحقيق السلام فى الشرق الاوسط وانطلاقا من ذلك فان الصحيفة تأمل أن يقوم رئيس الوزراء بتعيين فريق المفاوضين عقب عودته من أمريكا .. وأن يلزمهم بضرورة الاعداد لتوقيع اتفاقيات السلام مع جيران اسرائيل دونما أى تأجيل أو تعطيل غير ضرورى.
تشير معاريف الى أن قمة واشنطن بين كل من كلينتون وباراك قد خلقت موجة من التوقعات فيما يتعلق بالتقدم الفعلى فى المفاوضات بين اسرائيل وسوريا . وهو الامر الذى أعدد لجنة مستوطنى الجولان الى الحياة ودفعها بمجلة اعلامية جديدة ضد الانسحاب من الجولان ومن وجهة نظر الصحيفة فان هذه المعارضة المنظمة شرعية حتى اذا ما كانت فرض نجاحها محدودة ، فالديمقراطية الاسرائيلية تضمن لمستوطنى الجولان كامل الحق فى المقاومة شريطة ان يتم ذلك عبر الوسائل الشرعية القانونية ، وألا ينحرف عن المعايير والقواعد المقبولة فى المجتمعات الديمقراطية ، وفى الوقت ذاته فبينما لا يتوقع المحررون أن تترك هذه الاحتجاجات أية انطباعات عند الرئيس الوسرى "حافظ الاسد " ، الا انها تسهم طبقا لرؤيتهم فى تأكيد الثمن المؤلم الذى ستضطر اسرائيل لدفعه مقابل تحقيق السلام .. وبالتالى فعلى الجميع ان يدركوا ان اسرائيل تتوقع سلاما كاملا فى المقابل .. ان دولة اسرائيل ومواطنيها لا يتفقون كلية فيما يتعلق باخلاء التجمعات والمستوطنات .. ولكن اذا ما وصلت المفاوضات لنهاية ناجحة فان ذلك الثمن سوف يتم ايفائه .

٢٤ يوليو ١٩٩٩ :
تناقش معاريف حوادث العنف الاخيرة التى شنها غلاة الارثوذكس من اليهود ضد النساء العاملات فى وزارة التعليم (الواقعة على طرف حى بماشعاريم) موضحة أن هذه التصرفات لا تعد مفاجأة بالنسبة لسكان القدس فمنذ الثورة السياسية التى عكستها انتخابات البلديات والتى سيطر المتطرفون على غالبية مقاعدها ، وبمساندة كل من السلطة السياسية والقوة البدنية فقد اعتادت العناصر المتطرفة من الارثوذكس على انتهاك الاتفاقات المتعلقة بشارع بار – ؤيلان ، كما أن العنف لم يعد قاصرا على السبت وأيام الاجازات حيث قام "حراس التقاليد" بمهاجمة وحداث سكنية يقطنها مسيحيون وطلبة وسناء ينتمون للفصل العلمانى .. إن تطورات الاوضاع فى القدس يوضح أن المدنية علي شفا التقسيم واقعيا ، ليس فقط عبر احداثيات الشرق والغرب ، ولكن ايضا شمالا (المتدنين وغلاة الارثوذكس) وجنوبا (العلمانيون) ، وفى هذا السياق يدعو المحررون الحكومة لوقف تيار العنف ، ومنع المتطرفين من السيطرة على المدنية والاعداد لخطة طويلة المدى لحماية التوازن الديموغرافى للمدنية وهو ما يشمل بالضرورة استثمارات مكثفة فى القطاعات الصناعية المتقدمة وخلق المزيد من فرص العمل .

من السابق لأوانه الإحتفال

معاريف ١٦/٧/١٩٩٩
بقلم: عوديد جرانوت

أمس ، وبعد عدة ساعات فقط من إخراج حوالي مليون شخص إلى الشوارع في إيران بواسطة مؤيدي الخط المتشدد في مظاهرة قوة إستعراضية أمام مظاهرات الطلبة ، أقلع الحاخام مناحم فورمان من إسرائيل إلى عاصمة كازاخستان حتى يلتقي هناك في سرية مع وفد من رجال الدين في طهران. منذ حوالي سنتين والحاخام فورمان يجري سلسلة من الإتصالات الهادئة مع الإيرانيين ، جزء من تلك اللقاءات تتم بتغطية كريمة من رئيس كازاخستان. إن الحاخام لن يقول للإعلام كلمة واحدة عن جوهر هذه اللقاءات، وكذلك لن يصدق علانية وجودها في الأصل، وأقصى شيء يمكن الخروج به منه هو تصريح عام عن أهمية اللقاء الديني، اليهودي - الإسلامي، كوسيلة لتنقية (تطهير) حكم آيات الله في إيران ولزيارة إنفتاحه على العالم الخارجي. وإذا كانت هناك نقطة إلتقاء، بين النشاط الصامت للحاخام فورمان وبين مظاهرات الطلبة الثائرة في إيران، فإنه يتم التعبير عنها في الأمل في أنه من الممكن تغيير سياسة السلطة من الداخل، والعمل على تغيير إتجاهاتها دون محاولة قلبه على أعقابه. وإذا حكمنا على الوضع على ضوء أحداث الأسبوع الماضي والذي إنتهى بمظاهرة القوة المضادة لأتباع الخط المتطرف، فإننا سنجد انطباعاً بأن الحاخام فورمان أيضاً، وكذلك الطلبة المتظاهرين مع الفارق، قد تحلوا ربما بكثير من النوايا الطيبة من أجل إحلال التغيير، ولكن ليس أقل من ذلك تحلوا أيضاً بدرجة كبيرة من السذاجة.

ولن نتحدث عن أن الأخبار التي وردت عن موت الثورة الخمينية كانت أخباراً مبالغ فيها وسابقة لأوانها.

إن المبالغة لدى دوائر معينة، في إسرائيل وفي الغرب، من إنفجار الطلبة في إيران، والميل إلى رؤية الوضع كبداية النهاية لحكم آيات الله، إستند على ما يبدو على مشاعر القلب وبشكل أقل على تحليل واع للوضع في المنطقة.

إن فحصاً أكثر دقة كان من الممكن أن يكشف الحقائق التالية:

أولاً: لم يخرج الطلبة كما هو مفهوم إلى الشوارع مطالبين بتغيير الحكم، بل في دعوة لتطبيق إصلاحات واعتراضاً على تقييد حرية الرأي بواسطة السلطات. صحيح أنه قد سمعت هنا وهناك أصوات نقد ضد الزعيم الروحاني علي خامنئي، ولكن معظم الشعارات اهتمت بطلب حرية أكثر وبمعاقبة قادة الشرطة والمليشيات.

إن القصة، كما هو معروف، مرتبطة بصراع القوى الذي يدور منذ حوالي سنتين داخل أروقة الحكم، بين أتباع ومؤيدي الجناح المتطرف، بزعامة خامنئي ورئيس البرلمان، ناطق نوري، وبين الجناح الأكثر إعتدالاً، بزعامة الرئيس خاتمي.

وفي إطار هذا الصراع، والذي بدأ مع الإختيار المفاجيء لخاتمي للرئاسة في عام ١٩٩٧، بدأ المحافظون بالهجوم على التعيينات الليبرالية التي نفذها الرئيس في حكومته، وأصابوا بالضرر الشخصيات المقربة إليه، مثل رئيس بلدية طهران والذي أرسل للسجن.

وحتى يصدوا باب النقد عليهم في الصحافة الإيرانية، بدأ المحافظون في زيادة الهجوم على حرية الرأي، وحاولوا تقييدها بطرق قانونية، مثل إغلاق صحف مثلاً، وعندما فشلوا في ذلك، بدأوا في الاضرار البدني للصحفيين والكتاب. وقد كان السبب لرئيسي المباشر لمظاهرات الطلبة هذا الأسبوع هو إغلاق الجريدة اليومية الليبرالية

"سلام" والتى إتهمت علناً وزير المخابرات السابق، "على فلاحيان" بمسئوليته عن إغتيال رجال الفكر.

ثانياً. مظاهرات الطلبة كانت تلقائية (عفوية) فهم لم ينظموا بأيدى الرئيس خاتمي ولم تعكس محاولة من طرفه لإبراز قوته في مواجهة الجناح المتشدد. والأكثر من ذلك، فإن إنتشار أعمال الشغب من طهران إلى مدن أخرى وإتساع نطاقها، وضعت الرئيس في وضع مربك للغاية واضطرته للسير على الحبل الرفيع: فإن تأييداً علنياً لتلك المظاهرات من جانبه كانت ستظهره كمن يساعد أعداء السلطة، ويعطى يداً لحرق القانون والنظام.

وفى مقابل ذلك فإن أى تعبير له ضد الطلبة، الذين يؤيدون سياسته، كانت ستعطى شرعيته لأتباع الخط المتطرف، لقمع الاضطرابات بالقوة. ولهذا السبب، إجتهد فى بداية الاسبوع للتهرب من التنديد بالاضطرابات ولكن فى نهاية الأمر إضطر للخروج بدعوة وبإنذار هجومى للطلبة للتوقف عنها.

ثالثا: ان المتظاهرين لم يرفعوا، في المقابل، راية مكافحة الضائقة الاقتصادية الصعبة في إيران. فقد تركز اعتراضهم أساسا على تقييد حرية التعبير، ربما لأن الطلبة وبالذات بجامعة طهران لا ينتمون إلى الطبقات الفقيرة.

رابعا: إن مظاهرات الطلبة إنتشرت فى الواقع من العاصمة إلى مدن الحقول، ولكنها لم تجرف خلفها قطاعات إضافية من السكان، والذين أضيروا من سياسة التقشف الصعبة. فهنا وهناك كان يرى متظاهرون بالغون أكثر ولكن أعدادهم كانت قليلة نسبيا.

لقد توقفت موجة الاعتراض يوم الأربعاء والتى قادها الطلبة. فقد ساهم فى ذلك عناصر عديدة، مثل غياب خط أيديولوجي واضح لدى المتظاهرين ونقص الوضوح للأهداف. وقد برز كذلك غياب زعامة ذات شخصية محبوبة لدى الجماهير من نوعية آية الله خمينى والذى قاد ثورة آيات الله قبل ٢٠ عاما. وقد تم إعتقال إثنين من زعماء الطلبة فورا مع بداية المظاهرات.

إن المتظاهرين، كما يبدو، لم ينجحوا أيضا فى أن يجرفوا خلفهم قطاعات أخرى من السكان وهو الأمر الذى كان من الممكن أن يعطى للمظاهرات طابع إعتراض أوسع.

والنقطة الحاسمة هى أنهم رفضوا تأييد ومساندة الرئيس خاتمى "قدوتهم".

وكما تبدو الأمور الآن، إن إيقاع الطلبة المتظاهرين كان أسرع من اللازم حسب رأى الرئيس، والذى يرغب فى قيادة إصلاحات وانفتاح ـ ولكن بالتدريج، ببطء، وبدون زعزعة أقوى من اللازم لأسس الحكم. وخاتمي، مع كل إعتداله، هو جزء من الدولة، وزعزعة الأسس من الممكن أن يؤدى إلى انهيار سريع للغاية لكل السقف.

وبالاضافة لذلك، فإنه حتى الصحافة التى أيدت فى البداية المتظاهرين غيرت فى نهاية الاسبوع نغمتها وخرجت بعناوين رئيسية ضد العنف، "والذى يمكن أن ينسف جهود الإصلاح".

إن على خامنئى الزعيم الروحانى، كان يستطيع لو كان يرغب أن يخنق مظاهرات الطلبة من اليوم الأول، بواسطة تفعيل مكثف لقوات الأمن، الحرس الثورى، الجيش والميليشيات الخاضعين لأوامره. ولكنه قرر عدم القيام بذلك، حتى يمنع سفك دماء زائدة كانت من الممكن أن تزيد المواجع.

وأول أمس مع هدوء الأمور وخمودها إختار خامنئى العمل على وقف المتظاهرين بالذات بواسطة إستخدام سلاحهم أى تنظيم مظاهرة مضادة عملاقة لمؤيدى الحكم والتى روعت الطلبة فزعا وكذلك جسدت لهم أن السلطات تتمتع بتأييد شعبي واسع.

وفى المقابل سارعت السلطات لالصاق التهم الجنائية بالمتظاهرين "بالتعبئة فى صفوف أمريكا وإسرائيل» وتوعدوا بعقوبة الموت للخونة.

إن أحداث الأسبوع الماضى تدل على أنه من السابق لأوانه التنبؤ بنهاية الحكم الحالى وإنقلاب إيران من دولة أصولية إلى دولة مع حرية التعبير وصحافة وإنفتاح على الغرب. ولكن بنفس المقدار لا يوجد سبيل الآن لإقرار أن ما حدث هذا الاسبوع كان بمثابة ظاهرة طارئة وانتهت.

والأكثر من ذلك، فلا مجال للشك فى أن مظاهرات الطلبة قد نقشت تصدعا كبيراً فى جدار الحكم وجذبت الاهتمام الداخلى والعالمى، للصراع على حرية الرأى والاختيار.

إن الصراع بين المحافظين والمعتدلين لم ينته. إنه فقط سيأخذ فى الاتساع نحو الانتخابات للبرلمان فى مارس ٢٠٠٠، ولا يوجد ما يمنع إحتمال أن يجرف فى أعقابه خروجا إلى الشوارع، وهذه المرة لقطاعات من السكان أكثر. وعلى مدى أبعد، من الواضح أن إيران تخطو نحو تغيير راديكالى.

ومن هذه الناحية، من المهم أن نتذكر أيضا أن العداء الذى تبديه إيران تجاه إسرائيل ليس حكما من السماء، والذى لن يتغير على الاطلاق. لقد ظهرت فى الأيام الأخيرة فى الصحافة الليبرالية ـ والتى تتاح صدورها حاليا ـ تعبيرات عن الرضا من إختيار إيهود باراك وجهوده لارساء سلام شامل فى المنطقة. ومن الممكن الافتراض أيضا أن أى تقدم فى مسيرة السلام من الممكن أن تقلل من مستوى هذا العداء، وأن تؤدى فى نهاية الأمر إلى تحسين العلاقات.

وحينئذ، من المحتمل أن يرى الحاخام فورمان بركة أكثر فى جهوده لإرساء حوار حقيقى بين حكماء الدين من اليهود والمسلمين.

لو تصرفتم بشكل مهذب، يمكن أن يصبح آيات الله فتيانا لطافا

هآرتس
١٠/٨/١٩٩٩
بقلم: الوف بن

{إسرائيل تسجل فشلاً مزدوجا فى سياستها تجاه إيران}

استغل ايهود باراك رئيس الوزراء زيارته لموسكو فى الأسبوع الماضى حتى يكتسب خبرة فى السياسة العالمية. وقد قال لمضيفيه في الكرملين أن تسلح إيران بصواريخ وسعيها للحصول على أسلحة نووية يثيران قلقا، وسوف يؤثران ليس فقط على أمن اسرائيل، بل وعلى الإستقرار فى الشرق الأوسط، وضخ النفط لليابان وأوروبا، بل وحتى على الإقتصاد الروسى. وقال باراك، يجب عمل كل شيء من أجل وقف هذه العملية الخطيرة.ولكن إلى جانب التحذيرات من خطورة التهديد، طرح رسالة مصالحة، لم يسبق أن صدرت عن زعيم إسرائيلى فى السنوات الأخيرة.

لقد أبدى باراك تفهما للمشاكل الأمنية التى دفعت آيات الله للخيار النووى. وقال للزعماء الروس. "إن إيران لا تسعى للسلاح النووى بسببنا فقط. فعندما تنظر ايران ناحية الشرق الأوسط ، حتى المحيط الهادى، ترى ان الجميع لديهم أسلحة نووية".

واتفق بوريس يلتسين وأقرانه مع رأى رئيس الوزراء. وقد اتفق الأطراف على انه لا يوجد خلاف اساسى بين إسرائيل وإيران، وأن ايران تقع على حدود دول تمتلك اسلحة غير تقليدية. لقد وعد يلتسين بأن يتشدد فى أمور الرقابة ودراسة الآراء الخاصة بنقل التكنولوجيا الروسية لبرامج الصواريخ والبرامج النووية الإيرانية. وأوضح باراك أن المشكلة لن تؤثر على العلاقات الإسرائيلية ـ الروسية. وكان لرسالة باراك عنوان غير مباشر: إنه طهران.

فى نفس اليوم تم استدعاء السفير الإيرانى لوزارة الخارجية الروسية، وقالوا له هناك: ان التعاون مع ايران (هو حجر الزاوية فى سياسة الكرملين)، وإنه فى القريب سيزور روسيا رئيس لجنة الطاقة النووية الإيرانية، غلام رضا اغازاده. وقد حقق الروس هدفهم أى إبعاد القلق الإسرائيلى بسبب علاقاتهم مع طهران. لقد فشلت إسرائيل تماما فى محاولة إثناء موسكو وفرض عقوبات أمريكية عليها من أجل وقف مساعداتها لايران. وقد حذر رئيس نتيف السابق والمقرب لباراك ـ يعقوب كرمى ـ من أن موسكو لن تخضع للضغط الإسرائيلى. وهذا ما فهمه بنيامين نتنياهو فى نهاية خدمته ، ووافق على توقف مؤقت عن الضغوط على موسكو.

لقد جربت اسرائيل فى العامين الأخيرين كل شيء منها طلبات للإدارة الأمريكية ، واستخدام الكونجرس ضد الإدارة وإجراء اتصالات مباشرة مع روسيا. وقد أشارت المعلومات إلى وجود عملية نقل للتكنولوجيا الخطيرة وبدون أى عقبات. ونفى الروس وطلبوا براهين. ولم يرغب الأمريكيون ـ الذين يهمهم استقرار نظام يلتسين ـ فى أن يضغطوا بقوة. يقول موظف كبير "يجب أن نفهم أن للولايات المتحدة سياسة عالمية، وهى لا تهتم فقط بإسرائيل. فنحن أيضا لنا مصالح: باراك يحتاج الآن إلى كلينتون فى عملية السلام ، ولذلك تراجع ضغطنا على الولايات المتحدة". وفى واشنطن استجاب باراك لمضيفيه فى الإدارة وقال فى الكونجرس هذا أمر بين الولايات المتحدة والروس.

فشل مماثل لحق بالجهود العكسية التى بذلتها إسرائيل، لامتصاص التوتر وإجراء حوار هادئ يؤدى إلى تقليل العداء الايرانى. بموافقة من السلطات التقى أكاديميون إسرائيليون مع اقرانهم الايرانيين، المقربين من الرئيس محمد خاتمى. كان المناخ طيبا والرسائل ايجابية، ولكن لا جديد على المسار الرسمى. فالمواجهة الداخلية فى ايران، بين المحافظين، بزعامة الزعيم الدينى على خامنئى، وبين المعتدلين بزعامة خاتمى، غير ملحوظة بالنسبة لإسرائيل. الجميع يعبرون عن كراهية عميقة. وهذا الفشل يدل على محدودية السياسة الإسرائيلية، سواء عندما حاولت الوقيعة بين الولايات المتحدة وروسيا، أو عندما عملت بمفردها. يعتقد باراك أنه ليس فى مقدور اسرائيل أن تؤثر على ايران، وأن عليها أن تتصرف طبقا لقوتها. قريبا سيعقد اجتماع حول السياسة الخاصة بإيران، وذلك وفقا لطلب الأجهزة المعنية.

تحتل ايران موقعا رئيسيا فى الأفق الإسرائيلى منذ الخمسينات. فى عهدالشاه كانت دولة حليفة، وشريكاً عسكرياً والمورد الرئيسى للبترول. منذ ثورة الخمينى

عام ١٩٧٩، تحولت ايران إلى قلعة المقاومة لإسرائيل، حيث اسمتها (الشيطان الصغير)، ربيب (الشيطان الاكبر)، امريكا.
فى السنوات الأولى للحكم الإسلامى زودت إسرائيل ايران بالسلاح خلال الحرب مع العراق. وبدأ التحول فى بداية التسعينات، عندما قررت ايران التسلح بالسلاح النووى، وتعريض التفوق الاقليمى الإسرائيلى للخطر. وقد اكد اسحاق رابين ان ايران هى العدو الأول لعملية السلام. واتهمها شمعون بيريز بالتفجيرات التى قضت على حكمه، وحصل من كلينتون على عقوبات أضرت بالاقتصاد الايرانى. وانجرف نتنياهو للمسألة الايرانية كلما تزايدت عملية الضغوط فى عملية السلام.
وجاء إنتخاب خاتمى فى مايو ١٩٩٧ ليضع تحديا امام اسرائيل. وجاء الوزير الجديد والمعتدل ليشرح صورة حكام ايران كمن هم مخبولون ومتطرفون. وقد رد وزير الخارجية بخطاب ايجابى من الكنيست ، وعلى المستوى المتخصص ظهرت مجموعتان. فى جانب وقف كبار المسئولين فى وزارتى الخارجية والدفاع ومستشار الأمن القومى، دافيد عفرى، ورئيس (مجموعة ايران) وهى مجموعة وزارية لوضع سياسة خاصة بإيران. اشار هؤلاء إلى وجود تغيير داخلى فى ايران والتخوف من أن تمد واشنطن يدها لخاتمى، وتبقى إسرائيل بمفردها أمام إيران. بتوصية من هؤلاء تمت الموافقة منذ عدة شهور على سياسة جديدة، أكثر اعتدالا: وهى ان تنظر إسرائيل إلى ايران على انها خطر وليس عدوا وسيمتنع النظام السياسى عن أى تصريحات علنية ضد إيران، وأن يعلن فى كل مكان أن إسرائيل ليست معادية للشعب الايرانى أو الاسلام أو الدولة الايرانية. ويقول المسئول الكبير: "لا يجب ان نكون رأس الحربة فى المواجهة ضد ايران".
فى مجموعة المعتدلين يتكلمون عن الحوار مع ايران، فى محاولة للقيام بخطوات لبناء الثقة، على غرار العلاقات التى بين الدول الكبرى اثناء الحرب الباردة، والتى تضمن أن تفهم الاطراف بعضها البعض بشكل جيد جدا، ولا تنحدر الخصومة إلى درجة المواجهة.
على الجانب الآخر من المتراس يقف رئيس قسم الابحاث بالمخابرات العسكرية، العميد عاموس جلعاد، ومنسق العمليات فى لبنان، أورى لوبرانى، ونائب وزير الدفاع الجديد، افرايم سنيه. الثلاثة يحذرون منذ سنوات من خطورة التهديد الايرانى. وهم يرون فى خاتمى رجل ضعيف، بدون قوة تأثير على السياسة الخارجية والعسكرية فى بلاده. وقد أدى فشل مظاهرات الطلاب إلى تعزيز تقديرهم، من أنه على الرغم من الوضع الاقتصادى الصعب، والاحساس بأن النظام الايرانى يتراجع، فإن سقوطه ليس منظورا حاليا.
يعتقد لوبرانى، سفير إسرائيل السابق فى طهران والذى شهد سقوط الشاه، انه يجب مساعدة النظام الحالى على السقوط. ووفقا لتصريح حصل عليه من رابين، هو يدير معركة متواضعة اعلامية موجهة لايران عن طريق اذاعة إسرائيل بالفارسية ومحطات أخرى. والهدف هو عرض تقارير صادقة عن كل ما يجرى فى الجمهورية الاسلامية لتأكيد فشل السلطات، وتشجيع قوى التغيير. وهذه الاذاعات تلتقط وتسبب مضايقات للسلطات. تعتمد السياسة التى ستديرها حكومة باراك تجاه ايران على التطلع لاستئناف العلاقة بين الدول. لدى إيران وإسرائيل مصلحة اساسية مشتركة، كدول غير عربية فى المنطقة، وذات قوة ضخمة للتعاون الاستراتيجى والاقتصادى فيما بعد عهد الخومينية. ستبدى إسرائيل المزيد من التفهم عن الماضى للمصالح الاقليمية ومشاكل الأمن الايرانية، ولكنها ستظل تحذر من الخطر النووى والصاروخى لايران.
ازاء هذا الخطر ستواصل إسرائيل تطوير ادارة ردع مضادة، والبحث عن حلفاء فى المنطقة. ويرون فى المؤسسة العسكرية أن التنسيق مع واشنطن يعتبر عنصرا رئيسيا فى السياسة الإسرائيلية ويحذرون من مغامرات مستقلة. وسوف يتبنى باراك هذه التوصية، ومثل اسلافه سوف يبلغ واشنطن بنتائج اتصالاته مع روسيا.
بعيدا جدا عن الأضواء ستواصل إسرائيل محاولات تشجيع المعتدلين فى ايران، وكذلك خلق قنوات حوار، وكذلك الحرب النفسية. وكلا المسارين ينتظر المعارضة ولكن من الصعب التكهن بأن باراك سيقرر التوقف عنهما، حتى لو ظل النظام الايرانى متمسكا بالعداء الشديد لإسرائيل.

لأن تركيا واضحة وجلية

هآرتس
١٩٩٩/٧/١٨
بقلم: تسفي برئيل

من الصعب ان نذكر ذلك، ولكن اتفاقية التعاون العسكرى بين إسرائيل وتركيا قد وقعت قبل ثلاث سنوات فقط أى بعد عامين من توقيع اتفاقية السلام مع الأردن وثلاث سنوات من اتفاقية أوسلو إلا أن نقطة التحول الاستراتيجية هذه فى العلاقات بين تركيا وإسرائيل أصبحت خلال وقت قصير جدا بارزة وواضحة وجلية لدرجة أن زيارة الرئيس التركى سليمان ديميرل لإسرائيل اصبحت وكأنها زيارة أسرية، وليست فى حاجة إلى دراسة خاصة أو تفكير مسبق.

ومثل الفيضان الذى لا يمكن السيطرة عليه فإن العلاقات بين إسرائيل وتركيا قد انطلقت بقوة فى صورة حركة سياحية إسرائيلية وتبادل تجارى يصل إلى مئات الملايين من الدولارات ومشتروات عسكرية تشمل التكنولوجيا الإسرائيلية المتقدمة والمناورات العسكرية المشتركة أو الانتاج المشترك للصواريخ المضادة للطائرات. وتعتبر إسرائيل وتركيا انفسهما بمثابة "حزام" فى وسط هذه المنطقة الاستراتيجية وتعتبر أن إيران والدول العربية بمثابة عنصرين يبعثان على الشك والريبة.

وهكذا تحولت تركيا إلى حليف غير عادى لإسرائيل وباتت العلاقات بين تركيا وإسرائيل مختلفة عن العلاقة بين إسرائيل وأوروبا.

وفى نفس الوقت - فإن الدول العربية ترى أن العلاقات والتحالف الإسرائيلى التركى يشكلان تهديدا ويشكلان أيضا انتهاكا للميزان الاستراتيجى فى المنطقة. وربما تعتبر سوريا الدولة العربية الأكثر اعتراضا على هذا التحالف، ولكن مصر ساهمت هى الأخرى فى هذه المعارضة وأيضا ايران ودول الخليج التى تحاول ان تذكر تركيا بأنها دولة إسلامية وأنه لا يجب عليها أن تعانق الصهيونية.

ولكن تركيا التى ترى انها دولة عظمى اقليمية بفضل قوتها العسكرية ونظرا لأنها عضو فى حلف شمال الأطلنطى لا تجد صعوبة فى صد هذا الهجوم وفى نفس الوقت تحرص على الحفاظ على العلاقات بينها وبين إسرائيل من ناحية وبينها وبين الدول العربية من ناحية أخرى. وعلى الرغم من التحالف الإسرائيلى التركى فإن إسرائيل امتنعت عن اتخاذ موقف رسمى واضح فى قضية قبرص. وتعتبر إسرائيل فى نفس الوقت الدولة الغربية الوحيدة التى لم تتخذ موقفا رسميا وعلنيا فى مسألة انتهاك حقوق الانسان فى تركيا.

وفى خضم هذه العلاقات فإنه من الطبيعى ان تبدى كل من تركيا وإسرائيل حساسية خاصة تجاه أى اشارة يستنتج منها أن هناك نوعا من الخيانة لهذا التحالف بينهما. وعلى سبيل المثال المفاوضات المحتملة بين إسرائيل وسوريا. فمن الناحية العسكرية البحتة لا تعتبر سوريا خصما لتركيا، كذلك فإن سلاح المياه الذى تملكه تركيا اقوى من أى قنبلة. ولكن تركيا تشعر بالخوف من أن تسحب الولايات المتحدة على الفور اتهامها لسوريا بأنها دولة مؤيدة للارهاب وذلك تحت تأثير عملية السلام ومن ثم يستطيع اعضاء حزب العمال الكردستانى العمل من داخل سوريا.

ولكن هذا الخوف لا يساوى شيئا مقارنة بالخوف الاستراتيجى الذى يسيطر على تركيا التى تحرض طيلة الوقت على الا يؤثر السلام الشامل بين إسرائيل والدول العربية على حيوية التحالف معها. وهذا خوف غير حقيقى، على الاقل على المدى القريب وهو يعتمد على عدم فهم مدى احتياج إسرائيل لتركيا وربما على عدم الثقة فى ذلك. ولكن ذلك يتسبب فى ابتعاد تركيا عن أى مشاركة فى عملية السلام على الرغم من أن هذا التدخل يمكن ان يخدم إسرائيل. وتعتقد تركيا أن عملية السلام يمكن أن تقوض التحالف بينها وبين إسرائيل لأنها سوف تخلص إسرائيل من التبعية المتبادلة.

والعلاقات بين إسرائيل وتركيا شأنها شأن أى علاقات دولية.. أى أن المصالح والتبعيه المتبادلة تعتبران شرطاً رئيسياً - ولكن غير كاف من أجل الحفاظ على العلاقات.

ونظرا لأننا بصدد تحالف من أهم التحالفات التى وقعتها إسرائيل، فإنه يجب على إسرائيل ان تطمئن تركيا وأن تشركها بأدب جم فى الخطوات السياسية المستقبلية مثلما تفعل مع الأردن ومصر. وكان ديميريل قد طالب بأن يكون هناك مثل هذا التنسيق عندما زار إسرائيل فى الأسبوع الماضى، ولكن لم يكن مقتنعاً بأنه سيحقق مراده.

١

رؤية

مظاهر تقدم العلم والتكنولوجيا فى إسرائيل

أحمد بهاء الدين شعبان

إضافة للمؤشرات ذات الطبيعة الإحصائية ، والمقارنة ، ، فإن للرقى العلمى مظاهر ذات طبيعة تطبيقية ، يمكن النظر من خلالها ، لتقييم وضع العلم والتكنولوجيا فى أى دولة من الدول ، ومدى التقدم الذى قطعه والانجازات التى أمكن له تحقيقها .
فلقد استطاعت النخبة العلمية فيها تحقيق "اختراقات" هامة فى مجموعة العلوم « الرئيسية » التى يشكل السيطرة عليها مفتاحاً أساسياً من مفاتيح التطور العلمى فى القرن القادم ، وهى مجموعة العلوم والتطبيقات التكنولوجية التى تمثل ركائز الثورة العلمية والتكنولوجية الحاضرة ، والتى بدأت ملامحها تتبدى فى العقود الماضية ، ولازلنا نحيا إرهاصات ميلادها ونتقدم حثيثا باتجاه تخومها .

ويرصد باحث متخصص (١) بعض ملامح هذه الثورة فى المجالات الرئيسية مثل . السيبرنيتيك Cybrnetization ، والإليكترونيات Electronization ، والحوسبة والمعلوماتية Computerization & Information وعلوم الفضاء الكونى Space Technology ، والطاقة Energy (التقليدية والمتجددة والجديدة) ، والمواد الاصطناعية المخلقة وتكنولوجيا معالجتها ، وطرق معالجة المواد ، والاتصالات Communications والعلوم البيولوجية والهندسة الوراثية Genetic Engineering وعلوم البيئة (ايكولوجى) وعلوم الذرة وتطبيقاتها ، والروبوتات Robots والأتمتة Automation وفيزياء الطاقة العالية والمواد الصلبة ، والتعدين . .... الخ .

ويمكن أن يُلخص جوهر هذه المرحلة الجديدة من الثورة العلمية والتكنولوجية باعتباره «التحول من اقتصاديات مبنية على هيمنة التقانات المادية (الثقيلة) ، إلى اقتصادات مبنية على تقانات غير مادية (خفيفة) ، (المعلومات والأجهزة الصغرية والاتصالات والخدمات ...) ... » (٢) وهو ما أدركته جيداً النخبة الأكاديمية الإسرائيلية ، وسعت للتواؤم معه ، من خلال التكامل مع معطيات ما أُطلق عليه « الموجة الثالثة » فى الثورة العلمية والتكنولوجية ومتطلباتها .

وسنستعرض ، فى هذا القسم من البحث ، بعض المؤشرات الأساسية للجهود التى بذلها علماء إسرائيل فى عدد من هذه المجالات الهامة ، وفى الحدود التى تسمح بها حاجات ومقتضيات الدراسة .

أ- علوم وتكنولوجيا الطاقة النووية:

يعود تاريخ الاهتمام الإسرائيلى بهذا الفرع من فروع العلوم النظرية والتطبيقية إلى أشهر معدودات عقب إعلان قيام الدولة فى مايو ١٩٤٨ ، وفى وقت كانت المعرفة فى هذا القسم الدقيق مستحدثة ، وحكراً على عدد محدود من الدول المتقدمة ، على قمتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا .

ومفهوم طبعاً أن الدافع لسعى إسرائيل إلى امتلاك هذه المعرفة وتلك التكنولوجيا ، وفى تلك الفترات المتقدمة من تاريخها إنما يعود - بالأساس - إلى هواجس أمنية ، تتعلق بشعورها المستمر بالحاجة إلى ضمانات استراتيجية قصوى ، وعلى رأسها سلاح « الملاذ الأخير » ، أو «القنبلة» ، كوسيلة لقهر إرادة الرفض العربى ، وتثبيت وضعها القلق فى البيئة العدائية المحيطة .

ومن هنا ، فمبجرد إعلان الدولة ، بادرت إسرائيل لاتخاذ مجموعة من الخطوات المتتابعة ، لتأسيس وتطوير مستلزمات «البنية التحتية» الأساسية ، فى هذا المجال ، من أبرزها :

١- قيام وحدة علمية ، تابعة لفرع البحث والتخطيط فى وزارة «الدفاع» الإسرائيلية بمسح تفصيلى لصحراء النقب ، بهدف البحث عن «اليورانيوم» .

٢- ابتعاث عدد من شباب العلماء - عن طريق وزارة «الدفاع» - إلى أمريكا ودول أوروبا الغربية للتخصص فى العلوم النووية المتقدمة .

٣- تكوين « وكالة الطاقة الذرية الإسرائيلية » ، فى ١٩٥٢/٦/٣ .

٤- إنشاء «دائرة الفيزياء النووية» ، التابعة لمعهد وايزمان ،

بروحوبوت ، عام ١٩٥٣ .(٣)
ويلفت النظر ، أن هذا الفرع من المعرفة العلمية والتقنية التطبيقية ، قد ظل منذ بدايته ، وحتى الآن ، خاضعاً خضوعاً كلياً لمقتضيات الأمن ودواعي السرية ، حتى بالنسبة لعدد كبير من القادة الكبار في الجيش ومؤسسات الحكم المدني ، ولم يسمح إلا لنفر محدود للغاية ، في فريق عمل كان على اتصال مباشر برئيس الوزراء ووزير الدفاع ، آنذاك - بن جوريون - بالإطلاع على دقائقه ، بل وأنكرت إسرائيل - في البداية - أن تكون نيتها قد استقرت على ولوج هذه البوابة الخطرة .

اكتشاف « الماء الثقيل » :

وتعد عملية إنتاج « أوكسيد الدوتيريم » ، المعروف باسم « الماء الثقيل» واحدة من أهم وأول انجازات العلماء الإسرائيليين المتخصصين في الفيزياء النووية ، فهذه المادة التي تستخدم لإنتاج الطاقة النووية بطريقة أقل تكلفة وأكثر اقتصادية، والتي استطاع البروفيسور «دوستروفسكي» التوصل إليها عام ١٩٥٣كانت ضرورية لمقايضتها بخبرات وخامات أولية وتكنولوجيات جديدة ، كانت إسرائيل في أمس الحاجة إليها .
ومن المؤكد أن الإنجازات الإسرائيلية في مجال التقنية النووية ، ما كان لها أن تتم باليسر النسبي الذي تمت به ، لولا المساعدات الأمريكية والغربية ، والتي اتخذت ، في أحايين كثيرة ، شكل التواطؤ الصريح ، لتمرير تكنولوجيات محرمة إلى الدولة اليهودية الناشئة ولعبت ظروف استراتيجية وتاريخية عديدة ، منها المصالح الغربية في المنطقة ، وقرب عهد التهديد النازي لليهود ، ونقمة فرنسا على مساعدة مصر (عبد الناصر) لثوار الجزائر ، وانتشار العلماء اليهود في مراكز البحوث المتقدمة ، على امتداد العالم كله ، لعبت هذه الظروف ، وغيرها ، دوراً مهماً للغاية من أجل توفير شروط النجاح للعلماء الإسرائيليين ، في مجال شديد التعقيد والحساسية ، كمجال التكنولوجيا النووية - عامة - وتكنولوجيا الاستخدام الحربي للطاقة النووية ، بشكل خاص.
وعلى سبيل المثال :
ففيما قدمت فرنسا قاعدة المعلومات النظرية والتقنية لإسرائيل إبان مرحلة إنشاء مفاعل «ديمونا» ، قدمت الولايات المتحدة الأمريكية خدمات لا تقل قيمة ، بموجب برنامج «الذرة من أجل السلام » ، ولدى إنشائها لمفاعل «ناحال سوريك» ، حيث أمدت إسرائيل بالمعرفة والخبرات ، ودربت العلماء ، وقدمت المواد الأولية والمختبرات والأجهزة المعاونة ، ويوصِّف «ستيفن جرين» حقيقة الموقف الأمريكي في كتابه «الانحياز : علاقة أمريكا السرية مع دولة إسرائيل العسكرية » ، حيث يؤكد أن المساندة الأمريكية لم تقتصر على تقديم مفاعل «ناحال سوريك» ضمن مشروع «الذرة من أجل السلام » ، بل امتد ليشمل التمويل ومد إسرائيل بعشرات العلماء والفنيين ومساعدة الشركات المتخصصة . (٥)
أما النرويج ، فلقد اشترت عشرين طناً من « الماء الثقيل » مقابل بيعها إسرائيل مادة اليورانيوم ، وقيامها بفصل البلوتونيوم لها ، كذلك فقد سربت المملكة المتحدة أربعين طناً من اليورانيوم البريطاني ، بصورة سرية إلى « تل أبيب» ، بينما نقلت إحدى الشركات البلجيكية أطناناً أخرى من اليورانيوم إلى الدولة الصهيونية ، بطرق ملتوية (٦) ، وفي الوقت الذي قدمت ألمانيا (الغربية) مُسرعاً Accelator من نوع Erator إلى «دائرة الفيزياء النووية التجريبية » ، بمعهد وايزمان (٧) ، نُظمت عام ١٩٦٨ وقائع عملية اختطاف مسرحية عرفت باسم « عملية بلومبات» تم عبرها نقل مائتي طن من خام اليورانيوم ، عبر زوارق بحرية ، إلى إسرائيل . (٨)

العناصر التقنية لمشروع إسرائيل النووي :

أولاً :- مفاعل «ناحال سوريك» : (Israeli Research Reactor, I R R-1)

يقع هذا المفاعل ، جنوبي « تل أبيب» قرب معهد «وايزمان » العلمي ، وهو مفاعل الأبحاث من نوع «بركة السباحة»
حصلت عليه إسرائيل من الولايات المتحدة الأمريكية في إطار برنامج « الذرة من أجل السلام» ، مصحوباً بستة كيلوجرامات من اليورانيوم - ٢٣٥ المخصب ، (Enrich-ment) ، بنسبة ٢٠٪ ، (رُفعت إلى ٦٠٪ لدى تشغيله عام ١٩٦٠) ، وقدمت أمريكا أيضاً ، لإسرائيل ، معه ، مكتبة تقنية ثمينة تضم ٦٥٠٠ تقريراً ، و ٤٥ مجلداً ، ومستخلصات فنية .
ويعتبر هذا المفاعل ، حسب تقدير البعض «النافذة التي تطل منها إسرائيل على العالم النووي » (٩) ، إذ يتم عبره العلاقات بالأوساط النووية الدولية ، وتبادل المعلومات والأبحاث العلمية ، ويُستخدم أساساً لتدريب الخبراء والفنيين .

ثانيا :- مفاعل «ديمونا» ، (Israeli Research Reactor, I R R - 2)

اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلي الأول ، « ديفيد بن جوريون» ، بعد طول إنكار ، بحيازة إسرائيل لهذا المفاعل ، الذي يقع في صحراء النقب ، في ٢١ ديسمبر عام ١٩٦٠ .
وقد أُنشئ بمساعدة فرنسية مباشرة ، عام ١٩٥٧ ، ودخل طور التشغيل في ديسمبر عام ١٩٦٣ .
طاقة هذا المفاعل المعلنة ٢٥ ميجاواط ، وتسربت أخبار عن مضاعفتها لنحو ثلاث مرات (١٠) ، أو أكثر (١١) ، ويستخدم هذا النوع اليورانيوم الطبيعي (كوقود) ، والماء الثقيل (كمهدئ) ، وثاني أوكسيد الكربون (كمبّرد) ، وهو ينتج كميات كافية من مادة البلوتونيوم ، الصالحة لصنع القنابل النووية .
ويقدم البروفيسور «فرانك برنابي» ، الذي قام بتحقيق إفادات الفني النووي الإسرائيلي «موردخاي فعنونو» ، والتثبت من صحتها ، وضعاً ملخصاً لتكوين مفاعل «ديمونا» ، ومسار العمليات التقنية فيه ، على النحو التالي :
يقع مركز «ديمونا» على بُعد حوالي ١٤ كيلو متراً عن «ديمونا» ، وهي بلدة في صحراء النقب بين « بئر السبع» و« سدوم» ، ويشتمل على عدد من الأبنية المنفصلة ، يطلق على كل بناء اسم « ميشون » ، (Machon) ، ويوجد حالياً تسعة «ميشونات» عاملة ، أربعة منها هي «ميشون» ١ ، ٢ ،

٨ ، ٩ تقوم مباشرة بصنع المواد للأسلحة النووية ، والنووية الحرارية ، ويقدم الباقون الخدمات «للميشونات» الأربعة المذكورة . (١٢) وتتم الأنشطة فى «ميشونات» « ديمونا » على الشكل التالى : (١٣)

-«ميشون ١ » وهو عبارة عن بناية لها قبة يبلغ قطرها حوالى ١٨ متراً ، وهو المفاعل النووى الذى بناه الفرنسيون ، وطاقته ١٥٠ ميجا واط (١٤) .

- « ميشون ٢ » :

مفاعل إنتاج البلوتونيوم ، ومعمل فصل الليثيوم - ٦ ، ومعمل إنتاج التريتيوم ، وصناعة كرات البلوتونيوم المعدنية ، وحشوات البريليوم ، وبعض أجزاء الأسلحة النووية الأخرى ، وتنقية الماء الثقيل .

- « ميشون ٣ » :

إنتاج اليورانيوم الطبيعى من رواسب اليورانيوم - أكسيد اليورانيوم (U3 O8) ، وإعادة تشكيل اليورانيوم المستعمل الذى يتم فصله فى «ميشون٢» عن عناصر الوقود المستهلكة ، وإرسال معدن اليورانيوم إلى « ميشون ٥ » ، وتحويل الليثيوم إلى مادة صلبة لإنتاج التريتيوم فى المفاعل .

- « ميشون ٤ » :

معمل لمعالجة النفايات ذات النشاط الإشعاعى ، حيث تخّزن النفايات ذات النشاط الإشعاعى العالى فى خزانات على هيئة سائل ، وتخلط النفايات ذات النشاط الإشعاعى المنخفض بالقطران وتُدفن فى الصحراء ، فى عبوات ضخمة .

- « ميشون ٥ » :

معمل تصنيع وقود المفاعل ، حيث تُغلف قضبان اليورانيوم الصلبة بالألومنيوم .

- « ميشون ٦ » .

لتأمين الخدمات مثل الكهرباء والكيماويات والبخار .. ألخ)

- « ميشون ٧ » :

غير معلوم

- « ميشون ٨ » :

معمل فصل الغاز بالطرد المركزى لإنتاج اليورانيوم المخّصب ، ومختبر لفحص نقاء العينات من « ميشون ٢ » ، واختبار الأساليب الجديدة فى التصنيع .

- « ميشون ٩ » :

ويتم فيه إجراء الاختبارات على فصل نظائر اليورانيوم بواسطة الليزر .

- « ميشون ١٠ » :

يستخرج فيه « اليورانيوم المستنزف » (Depleted Uranium) ، [أى اليورانيوم الذى لا يضم إلاّ نسبة قليلة من اليورانيوم - ٢٣٥ ، ولايصلح كوقود للمفاعل] ، ويستخدم فى الرؤوس المستدقة لقذائف المدفعية الخارقة للدروع .

ثالثاً :- « دائرة الفيزياء النووية » بالجامعة العبرية :

هيئة أكاديمية لإجراء البحوث العلمية والتجارب التطبيقية فى مجالات النشاط الذرى ، وتدريب الأكاديميين والفنيين المتخصصين .

رابعاً :- المختبرات الحارة " Hot Labs " :

منشآت بحثية هامة ، مرتبطة بالمجهود النووى وتتبع كل من مفاعلى «سوريك» و« ديمونا » ؛ وهناك مختبر منها تابع لدائرة الكيمياء النووية بـ« التخنيون» (١٥) .

خامساً : مفاعل جامعة «بن جوريون» فى « بئر سبع » :

أنشئ بالاشتراك مع « لجنة الطاقة النووية الإسرائيلية » .

مفاعل تجريبى ، يوجد بقسم الهندسة النووية بجامعة بن جوريون ، ويستخدم فى الأبحاث العلمية ، ولإعداد وتأهيل طلاب الهندسة النووية ، والكوادر الفنية والتقنية الإسرائيلية ، المطلوبين للمراكز النووية . (١٦)

سادساً :- مفاعل « معهد الهندسة التطبيقية » بالتخنيون :

وهو مفاعل تجريبى قوته ٨ ميجا واط ، ويُستخدم لإعداد الفنيين وتدريب الكوادر الهندسية على الأنشطة النووية . (١٧)

سابعاً :- كما حصلت إسرائيل على مفاعل تجريبى ، للأبحاث النووية ، ثالث ، يشير إليه « المعجم العسكرى الإسرائيلى » ، دون أن يسميه أو يحدد موقعه أو طاقته . (١٨)

ويُضاف إلى ماتقدم مجموعة من المؤسسات والهيئات العلمية والتقنية ، وتعد جزءاً رئيسياً من القاعدة الأكاديمية للمجهود النووى الإسرائيلى ، من أبرزها .

(أ) دائرة العلوم والهندسة النووية فى « التخنيون» :

وتضم دائرة للكيمياء الإشعاعية والنووية ، وفاصل للنظائر المشّعة ، ومُسرع للإليكترونيات ، كما تحتوى على مايوصف بأنه« أكبر مكتبة تكنولوجية فى الشرق الأوسط » (١٩) .

افتُتحت هذه الدائرة عام ١٩٥٨ ، ومهمتها الأساسية تدريب الفنيين على وسائل تشغيل المفاعلات ، والقيام بالأبحاث التجريبية .

(ب) معهد «وايزمان» للعلوم فى « رحوبوت» :

مركز بحثى علمى متطور ، يهتم بالتكنولوجيات الجديدة ، أُنشئت به دائرة للنظائر المشّعة ، فى وقت مبكر ، منذ عام ١٩٤٩ ؛ وجرى فى معامله تطوير طريقة البروفيسور « دوستروفسكى» « لإنتاج الماء الثقيل» . يحتوى « أحدث أجهزة البحث فى منطقة الشرق الأوسط » ، ومن بينها مسرع من نوع «ڤان دى جراف» طاقته ٦ ميجا إليكترون ڤولت "6 MEV Van De Graffe"س ، ومسرع دقائق بلترون بطاقة ١٤ ميجا إليكترون ڤولت "14 MEV Peletron" . (٢٠)

ومن نافلة القول ، أن هذه البنية الأساسية المكتملة فى الأبحاث النظرية والتطبيقية النووية ، قد جعلت لإسرائيل وعلمائها مكانة مرموقة على المستوى العالمى ، ووفرت لها فرصة الانفراد بالحصول على الرادع النووى فى المنطقة ، وتطوير أشكاله ومستوياته وأدوات توصيله ونظريات استخدامه التكتيكية والاستراتيجية.

الهوامش

(١) معن النقّرى ، ربع قرن من الاجتهادات فى تقويم اتجاهات الثورة العلمية - التقنية ، مجلة «الفكر العربى» ، معهد الإنماء العربى ، بيروت - ليبيا ، العدد (٩٣) - السنة (١٩) - ٣ ، صيف ١٩٨٨ ، ص ص: ٢٠٥ - ٢١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص : ٢١٦ .

(٣) انظر : أحمد بهاء الدين شعبان ، الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية عام ٢٠٠٠ ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، ط (١) ، ١٩٩٣ ، ص : ٣٣٧ .

(٤) ناجح الجسرواى ، إسرائيل والطاقة الذرية ، منشورات « دار الكرمل » ، عمان / الأردن ، ١٩٨٤ ، ص : ٢٣ .

(٥) ستيفن جرين ، الانحياز : علاقات إسرائيل السرية مع دولة إسرائيل العسكرية ، دار حسّان للطباعة ، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص : ٢١٨ ، ص : ٢٣٠ .

(٦) مجلة «الفرسان» ، باريس ، ٢ مايو ١٩٨٩ .

(٧) القوة العسكرية الإسرائيلية ، سلسلة «الدراسات الاستراتيجية» رقم (٢) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - مركز العالم الثالث للدراسات والنشر ، لندن ، ١٩٨٢ ، ص : ٩٥.

(٨) انظر : بيتر براى ، ترسانة إسرائيل النووية ، مؤسسة الأبحاث العربية - دار البيادر ، بيروت - القاهرة ، ص ص : ٧٥ - ٧٦ .

Elaine Davenport , Paul Eddy and peter Gillman, The Plumbat Affair, Andre Deutsch Limited, Great Britain, 1978 .

(٩) ناجح الجسراوى ، مصدر سبق ذكره ، ص : ٢٣ .

(١٠) أشارت « الإيكونومست» البريطانية ، إلى أن الإسرائيليين قد ضاعفوا طاقة مفاعل «ديمونا» من ٢٥ ميجا واط إلى ٧٠ ميجا واط ، الأمر الذى يرفع ناتج البلوتونيوم منه إلى ٣٥ كجم سنوياً .

المصدر : ناجح الجسراوى ، مصدر سبق ذكره ، ص : ٣٥ .

(١١) أشار « مسئول بهيئة الطاقة الذرية المصرية » ، إلى أن « الخبراء الإسرائيليين قد قاموا بإجراء تعديلات فى مفاعل «ديمونا» النووى ، تم بموجبها رفع قدرة المفاعل إلى ١٥٥ ميجاواط كهربى ، وتطوير أجهزة التحكم الإليكترونى بالمفاعل » المصدر : «جريدة الشعب» ، القاهرة ، ١٩٩١/١١/٢٦.

Frank Barnaby, The Invisible Bomb, the Nuclear ArMs Race In The Middle East, I.B. Turis & Co. Ltd., London, 1989, P.25

وقد ترجمت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٩١ ، هذا الكتاب تحت عنوان : القنبلة الخفية : سباق التسلح النووى فى الشرق الأوسط .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ص : ٤٠ - ٤٤

(١٤) يقترب تقدير « فرانك برنابى » هنا لقدرة مفاعل « ديمونا » من تقدير المسئول بهيئة الطاقة الذرية المصرية ، الذى أشرنا إليه فى الهامش (١١) .

(١٥) ناجح الجسراوى ، مصدر سبق ذكره ، ص : ٣٨ .

(١٦) صحيفة «دافار» الإسرائيلية ، ١٩٨١/١/٣١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ويشكك بعض الباحثين ، ومنهم ناجح الجسراوى ، فى وجود هذا المفاعل بسبب عدم وجود أى إشارة له فى المراجع المعتمدة .

(١٨) « المعجم العسكرى الإسرائيلى » ، دار نشر « زمورا بيتان » ، إسرائيل ١٩٧٦ ، مذكورة فى : حلمي عبد الكريم الزغبى ، «الخيار النووى فى الشرق الأوسط : هل سيبقى حكراً على الكيان الصهيونى ؟!» ، دار الموقف العربى ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص : ٢٩ .

(١٩) ناجح الجسراوى ، مصدر سبق ذكره ، ص : ٣٨ .

(٢٠) أحمد بهاء الدين شعبان ، مصدر سبق ذكره ، ص : ٣٤٨ .

٢

رؤيـة

القدس فى الفكر الاسرائيلى

هالة منصور

خرج ايهود باراك بعد الاعلان مباشرة عن فوزه فى الانتخابات الاسرائيلية ، بلاءاته الأربعة ، وفى مقدمتها القدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل - ولم تكد تمضى أربع وعشرون ساعة علي إعلان هذا الفوز ، حتى شرع المستوطنون فى أعمال التجريف والحفر ، فى حى رأس العامود بالقدس الشرقية المحتلة، تمهيدا لبناء حى استيطاني جديد ، يضم مائة وثلاثين وحدة سكنية .

أما عن آمال الأوساط العربية والدولية التى تعلقت بأهداب المرشح العمالى الفائز ، فقد ذهبت أدراج الرياح حيث راهنت هذه الأوساط خلال الفترة السابقة على الانتخابات وأثنائها على أن ممارسات إسرائيل فى القدس المحتلة ، تعتبر جزء امن الدعاية الانتخابية فى اسرائيل ، والذى لم تأخذه الأوساط السابقة فى الحسبان ، أن قضية القدس كانت ولا تزال أكثر القضايا التى تتم المزايدة عليها من قبل مختلف الفئات السياسية فى المجتمع الاسرائيلي ، وأن الواقع الاستيطاني المتجسد فى المدينة المحتلة ، إنما يضرب بجذوره فى فكر هذا المجتمع الصهيوني ، وقناعاته الأصيلة، التى محصلتها أن القدس عاصمة موحدة وأبدية لاسرائيل ، وظلت هذه القناعات ثابتة دون أن تمر بأية تحولات من شأنها تغيير الرؤية الاسرائيلية للمدينة ، بل استمرت مترسخة فى الذاكرة الجمعية اليهودية التى تقوم على نفى حق الآخر "الفلسطيني" فى تلك المدينة ولا فرق فى هذه الرؤية بين يمين ويسار صهيوني .

خلفية فكرية :

لما كانت الحركة الصهيونية حركة امبريالية فى جوهرها ، تدعى السعى لاحياء القومية اليهودية ، ومن ثم تزعم كونها حركة قومية سياسية ، لذا فقد وضعت هذه الحركة نصب عينيها ، فى سعيها لاقامة الدولة اليهودية ، هدفا أساسيا ، وهو تشكيل قاعدة جماهيرية تؤيدها ، وتتبنى أفكارها ، التى تطرحها مغلفة بصبغة دينية ، ومتسربلة ببعض الاساطير المروجة لتلك الافكار ، والمبررة لها فى آن معا . مثال على هذه الأساطير ، نجد "أرض الأجداد" و"شعب الله المختار" أرض الميعاد" و"يهودا والسامرة"، وما الى ذلك وقد توجهت هذه الأفكار بالدرجة الأولى ، الى اليهود فى شتى بقاع الأرض ، والى آخرين من غير اليهود ، المنوط بهم مساعدة الحركة الصهيونية فى احتلال أراضى الشعب الفلسطيني وإحلال اليهود محله .

وعن طريق توظيف الافكار السابقة اكتسبت الحركة الصهيونية شرعية هذا الاحتلال ، والاستمرار فيه. وقد استمدت الصهيونية هذه الافكار ، من مصدرين مهمين : اولهما " العهد القديم" ، وثانيهما الاسلوب الانتقائى للتاريخ.

لقد اعتبرت الصهيونية "العهد القديم" مرجعية دينية وتاريخية لها ، وملهما روحيا لكل ممارساتها ، وبذلك استند الصهاينة ولا يزالون ، فى المطالبة بحقهم فى المدينة المقدسة الى وعد الهى لهم بالمدينة وكذلك ادعائهم وجود هيكل سليمان بالمدينة، وبرغم اعترافهم بتدمير هذا الهيكل ، الا أن القدس بقيت قبلة الصلاة اليهودية، كما اتبع التقويم اليهودى للصوم، حتى العصر الحديث مراحل حصار وتدمير القدس على ايدى الامبراطورية الرومانية.

تاريخيا ، كان انتهاج الحركة الصهيونية للاسلوب الانتقائى للتاريخ دافعا لتمسكها بحقبة تاريخية بعينها ، دون غيرها ، وهى الفترة التى اقام فيها العبرانيون ملكيتهم ، وبنوا هيلكهم الذى تم تدميره لاحقا ، وعلى ذلك فخضوع القدس لحكم العبرانيين ، منذ عام ١٠٠٠ ق . م . وحتى عام ٥٨٧ ق . م . أضحى ذريعة الصهاينة التاريخية للمطالبة بالمدينة المقدسة . وهم بذلك يسقطون من ذاكرتهم التاريخ السابق على حكمهم واحتلالهم لتلك المدينة ، التى كانت تدعى "يبوس"، نسبة الى بناتها اليبوسيين ، وهم أحد بطون كنعان. ومرة أخرى يصاب الصهاينة بفقدان الذاكرة

المتعمد للفترة اللاحقة لاحتلالهم للمدينة ، حيث توالت على المدينة احتلالات عدة : فارسية ، ورومانية ، وتركية ، وانجليزية ، إلا أن أيا من هذه الاحتلالات لم تطالب بحق تاريخي في المدينة .

بعد قيام اسرائيل :

اتخذت القدس موقعا مركزيا في الفكر الصهيوني ، كما أن الرؤية السياسية للقدس لم تختلف في معظمها على موقع القدس المركزي ، ورأينا التيارات السياسية ، على اختلافها ، تسير على الدرب نفسه ، لمحو الطابع العربي للقدس ، وصبغها بالطابع اليهودي ، وذلك منذ صدور قرار التقسيم ، الذي اقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، برقم ١٨١، ونص على اقامة دولة عبرية وأخرى عربية ، واعتبار مدينة القدس منطقة مدولة ، تخضع لسلطة دولية تحت رعاية الامم المتحدة .

وقد أدت نتائج الحرب العربية - الاسرائيلية الأولى (١٩٤٧ - ١٩٤٨) الى وقوع القدس الغربية تحت سلطة احتلال اسرائيل التي ضربت عرض الحائط بقرارات الامم المتحدة التي تنص على تدويل المدينة، وقامت اسرائيل بالكثير من الاجراءات التي كان من شأنها تهويد المدينة وتشويهها ، وطمس معالمها العربية، كلية . وتبعا لذلك ازداد عدد اليهود من ٨٤٠٠ ، عام ١٩٤٨ الى ١٠٣ الأف عام ١٩٤٩ ، ثم الى ١٦٧ ألف وأربعمائة عام ١٩٦٧ (١) .

بعد حرب ١٩٦٧ :

وبوقوع القدس الشرقية تحت الاحتلال الاسرائيلي ، عام ١٩٦٧ ، تسارعت وتيرة العمل على تهويد المدينة ، بشطريها الشرقي والغربي، واستخدمت سلطات الاحتلال الاسرائيلي، الأساليب نفسها ، لمحو الطابع العربي للقدس الشرقية ، فعملت على الاستيلاء على الاراضي العربية بها ، وتكثيف الوجود اليهودي هناك بزرع الاحياء الاستيطانية وزيادة عدد المستوطنين اليهود ، بما يؤدي الى استحداث اختلال ديموجرافي ، تميل كفته لصالح المستوطنين .

وغدت هذه السياسة هدفا تسعى الى تحقيقه كل الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة . ونستطيع القول انه فيما يتعلق بالسياسات الموجهة للقدس لا فرق بين حكومة عمالية وأخرى ليكودية ، فلكتاهما تبنتا السياسة نفسها ، ولاتزالان ، تجاه المدينة المقدسة . وأن تمثل الاختلاف الوحيد في مدى سرعة وتيرة تنفيذ هذه السياسة ، فالليكود يستمد حقه في الاحتفاظ بالقدس الموحدة من وعد الهي وحق ديني ، أما "العمل" فيدعي التمسك بالمدينة ، لدواع امنية ، لما للمدينة من أهمية استراتيجية ، ومن ثم لا يصح المساس بحدود اسرائيل الآمنة. والمحصلة النهائية هي تشويه القدس بصورة منهجية تفضي الى تغيير ديموجرافي ، وجغرافي ، وتاريخي ، يصعب التراجع عنه ، أو التفاوض حوله .

ونستطيع أن نتلمس خطوطا عاما سلكتها السلطات الاسرائيلية في تهويد المدينة ، بشطريها ، الشرقي والغربي ، منها الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي ، وطمس معالمها ، بهدم الأحياء ، العربية منها وغير العربية ، وتغيير اسماء الكثير من الشوارع من العربية الى العبرية ، كما هدمت قرى بأكملها ، واستمرت سلطات الاحتلال في الاستيلاء على الاراضي داخل القدس ، وحولها حتى باتت القدس وما حولها من اراضي احتلت ، تعرف باسم "القدس الكبرى . كما استمرت عمليات بناء المستوطنات داخل المدينة ، وحولها بهدف احلال أكبر عدد ممكن من المستوطنين اليهود وتحفيزهم على الانتقال اليها . وفي المقابل عمدت سلطات الاحتلال الى تقليص الوجود العربي داخل المدينة، بفرض القيود حول استخراج تصاريح للبناء خاصة بالفلسطينيين ، ناهيك عن مصادرة أراضيهم بلا مبررات ، وبذرائع واهية. فضلا عن انتهاكات حقوق الانسان ، والسجن، وغير ذلك من سياسات التطفيش ، والقهر ، لتفريغ المدينة من مواطنيها الأصليين .

يتضح موقع القدس في الفكر الاسرائيلي بصورة أكبر ، اذا ما استعرضنا وجهات نظر وآراء الزعماء الاسرائيليين ، على اختلاف تياراتهم السياسية ، من هذه الآراء :

* رئيس حكومة اسرائيل الأسبق ، ديفيد بن جوريون ، في ٢٣ يونيه ١٩٦٧ ، ويقول : القدس القديمة وجوارها يجب أن تبقى ضمن حدود اسرائيل الى الأبد .

* حكومة العمل (١٩٦٧ - ١٩٧٧) في عهدها تم اصدار وثيقة عرفت باسم "وثيقة جاليلي" تحدد طبيعة الموقف الاسرائيلي من المناطق المحتلة، ونص ما يتعلق منها بالقدس على "الاستمرار في تطوير القدس وضواحيها باعتبارها عاصمة لاسرائيل (٢) .

* الليكود (١٩٧٧ - ١٩٨٤) بتوليه للحكم واندفاع الاحزاب الدينية، وأحزاب اقصى اليمين الى الامام ، بدأت هذه الفترة برئاسة مناحم بيجين ، الذي قال ، في ١٩٧٩، لدى التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد "إن أسعد ثاني لحظة في حياتي هي عندما عانق الجنود الاسرائيليون جدار حائط المبكى لمسجد داوود ، واسترجاع القدس ، بعد ١٨٠٠ عام" (٣).

* رئيس دولة اسرائيل حاليا عيزرا وايزمان، حين كان وزيرا في حكومة الليكود ، في اجتماع له مع الرئيس المصري السابق أنور السادات ، في سالزبورج، في يوليو ١٩٧٨ ، أوضح الموقف الاسرائيلي من مفهوم الحكم الذاتي ، فقال "تبقى القدس تحت السيادة الاسرائيلية وتضمن فيها حقوق المسلمين والمسيحيين الدينية (٤) .

* ايريل شارون تقدم ، عام ١٩٩٠ ، حين كان وزيرا للاسكان ، بخطة تضمنت العمل على بناء "القدس الكبرى" ، لتعزيز وضع القدس باعتبارها عاصمة اسرائيل الموحدة والأبدية (٥) .

* رئيس وزراء اسرائيل الأسبق اسحق رابين ، قال لمحطة CNN ، في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٣. : "ستظل القدس عاصمة اسرائيل ، يمكن لعرفات أن يأتي للصلاة فيها ، لكنها

ستبقى موحدة ، وعاصمة اسرائيل (٦).
* حكومة العمل (١٩٩٢ - ١٩٩٦) انتقل ما يقرب من ٢٢ ألف يهودى الى منطقة القدس ، كما تعهد اسحق رابين ، بإكمال بناء ٢٤,٥٠٠ وحدة سكنية فى الاراضى المحتلة ، منها ١٣ ألف وحدة سكنية فى منطقة القدس، وحدها ، كانت حكومة الليكود قد باشرت بناءها من قبل ، بالاضافة الى ما بادر حزب العمل نفسه الى بنائه أو التخطيط لبنائه منها ١٥ ألف وحدة سكنية خطط لانشائها فى منطقة"القدس الكبرى" وحدها فى الفترة من ١٩٩٣ - ١٩٩٧ (٧) لا خلاف اسرائيلى اذن حول مسألة القدس ، فجوهر الموقف الاسرائيلى واحد تجاه اشكالية القدس ، برغم تغيير الحقب الزمنية وما لازمها من احداث سياسية متغيرة ، لا فرق فى هذه الحالة بين "الليكود" وبين احزاب اليسار الصهيونى ، التى تتذرع بالأمن القومى لاسرائيل ، وتعتبر حدود ١٩٦٧، حدودا مثالية له ، لا يجب التراجع عنها.

تأخذ اشكالية القدس، بعدا آخر ، أثناء الانتخابات الاسرائيلية ، اذ انها تعتبر أكثر القضايا عرضة للمزايدة ، من قبل جميع التيارات السياسية الاسرائيلية ، بل تصبح هدفا رئيسا لمغازلة الناخب الاسرائيلى واستمالته الى الجانب الأكثر تشددا فيما يتعلق بهذه القضية. وهو ما يتضح اذا ما اطلعنا على برامج الاحزاب السياسية الاسرائيلية .

وبقراءة لبرامج الاحزاب السياسية الاسرائيلية فى فترتين انتخابيتين غير متعاقبتين ١٩٨٨ ، ١٩٩٦ ، نلاحظ ان الشعارات المطروحة حول قضية القدس لم تتغير فى هاتين الفترتين ، كما ظلت الشعارات متشابهة بين يمين الصهيونية وأقصى يمينها ووسطها ويسارها ، اللهم إلا فى الصياغة ، فالاحزاب اليمينية ، شعارها الثابت ينص على "عدم التنازل عن أى جزء من أرض اسرائيل ، وأن القدس هى عاصمة موحدة لاسرائيل ، وأنه "محظور اى نشاط فلسطينى فيها " ، وأنه سيتم اغلاق جميع مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية ، ومن ضمنها "بيت الشرق" وأن القدس ليست مجالا للتفاوض .

أما أحزاب اليسار الصهيونى ، فتسمح بقيام دولة فلسطينية تدخل فى اتحاد كونفدرالى مع الاردن "اتفاق سلام" قائم على أساس وجود دولة اسرائيل ، وعاصمتها القدس ، وهى عاصمة موحدة لاسرائيل غير قابلة للتقسيم ، أما الاحزاب الدينية ، فتطرح شعاراتها ، وجوب وقف "المسيرة السلمية" وضم الاراضى المحتلة بل ذهبت بعضها الى حد طرد العرب .

أما الانتخابات الرئاسية الاسرائيلية التي جرت فى١٧ مايو ١٩٩٩ ، التى دفعت بالمرشح العمالى، ايهود باراك الى سدة الحكم فقد اكدت مرة أخرى على وحدة الثوابت لدى التيارات السياسية الاسرائيلية المختلفة، لذا وجدنا شبه اجماع بين المرشحين الثلاثة، باراك ممثلا عن حزب العمل ، وبنيامين نتنياهو مثلا عن حزب الليكود ، واسحق موردخاى ممثلا عن حزب الوسط ، على ثوابت وأهداف اسرائيلية هى : رفض العودة لحدود ١٩٦٧ ، ورفض تقسيم القدس ، من حيث كونها العاصمة الأبدية الموحدة لدولة اسرائيل الكبرى، وكذلك رفض التخلى عن المستعمرات أو سلطة إسرائيل على المياه ، أو عودة اللاجئين الفلسطينيين .

فى الانتخابات الرئاسية الاخيرة ، ظهرت على سطح الأحداث ، مرة أخرى ، المزايدة على موضوع القدس ، فانبرى نتنياهو يهدد باغلاق "بيت الشرق" - باعتباره ممثلا لمنظمة التحرير الفلسطينية داخل القدس ، وباعتباره تهديدا لهيمنة اسرائيل على المدينة - وبالفعل ثم إصدار قرار باغلاق ثلاثة مكاتب فى "بيت الشرق" فى مدينة القدس ، هذا القرار الذى تم تعليقه لاحقا.

أوسلو وما بعدها :

نأتى الى المرحلة الاكثر حرجا فيما يتعلق بمدينة القدس التى بدأت مع اتفاق "أوسلو" الذى تحدث عن تأجيل مسألة التفاوض حول القدس، الى المرحلة النهائية من المفاوضات ثم عاد الحديث مرة أخرى عن المدينة المقدسة بموجب اتفاقية المرحلة الانتقالية (طابا - أوسلو - ١٢) التى وقعت بين الجانبين ، فى واشنطن ، بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ ، وحددت يوم ٤ مايو ١٩٩٦ موعدا لبدء المفاوضات النهائية " (٨) .

وبالطبع فان هذا الموعد لبدء المفاوضات النهائية قد تأجل ايضا ، بسبب تعنت الحكومة الاسرائيلية بزعامة نتنياهو فى استكمال المفاوضات واذا كان ما يهمنا بالدرجة الاولى هو تقصى مدى جدية الجانب الاسرائيلى فى طرح قضية القدس للتفاوض . فعلى ارض الواقع وجدناه يسرع من وتيرة العمل على تشويه معالم المدينة ، وفرض أمر واقع ، يصعب التراجع عنه ، أو التفاوض حوله . ففى ٢١ أكتوبر ١٩٩٣، أصدرت الكنيست قرارا يقضى بمنع اجراء تعديلات على حدود مدينة القدس ، أو مكانتها ، الا بموافقة ٨٠ من أصل ١٢٠ عضوا ، وهو ما يعنى عمليا قطع الطريق على أى محاولة للتفاوض حول هذه المدينة (٩).

كما ظلت اسرائيل تنفث الدعايات القائلة بوحدة مدينة القدس وكونها نسيج متجانس من السكان لتكرس مفهوم سيادة اسرائيل على المدينة الموحدة ، إلا أن مثل هذه المزاعم خرج لها من يدحضها ، فوجدنا الكاتب الاسرائيلى اليشع افرات يقول : إن فى القدس الواحدة والكاملة واذا جاز التعبير الموحدة ، هناك فى الواقع ثلاث مجموعات مهيمنة من السكان وهم اليهود : العلمانيون ، والمتدينون ، وغير اليهود ، ومعظمهم من العرب، ولهؤلاء السكان نمط حياة مختلف بالكامل ، ومصالح اجتماعية وثقافية متباينة ، وحتى سيطرة على مناطق منفصلة ، مما يخلق تقريبا - ثلاثة أنواع من القدس "(١٠).

وقد استمر الاستفزاز الاسرائيلى فأصدرت المحكمة العليا الاسرائيلية فى ٣ أغسطس ١٩٩٥ قرارا يسمح بموجبه لجماعة "أمناء جبل الهيكل" اليهودية المتطرفة ، بدخول

الحرم القدسي الشريف للصلاة فيه ، ولبناء الهيكل القديم (١١).
اذا افترضنا جدلا أن حكومة "العمل" هي من بدء مسيرة السلام مع الجانب الفلسطيني ، وبالتالي فإنها ستكون الأكثر حرصا من أى حكومة أخرى على استمرار هذه المسيرة ، فإن صحة هذه الفرضية تنتفي اذا ما استمعنا وتابعنا افعال زعماء هذه الحكومة ، خاصة اذا تعلقت بالقدس .
الرمز العمالي المعروف ، شيمون بيريز ، أوضح عندما سئل عن رأيه فى مسألة القدس ، قائلا فى مناظرة تليفزيونية تمت بينه وبين نتنياهو ، فى القناة التليفزيونية الرسمية الاسرائيلية ، بتاريخ ٢١ مايو ١٩٩٦، عشية الانتخابات :"منذ اسابيع ونتنياهو يحاول اقناع الاسرائيليين بأننى أريد تقسيم القدس ، إنها كذبة وقحة " . وشدد بيريز على أن صلاة "اذا نسيتك ياقدس فلتصب يدى اليمنى بالشلل ، رافقتي طوال حياتي ، وستظل القدس عاصمة موحدة لاسرائيل الى الأبد (١٢).
وهكذا نجد الزعيم الصهيوني اليسارى المعروف ، بيريز ، يزايد ، على الزعيم الصهيوني اليميني المعروف ، نتنياهو ، ثارته للذاكرة الجمعية اليهودية ، المتشكلة ، التى تعتمد التوراة مرجعية لها وتأكيده انتمائه لهذه الذاكرة وتشبثه بها.
باستعراض النماذج السابقة للممارسات الاسرائيلية تجاه مدينة القدس المحتلة ، سواء من يمين أو يسار المجتمع الاسرائيلي ، نستطيع التقاط وحدة الهدف الاسرائيلي تجاه هذه المدينة مع اختلاف الادعاءات والمسميات ، وهو ما يطرح بدوره سؤالا ملحا ومهما فى أن معا ، عن المخرج المحتمل لاشكالية القدس فى ظل الرؤية الاسرائيلية المتعنتة السابقة وفي ظل ما خلفته سلطات الاحتلال الاسرائيلي من واقع شديد الصعوبة ديموجرافي، وجغرافي فى المدينة المحتلة ، فأغرقتها بالمستوطنات التى التفت حولها ، وباتت تشكل ما يعرف الآن باسم "القدس الكبرى" التى تمثل قرابة خمس مساحة الضفة الغربية ، وفى ظل هذا التغيير الديموجرافي والجغرافي طرحت عدة سيناريوهات لحل قضية القدس ، منها ما تقدم به رئيس بلدية القدس السابق ، تيدى كوليك ، الذى اقترح ان تقوم اسرائيل والفلسطينيون بإدارة مشتركة لمطار عطروت الذى تم ضمه الى الحدود البلدية للقدس ، بعد احتلال ١٩٦٧ (١٣) وتأكيده فى الوقت ذاته على وحدة القدس كعاصمة لاسرائيل .
سيناريو آخر نص على ضرورة توسيع حدود القدس ، بحيث يمكن تقسيمها الى قدس عربية ، تشمل معظم القرى والاحياء العربية ، خارج أسوار البلدة القديمة ، وقدس يهودية ، تشمل الاحياء التى أقيمت خارج الخط الاخضر ، بالاضافة الى غرب المدينة ، وإعطاء السلطة الفلسطينية ادارة كنيسة القيامة والمسجد الأقصى " (١٤) .
ثمة اقتراح ، تم طرحه فى بداية المفاوضات الاسرائيلية – الفلسطينية كشفت عنه صحيفة اسرائيلية ، يقضى ببناء قدس ثانية ، فى ضواحى المدينة المقدسة ، لتكون عاصمة لكيان فلسطيني ، مقابل تخلى الفلسطينيين عن القدس المحتلة ويقضى الاقتراح ببقاء القدس بشطريها الشرقي والغربي ، عاصمة موحدة لإسرائيل فى حين تبنى اسرائيل خارج السيادة الاسرائيلية مدينة حول نواة تتألف من قريتي أبو ديس والعيزرية الواقعتين فى الضاحية الشرقية للقدس ، وأن تخضع هاتان القريتان لنظام حكم ذاتى فلسطيني جزئى (١٥).
رؤية مختلفة تم طرحها حول فكرة التسوية الوظيفية لتقسيم الاصلاحيات ، وهو ما يعني أن تقام فى القدس بلدتان فرعيتان ، يهودية ، وفلسطينية ، تشرف عليهما بلدية واحدة مشتركة ، وعلى الارض تعمل فى الجانب العربى ، أحياء ذات نصف حكم ذاتى (١٦) . وفيما عرف باسم "اتفاق وطني اسرائيلي حول التسوية الدائمة مع السلطة الفلسطينية فى مطلع عام ١٩٩٧ ، صاغة اعضاء الكنيست يوسى بيلين وحاييم رامون وشلومو بن عامى ، من حزب العمل ، وميخائيل ايتان وزئيف بوليم من الليكود واليعيزر زنديبرج من تسومت ويهودا النيكر من كتلة فيشر ، وسمى هذا الاتفاق باسم وثيقة "بيلين – إيتان " وما يتعلق بالقدس فى هذه الوثيقة ، نص على " (١٧).
١ – أن القدس ، عاصمة اسرائيل بحدودها البلدية القائمة هى مدينة موحدة تحت سيادة اسرائيل .
٢ – يعترف الفلسطينيون بالقدس عاصمة لاسرائيل وتعترف اسرائيل بمركز الحكم للكيان الفلسطيني ، وهو يقع داخل حدود الكيان ، وخارج الحدود الحالية لبلدية القدس .
٣ – تمنح الأماكن المقدسة الاسلامية المسيحية فى القدس وضعا خاصا .
٤ – فى اطار الحكم البلدى ، يعطي فلسطينيو الاحياء العربية المقيمون فى القدس وضعا يسمح لهم بالمشاركة فى مسؤولية ادارة حياتهم فى المدينة .
إلى ذلك ، كانت مصادر مطلعة قد كشفت عن صفقة اسرائيلية فى وقت سابق على الانتخابات الاخيرة (مايو ١٩٩٩) ، عرضت على ياسر عرفات فيه اعتراف تل أبيب بدولة فلسطينية مستقلة ، تعلن فى موعد آخر غير الرابع من مايو / ١٩٩٩ ، ودعم اقامة عاصمة لهذه الدولة فى قرية أبو ديس قرب القدس . وأوضحت المصادر ذاتها بأن ياسر عرفات أرجأ الرد على هذا الاقتراح لحين مشاورة بعض القادة العرب . وكانت المصادر الاسرائيلية قد تعهدت بضمان خضوع المقدسات الاسلامية فى القدس للادارة الفلسطينية مقابل ان تقوم السلطات الاسرائيلية ببناء عاصمة فلسطينية فى بلدة " أبو ديس" المجاورة للقدس ، وتتعهد الحكومة الاسرائيلية بتقديم المساعدات للفلسطينيين فى انشاء العاصمة الجديدة ولا تمانع الدولة العبرية فى ان تطلق على هذه الارض اسم القدس الفلسطينية (١٨) .
يلاحظ ان معظم السيناريوهات السابقة أجمعت على أن

القدس بمعنى البلدة القديمة والقدس الغربية ، عاصمة موحدة لاسرائيل. واذا قبل مبدأ وجود عاصمة للدولة الفلسطينية فالمطروح بناء مثل هذه العاصمة المسخ حول بلدتي أبو ديس والعيزرية ، أو أبو ديس وحدها ، ويمكن للسلطة الفلسطينية والحال كذلك ان تطلق عليها اسم "القدس" ويعترف بها عاصمة للدولة الفلسطينية ، وهو ما يقودنا ايضا الى تفسير الممارسات الاسرائيلية السابقة ، التي عمدت الى توسيع حدود القدس ، من خلال بناء مستوطنات ومصادرة اراضي، بحيث باتت تشكل حوالي خمس مساحة الضفة الغربية ، كما شكلت واقعا مختلفا عند التفاوض ، يكون من شأنه تقسيم القدس الكبرى الى قدس عربية تشمل بعض الاحياء والبلدات العربية التي ستبنى عليها العاصمة المسخ ، وقدس يهودية تبتلع الاحياء التي أقيمت خارج "الخط الاخضر" بالاضافة الى القدس الغربية .

عود على بدء، نستطيع القول ان مختلف التيارات السياسية الاسرائيلية والحكومات المتعاقبة استطاعت من خلال ممارساتها المتعسفة . أن تطمس معالم المدينة المقدسة ، وأن تفرض واقعا يصعب التعامل معه، في ظل العملية التفاوضية . وليس من الأهمية بمكان ، الآن البحث عن التوجه السياسي للحكومة الاسرائيلية أو الزعم السياسي الاسرائيلي تجاه مدينة القدس ، اذ لا فرق بين يمين صهيوني أو يسار أو حتى وسط ، إذ لا يمكننا التعويل على أي منهم ، ويبقى السؤال الأهم الآن : اذا كان لمدينة القدس هذا الموقع المركزي المتميز في الفكر الاسرائيلي ، وهو الموقع الذى استطاعوا تدعيمه بشتى الوسائل والطرق فما موقع هذه المدينة لدينا ؟ !

الهوامش :

١ - المستوطنات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة (ندوة) تونس جامعة الدول العربية ، ١٩٨٥ (انظر : د . مهدى عبد الهادى ، *القدس : مفاهيم اسرائيل وسياساتها وممارساتها* ، ص ٢٠٠) .

٢- سعيد تيم ، المفهوم الاسرائيلي لحل القضية الفلسطينية ، شؤون عربية (تونس) العدد ٢ كانون أول / ديسمبر ١٩٨٤ ص ١٣ - ١٤ .

٣- عبد الحسين شعبان ، هاجس المفاوضات في موسم الانتخابات الحياة (لندن) ٣ مارس ١٩٩٦ .

٤- تيم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٦.

٥- أحمد صدقي الدجاني ، لا للحل العنصري في فلسطين / شهادة على مدريد وأوسلو ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ ، ص ١٠٨.

٦ - المصدر نفسه ، ص ١٠٨ .

٧ - خالد عايد، محصلة الاستيطان منذ اتفاق اوسلو وندور ١٩٩٥ ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت) العدد ٢١ ، شتاء ١٩٩٥ ، ص ١١٤ - ١١٥ .

٨ - اسامة حلبى ، مسألة القدس في ضوء الاتفاقيات الفلسطينية - الاسرائيلية ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت) ، العدد ، ص ١٠٩ .

٩ - شعبان ، مصدر سبق ذكره .

١٠ - اليشع افرات ، القدس واحدة اثنتان أو ثلاث ، هآرتس ٣٠ سبتمبر ١٩٨٧ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت) العدد ١٠ ، السنة الرابعة عشرة ، تشرين أول أكتوبر ١٩٨٧ .

١١ - الشرق الاوسط (لندن) ١٩ مايو ١٩٩٦.

١٢ - المصدر نفسه .

١٣ - الرئيس السابق لبلدية القدس يؤيد قيام دولة فلسطينية ، الشرق الاوسط (لندن) ١٩ مايو ١٩٩٦ .

١٤ - اقتراح اسرائيلي طرح في المفاوضات النهاية بناء قدس ثانية كعاصمة للكيان الفلسطيني السفير (بيروت) ٢٨ ابريل ١٩٩٦.

١٥ - المصدر نفسه .

١٦ - صلاح عبد الله ، قضية القدس في التسوية لا تزال تحتل مكان الصدارة ، الحياة (لندن) ٢٨ ابريل ١٩٩٦.

١٧ - مجلة الذكريات الفلسطينية (بيروت) العدد ٣٠ ربيع ١٩٩٧ ، ص ٢١٦.

١٨ - البيان(دبى) ١٢ ابريل ١٩٩٩.

٣

رؤيـة

الادعاءات الاسرائيلية لعدم الالتزام باتفاقية جنيف

د . أحمد ثابت

قد لا يوجد جديد فى القول بأن اسرائيل لا تعترف بقواعد القانون الدولى التقليدى أو الاتفاقى وقد لا يوجد جديد أيضا فى أن "الفقة القانونى" الاسرائيلى يبتدع من عندياته قانونا دوليا جديدا يتميز بالشذوذ والانحراف عن أبسط القواعد والأعراف القانونية الدولية سواء تلك التى صيغت وترسخت فى المواثيق الدولية مثل ميثاق الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن والجمعية العامة والمجلس الاقتصادى والاجتماعى، أو تلك التى تجسدت فى المعاهدات والاتفاقيات الدولية ذات الصبغة الجماعية .

الشيئ الجديد هو أن منظمة الصليب الأحمر الدولى هى التى احتفلت وحدها فى أغسطس ١٩٩٩ بمرور خمسين عاما على ابرام اتفاقية جنيف الرابعة لحماية المدنيين وقت الحرب، وقالت ان جميع دول العالم باستثناء اريتريا – التى استقلت حديثا اى عام ١٩٩٣ – قد انضمت الى الاتفاقية ، بما فيها اسرائيل ، والاتفاقية تتضمن نصوصا وفقرات تكفل الحماية الدولية للشعوب وللأقاليم الواقعة تحت الاحتلال فى مواجهة الدولة المحتلة وسلطات الاحتلال الحربى، بل ان الاتفاقية تلزم جميع الاطراف الساسية المتعاقدة بالتعاون من أجل الزام الطرف الذى يحتل اقليما معينا بأن يحترم أعراض وأنفس وموارد وثروات الشعب الواقع تحت احتلال هذا الطرف ، معنى ذلك أنه ينبغى على دول العالم التى وقعت على الاتفاقية ان تلزم اسرائيل بكافة الوسائل والسبل بما فيها العقوبات باحترام حقوق الشعب الفلسطينى الواقع تحت براثن الاحتلال الصهيونى فى القدس كلها غربها وشرقها والضفة الغربية وقطاع غزة .

ولكن المأساة وصلت الى حد أن الحكومات العربية نفسها تناست ، أو اقتربت من النسيان التام لاتفاقية جنيف الرابعة مع أن الشعب الفلسطينى هو الشعب الوحيد الآن الذى تخاطبه الاتفاقية ويتمتع بحمايتها وهو الشعب الوحيد فى العالم الذى يخضع لاحتلال حربى دائم ، ومن ثم فهو أولى بالحماية الدولية فى ضوء أن اتفاقية جنيف الرابعة تحدثت أو ركزت بالاساس علي الاحتلال الحربى على اعتبار أنه احتلال مؤقت.

ومن المعروف ان الاتفاقية صدرت فى اطار القانون الدولى الانسانى فى أغسطس ١٩٤٥ من أجل علاج آثار الدمار واسع النطاق الذى أحدثته وخلفته الحرب العالمية الثانية، وكان هدف الدول الغربية المنتصرة فى الحرب وخصوصا بريطانيا والولايات المتحدة من إصدار الاتفاقية هو مزيد من عقاب المانيا بعد هزيمة النازية الهتلرية فيها .

والجديد أيضا ، أن الولايات المتحدة واسرائيل مارستا ضغوطا هائلة على كل من الحكومة السويسرية باعتبار أنها الحكومة المودعة لديها وثائق الانضمام للمعاهدة والتصديق عليها وعلى الامم المتحدة ، لعدم عقد مؤتمر دولى لمناقشة الانتهاكات الاسرائيلية الفظة والمروعة والهمجية ضد الشعب الفلسطينى وحيث لا تعترف اسرائيل حتى الآن ، وستظل لا تعترف ، بسريان احكام اتفاقية جنيف الرابعة على الشعب الفلسطينى ، وهكذا أثمرت الضغوط الامريكية – الاسرائيلية عن خضوع الحكومات العربية بما فيها سلطة الحكم الذاتى الفلسطينى للضغوط والصمت المعتاد بانتظار أو على أمل صدور "نوايا" "سلمية" و"سلامية" من حكومة باراك بعد فوز تكتل "اسرائيل واحدة" بزعامة حزب العمل فى الانتخابات الاسرائيلية التى جرت مبكرا فى مايو ١٩٩٩ .

هذا فضلا عن ان الضغوط الامريكية – الاسرائيلية أسفرت عن إنعقاد الجلسة الإفتتاحية فقط للمؤتمر الدولى الذى رعته الامم المتحدة فى جنيف أو دولة المقر "سويسرا" فى الخامس عشر من يوليو ١٩٩٩ . وتدبع خطورة اذعان الحكومة السويسرية والامم المتحدة والحكومات العربية للضغوط الامريكية – الاسرائيلية من خوف فعلى من التجميد التام للاتفاقية ، ومن فرض ادراك على العالم باسره مفاده أن اتفاقية جنيف الرابعة التى توفر الحماية الدولية للشعب الفلسطينى لم تعد قائمة ، أو تم تشييعها الى مثواها الاخير ، مثلما حدث مع قرار الامم المتحدة بمساواة الصهيونية

بالعنصرية والقرارين ١٨١ لعام ١٩٤٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين عربية ويهودية مع وضع مكانة متميزة لمدينة القدس كلها تحت ادارة دولية ، و١٩٤ لعام ١٩٤٩ الخاص بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى فلسطين .

ورغم أن تمسك الطرف الضعيف ، أو الذى اضعف نفسه بمحض ارادته ، بالاتفاقيات الدولية وبقواعد القانون الدولى وبقرارات مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة التى تكفل له الحد الادنى ، على الاقل من حقوقه المشروعة وغير القابلة للانكار ، يعد من قبيل محاولة كسب ضمير العالم ومساندة الرأى العام العالمى لا أكثر ، إلا أنه مفيد للغاية فى دعم الحقوق المشروعة وتسويغ المبررات القانونية الدولية والشرعية الدولية لهذا الطرف الضعيف عندما يستيقظ ويلجأ الى المقاومة المسلحة المشروعة للاحتلال . ولا مجال للمفاضلة بين التركيز على تحرير الارض الفلسطينية المحتلة والاهتمام بتطبيق اتفاقية جنيف الرابعة ومعاهدة لاهاى لعام ١٩٠٧ واتفاقية فيينا لقانون المعاهدات عام ١٩٦٩ وغيرها، ذلك أن التحرك الفلسطيني والعربى لاسترداد الحقوق المشروعة والعادلة يستلزم اللجوء الى كافة الاساليب بدءا من الكفاح المسلح المشروع ضد الاحتلال الصهيونى وانتهاء باستخدام قواعد القانون الدولى والاتفاقيات الدولية التى تضمن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

مما يلفت النظر ، أننا لا نهتم بالرد والتفنيد للمزاعم والادعاءات الاسرائيلية القانونية والتى تذهب الى عدم انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الشعب الفلسطينى الواقع تحت الاحتلال الصهيونى ، كما لا ندرك خطورة سلسلة التراجع فى المواقف الامريكية من الاتفاقية وغيرها من قرارات الامم المتحدة والاتفاقيات الدولية انحيازا للغطرسة الاسرائيلية ولتكريس الامر الواقع القائم على أن ما تراه اسرائيل فقط وما تفرضه من شروط مجحفة يشكل "المرجعية الدولية" للمفاوضات مع العرب وحيث لا مرجعية لغيرها .

اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ :

تعد اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩ تعبيرا عن مرحلة حاسمة من مراحل القانون الدولى الانسانى الذى يهتم اساسا بالانسان والبشر ويحميه من ويلات الحروب وأهوالها . فالاتفاقية تحدد القواعد الجوهرية للحماية التى يستحقها كل كائن بشرى".

وتنص المادة الاولى من الباب الاول تحت عنوان "أحكام عامة" على أن "يتعهد الاطراف السامون المتعاقدون باحترام وضمان احترام احكام هذه الاتفاقية فى جميع الاحوال". وتفيد عبارة "فى جميع الاحوال" مختلف حالات اعلان الحرب أو وضعية أى نزاع مسلح آخر قد يندلع بين طرفين أو اكثر من أطراف الاتفاقية ، حتى لو لم يكن أحد الاطراف قد اعترف بحالة قيام الحرب . كما تغطى الاتفاقية شتى حالات الاحتلال الكلى والجزئى لاراضى أحد الاطراف ، وحتى اذا لم يكن الاحتلال يواجه مقاومة مسلحة، بل تشمل الاتفاقية بعض الحالات التى لا يكون فيها أحد أطراف النزاع طرفا فى الاتفاقية اذا ما قبل احكامها وطبقها.

وتطبق الاتفاقية بصورة تلقائية بمجرد نشوب العمليات العدائية ، ولا يمكن التذرع بتعليق تطبيق احكامها من قبل أحد الاطراف المتحاربة الذى خضع له اقليم محتل بزعم أن الطرف الذى فقد السيطرة على الاقليم لم تكن له سيادة مشروعة على ذلك الاقليم ، ذلك ان الاعتبارات الانسانية هى القاعدة المحورية التى تأسس عليها الصرح القانونى لاتفاقيات جنيف . فهذه الاعتبارات الانسانية فى ذاتها هى التى تستوجب فرض التزامات قانونية على الدول الاطراف فى الاتفاقيات ضمن حد ادنى من القواعد ذات الطابع الانسانى ، حتى فى حالة نزاع مسلح غير ذى طابع دولى ، وهذا ما تنص عليه المادة الثالثة المشتركة من اتفاقيات جنيف الأربع (١) .

هذه التأكيدات تعد ردا على ما تدعيه اسرائيل - وكما سيرد بالتفصيل - من أن استيلاءها على القدس الشرقية والضفة الغربية وغزة كان نتيجة أو رد فعل على "عدوان" مصر وسوريا والاردن ومصر والاردن خصوصا فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، عليها ، وأن مصر والاردن كانتا تحكمان الضفة الغربية والقدس الشرقية وغزة حكما عسكريا غير مشروع ولم تكن الدولتان صاحبتا سيادة مشروعة على هذه الاقاليم .

تعد المادة (٢٧) من اتفاقية جنيف الرابعة من أهم مواد الاتفاقية وأكثرها ارتباطا بمأساة الشعب الفلسطينى تحت الاحتلال الصهيونى، فهى تنص على مايلى :

"للاشخاص المحميين فى جميع الأحوال حق الاحترام لاشخاصهم وشرفهم ، وحقوقهم العائلية وعقائدهم الدينية وممارستها وعاداتهم وتقاليدهم ، ويعاملوا فى كل الاوقات معاملة انسانية ، وتصير حمايتهم على الاخص ضد اعمال العنف والتهديد بها وضد السب والتعريض العلنى . وتحمى النساء بصفة خاصة من الاعتداء على شرفهن وعلى الاخص ، هتك العرض والاغتصاب ، أو أى نوع من الاعتداء المشين" .

وتؤكد المادة ٢٩ من نفس الاتفاقية على مسئولية السلطة القائمة بالاحتلال تجاه الاشخاص الذين تحميهم الاتفاقية كما يلى :" طرف النزاع الذى يكون تحت سلطته اشخاص محميون مسئول عن المعاملة التى يلقونها من وكلائه، وهذا بخلاف المسئولية الفردية التى يمكن التعرض لها " .

ويستفاد من هذه المادة أن المسئولية عن أية انتهاكات لحقوق السكان الواقعين تحت الاحتلال لا تتوقف عند الطرف المحتل رسميا وحيث تثار قاعدة المسئولية الدولية ، بل الى ضرورة أن يقوم هذا الطرف بعقاب ومحاسبة أى من المسئولين بصفتهم الفردية عما يقترفونه من مخالفات لأحكام الاتفاقية، ولا يجوز التذرع بكونها تصرفات فردية للافلات من تطبيق العقاب.

تحدد المادة ٣٩ الاحوال التى يحق فيها للاشخاص المحميين أن يحصلوا على مقومات العيش من قوة الاحتلال . أما المادة (٤٧) فهى تشدد على الحقوق الثابتة للاشخاص المحميين والتى لا يجوز انتهاكها :"لا يحرم الاشخاص المحميون الذين

يوجدون فى اراضى محتلة بأية حال ولا بأية كيفية من مزايا هذه الاتفاقية ، بسبب أى تغيير يطرأ ، نتيجة لاحتلال الاراضى ، على انظمة أو حكومة الاراضى المذكورة، ولا بسبب أية معاهدة تعقد بين سلطات الاحتلال ودولة الاحتلال ، ولا بسبب أى ضم تقوم به الأخيرة لكل أو بعض الاراضى المحتلة".

وبالنسبة للعقوبات المقررة على مخالفة احكام الاتفاقية فقد نصت المادة ١٤٦ على ما يلى :

" يتعهد الأطراف الساسيون المتعاقدون باتخاذ أى تشريع يلزم لفرض عقوبات فعالة على الاشخاص الذين يقترفون مخالفات خطيرة لهذه الاتفاقية ، أو يأمرون بها ، بحسب ماهو مبين فى المادة التالية.

"يلتزم كل طرف من الاطراف الساسيين المتعاقدين بالبحث عن الاشخاص المتهمين باقتراف مثل هذه المخالفات الخطيرة ، أو امروا بها وأن يقدم مثل هؤلاء الاشخاص بغض النظر عن جنسيتهم ، الى محاكمة. ويجوز له ايضا اذا رأى افضلية ذلك وطبقا لاحكام تشريعه ان يسلم مثل هؤلاء الاشخاص الى طرف آخر من الاطراف الساسية المتعاقدة ذوى الشأن لمحاكمتهم بشرط أن يكون لدى هذا الطرف الساسى المتعاقد أدلة اتهامات كافية ضد هؤلاء الاشخاص (٢) .

وتقوم المادة ١٤٧ بتعريف المخالفات "الخطيرة" على النحو التالى :

"المخالفات الخطيرة التى تشير اليها المادة السابقة هى التى تتضمن أحد الأعمال الآتية اذا اقترفت ضد اشخاص أو ممتلكات تحميها هذه الاتفاقية . القتل العمد ، التعذيب أو المعاملة البعيدة عن الانسانية . بما فى ذلك التجارب الخاصة بعلم الحياة، الأعمال التى تسبب عمدا آلاما شديدة أو إصابة خطيرة للجسم أو الصحة ، النفى أو الابعاد غير القانونى ، أو الانتقال غير القانونى للاشخاص المحميين ، ارغام الشخص المحمى على الخدمة فى قوات الدولة المعادية، أو تعمد حرمان شخص من الحقوق الخاصة بالمحاكمة الصحيحة القانونية المنصوص عليها بهذه الاتفاقية ، أخذ الرهائن والتدمير الشامل للممتلكات أو الاستيلاء عليها دون ضرورة حربية وبكيفية غير مشروعة واستبدادية (٣) .

القرارات الدولية المدعمة لاتفاقية جنيف :

تؤكد القرارات الدولية الصادرة عن مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة ليس فقط على حق الشعب الفلسطينى فى انطباق اتفاقية جنيف الرابعة عليه ، وإنما على حقه فى الحماية الدولية من الابادة والبطش واغتصاب الاراضى ومصادرة الاف الدونمات منها وهدم المنازل وإبعاد الفلسطينيين المقاومين للاحتلال والاستيطان وتوسعاته . ومن ذلك قرارات مجلس الامن ارقام ٢٣٧ لعام ١٩٦٧ ، ٥٣٥ لعام ١٩٦٩، ٦٨١ لعام ١٩٩٠ ، ٧٩٩ لعام ١٩٩٣ ، وقرارات الجمعية العامة أرقام ٢٢٥٢ / ١٩٦٧ ، ٢٤٤٣ / ١٩٦٨ ، ٢٩٤٩ / ١٩٧٢ ومابعدها .

ومن جانب آخر فقد أكد اعلان جنيف بشأن فلسطين الذى اصدره المؤتمر الدولى المعنى بالقضية الفلسطينية والمنعقد فى الفترة من ٢٩ اغسطس الى ٧ سبتمبر ١٩٨٣ على نفس الحقوق ، وكانت الجمعية العامة للامم المتحدة قد أصدرت قرارها رقم ٦٧ الصادر فى ١١ ديسمبر ١٩٩٢الذى أكد فى ديباجته على عدم جواز اكتساب الأراضى بالقوة. وأن تتمتع الاراضى المحتلة بما فيها القدس بالحماية الدولية فى اتفاقية جنيف الرابعة ، كما أكد على أن انتهاك اسرائيل للمادة ٢٥ من الميثاق ، وعدم شرعية استمرار الاحتلال الاسرائيلى ، وعدم شرعية قرارات الضم ، تشكل تهديدا للسلم والامن الدوليين ، لكن الولايات المتحدة وبالطبع اسرائيل ، عارضت القرار . وقد نوهت الجمعية العامة بـ "الرغبة المعلنة والمساعى المبذولة لوضع الاراضى الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، بما فيها القدس ، تحت أشراف الامم المتحدة لفترة انتقالية ، أو القيام ، بدلا من ذلك ، بتوفير حماية دولية للشعب الفلسطينى هناك ، وذلك كجزء من "عملية السلام" (٤) .

هذا فضل عن تأكيد قرار الجمعية العامة سالف الذكر وخصوصا فى ديباجة الفقرة (هـ) على ضرورة تعزيز الحماية الدولية للمدنيين الفلسطينيين فى الاراضى المحتلة، وعلى طلب مجلس الامن فى الفقرة السادسة من قراره الهام رقم ٦٨١ لعام ١٩٩٠ من الامين العام للمنظمة الدولية لكى يقوم "بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الاحمر، بمواصلة تطوير الفكرة المعرب عنها فى تقريره والمتعلقة بالدعوة الى عقد اجتماع للاطراف المتعاقدة السامية فى الاتفاقية المذكورة ، وان يدعو لهذا الغرض الى تقديم أراءها بشأن الطريقة التى يمكن أن تسهم بها هذه الفكرة فى تحقيق أهداف الاتفاقية .." وطلب القرار فى الفقرة الثالثة منه الى جميع الدول اعضاء الاتفاقية ان تضمن احترام اسرائيل للاتفاقية فى جميع الظروف، على اساس أن الاحتلال لا يغير المركز القانونى لهذه الاراضى (٥) .

الادعاءات الاسرائيلية لعدم انطباق الاتفاقية على الشعب الفلسطينى :

سلف القول أن الفقة القانون الاسرائيلى ابتدع قانونا دوليا جديدا يتميز بالشذوذ والانحراف عن جادة الصواب ، بل الأكثر من ذلك انه يستند الى القواعد غير المشروعة التى سادت فى العصور الوسطى والتى سنتها القبائل والقوات والممالك والامبراطوريات الاوروبية لتبرير غزواتها وسلبها ونهبها لاراضى الغير وإخضاع سكانها لشتى صور التعذيب والحصار والمطاردة والابعاد والنفى.

لذا ترفض اسرائيل تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة تطبيقا قانونيا ، ولكنها اعلنت بعد عدوانها فى ١٩٦٧ واحتلال الاراضى العربية أنها سوف تعمل من الناحية الواقعية على تطبيق "الاحكام الانسانية الاساسية" من الاتفاقية ، كما زعمت ان انظمة اتفاقية لاهاى تنطبق على الاراضى المحتلة انطلاقا من كونها تعبر عن القانون الدولى العرفى الذى يعتبره القانون الاسرائيلى جزءا منه فى حالة غياب اى قانون محلى يتعارض معها ، كما ترفض اسرائيل القانون الدولى

التقليدى وتعتبره مخالفا لتشريعاتها المحلية.
وتعتبر اسرائيل ان كلا من مصر عندما اسندت اليها ادارة قطاع غزة والاردن عندما أودعت لديه الضفة الغربية عام ١٩٤٨ وقام بضمها هي والقدس العربية ، كانا في الواقع "سلطة احتلال عسكرى غير مشروع" لهذه الاراضى وكل منهما ليست لديه سيادة مشروعة على هذه الاقاليم ، كما تبرر اسرائيل انتهاكاتها المتواصلة لاتفاقيات جنيف وغيرها بالاشارة الى التشريعات التى كانت سارية في الاقاليم الفلسطينية المحتلة سواء في مرحلة الانتداب البريطاني واحكام الطوارئ التى فرضها هذا الانتداب أو خلال الادارتين المصرية والاوروبية في الفترة من عام ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ (٦) .
فقد اصدرت المحكمة الاسرائيلية العليا بصفتها محكمة العدل العليا رأيا عقب دراستها للاعمال الادارية التى تمارسها الادارتان العسكرية والمدنية الاسرائيلية في الاراضى المحتلة، ويقوم هذا الرأى على ما يلى.
"الاتفاقية غير صالحة لان تنظر فيها محكمة وانها ، لما كانت من جملة القانون الدولى التقليدى غير صالحة لأن تنظر فيها محكمة وانها ، لما كانت من جملة القانون الدولى التقليدى لا من القانون الدولى العرفى، فهى لا تشكل جزءا من قانون اسرائيل المحلى، ولا يمكن لها أن تصبح جزءا من هذا القانون الا اذا أقر الكنيست تشريعا بذلك (٧).
والغريب ان يخترع الفقهاء الاسرائيليون قانونا دوليا خاصا بهم حتى في توصيف الاراضى التى استولت عليها اسرائيل وهل هى احتلال أم لا ؟! فإسرائيل تزعم أن الاراضى التى احتلتها هى مناطق مدارة وكانت أراض لا سيادة لأحد عليها اى انها اراض لا ملك لها ، ومن ثم ينبغى حيازتها بوضع اليد عليها من خلال الوقائع المستمرة والممارسات المستمرة، وهى في الواقع نفس اسباب اكتساب الاقاليم في القرون الوسطى الاوروبية . وفى ذلك زعم الرئيس السابق للمحاكمة العليا الاسرائيلية "مئير شامجار" والذى أصبح بعد ذلك قاضيا دوليا ، ما يلى .
"انه يبدو من اللوازم البديهية الا يحول كل احتلال للاراضى المحتلة الى اراض تنطبق عليها احكام الاتفاقية (٨) .
والواقع ان اتفاقية جنيف الرابعة واتفاقية لاهاى تعرفان الاحتلال بدقة وبما لا يدع مجالا للشك ، اما مزاعم اسرائيل بخصوص عدم شرعية ادارة الاردن ومصر للضفة وغزة وأنهما ليسا اصحاب سيادة أو سلطة مشروعة، وأنه لم يكن يوجد طرف أو سيادة على هذه الاراضى قبل احتلالها ، مما يسوغ عدم تطبيق اتفاقية جنيف عليها ، وهى مزاعم تدخل في صلب العقيدة الصهيونية الاستعلائية والشعار الصهيونى الشهير "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" ، ولا تستند الى أى من قواعد القانون الدولى .

هوامش :

١ – د . صلاح الدين عامر "سبل توفير الحماية الدولية من أجل تهيئة الظروف امام الشعب الفلسطينى لممارسة حقه في تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة" الحق (اتحاد المحامين العرب ، القاهرة) السنة ٢٠ ، العدد ٢ ، ٣ ، ١٩٨٩، ص٦٧.
٢ – انظر في ذلك كمثال ، د . عبد الله الاشعل ، المركز القانونى الدولى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٨٨، الفصل الثانى .
٣ – نفس المصدر ، الفصل الثانى.
٤ – د . عبد الله الاشعل "القانون الدولى وحقوق الشعب الفلسطينى" الحق (اتحاد المحامين العرب، القاهرة) السنة ٢٤، العدد ٣، ١٩٩٣ ، ص ص ٣٩ – ٤٠.
٥ – نفس المصدر ، ص ٤٠.
٦ – د . صلاح عامر ، مصدر سابق ، ص ٦٧.
٧ – ورد في : فيليتسيا لانجر، تنفيذ اتفاقيات جنيف الرابعة لضمان حماية الشعب الفلسطينى في الاراضى الفلسطينية المحتلة ، مجلة الدراسات الفلسطينية (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية) العدد ١١ ، صيف ١٩٩٢ ، ص ٩١.
8 - Mer shamgar , The Observance of International Law in The Administered Territories ' , in Johnm. Moore, The Arab - Israeli Conflict, Washington DC, 1977 , pp. 488 - 92.

٤

رؤيـة

برامج التسلح واتجاهات الثورة فى الشئون العسكرية الاسرائيلية

أحمد إبراهيم محمود

يشهد الجيش الاسرائيلى فى الفترة الحالية ثورة هائلة فى مجال التسلح، وبدت تجليات هذه الثورة واضحة فى الصفقات الضخمة التى عقدتها الحكومة الاسرائيلية مع الولايات المتحدة، بالاضافة الى ازدياد كثافة عمليات التطوير والانتاج المحلى للاسلحة والمعدات فى اسرائيل، علاوة على ازدياد الجدل الداخلى فى اسرائيل بخصوص تطوير العقيدة العسكرية الاسرائيلية .وقد بدت تجليات هذه الثورة فى ان الحكومة الاسرائيلية نشطت خلال الفترة الماضية فى تنفيذ العديد من صفقات التسليح الضخمة مع الولايات المتحدة، حيث جرى الاتفاق بين الجانبين على حصول اسرائيل على ٥٠ طائرة (اف ١٦)، بالاضافة الى ان الجانبين كانا قد اتفقا فى فترات سابقة على حصول اسرائيل على ٦٠ طائرة من نفس الطراز، وهو ما يهدف الى جعل هذه الطائرة بمثابة العمود الفقرى فى السلاح الجوى الاسرائيلى فى المستقبل القريب .وفى الوقت نفسه، نشطت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تنفيذ برامج للتحديث التسليحى فى القوات البحرية وقوات الدفاع الجوى، بالاضافة الى القوات البرية .ومن ثم، تندرج جملة هذه التطورات فى اطار ثورة فى الشئون العسكرية الاسرائيلية بدأت منذ اوائل التسعينات، وتشمل هذه الثورة كافة جوانب التسلح والاستخدام القتالى للقوات والتصورات بشأن ميدان القتال المستقبلى والطبيعة المتغيرة للتهديدات .وغير ذلك .وقد انطلقت هذه الثورة من ان هناك تحولات جذرية فى بيئة الامن الاسرائيلى، وتبدأ هذه التحولات من ان هناك منظومة جديدة من التهديدات، الفعلية والمحتملة، التى تواجه الامن الاسرائيلى، كما ان التطور التكنولوجى فى مجال الاسلحة والمعدات العسكرية يوفر فرصا هائلة لتعزيز التفوق النوعى الاسرائيلى، بالاضافة الى ان هناك تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية فى المجتمع الاسرائيلى لها تأثيرات عميقة على القوة العسكرية الاسرائيلية .ومن ثم، كان من الضرورى، فى ظل هذه الاعتبارات، تعديل البنية الكلية للقوة العسكرية الاسرائيلية، بما يقدم ردودا محددة للتهديدات التى تواجه الامن الاسرائيلى، وبما يتلاءم ايضا مع التحولات الاقليمية والداخلية فى اسرائيل.

أولا :متغيرات البيئة الاستراتيجية الاسرائيلية

تشهد البيئة الاستراتيجية الاسرائيلية تحولات جذرية من شأنها ان تؤدى الى حدوث ثورة حقيقية فى الفكر الاستراتيجى الاسرائيلى، وفى البنية الكلية للسياسة الدفاعية الاسرائيلية، وتنبع هذه التحولات بالدرجة الاولى من تطور عملية التسوية العربية - الاسرائيلية، وطبيعة التطور التكنولوجى فى مجال الاسلحة والمعدات، بالاضافة الى الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى اسرائيل ذاتها. وقد برز تأثير هذه المتغيرات فى انها أدت منذ بداية التسعينات الى حدوث تآكل تدريجى فى المفهوم الامنى التقليدى الاسرائيلى .فقد ظل هذا المفهوم يقوم على عدة مبادىء رئيسية تتمثل فى :الشعب المسلح، والدفاع الاستراتيجى، والحسم السريع للحروب فى اقصر وقت ممكن، واعطاء الافضلية للدبابة والطائرة القتالية، والاهتمام بالكيف فى مقابل الكم، والاعتماد على مبدأ ذرائع الحرب، والتطوير والانتاج المحلى للاسلحة والمعدات، الا ان اغلبية هذا المبادىء فى طريقها الان للتغير، مع تبنى مفهوم امنى جديد يتوافق بدرجة اكبر مع مناخ ما بعد التسوية فى الشرق الاوسط، كما يستفيد بدرجة اكبر من التطور التكنولوجى فى المجال العسكرى.

فمن الناحية التكنولوجية، يسعى الجيش الاسرائيلى الى اقامة هيكل جديد للقوة العسكرية يستفيد من التطورات الهائلة الجارية على صعيد التكنولوجيا العسكرية، انطلاقا من ان اسرائيل يجب ان تحافظ على قوة عسكرية متطورة للغاية تتناسب مع القرن الحادى والعشرين تكنولوجيا والكترونيا، سواء فى ظروف السلام الشامل او فى ظروف الجمود، حيث تقوم وجهة النظر الاسرائيلية التقليدية فى هذا الصدد، سواء فى ظل حكم العمل او الليكود، على ان تواجد منظومات تسليحية متطورة بايدى الجيش

الاسرائيلى، عند التوقيع على اتفاقات السلام مع العرب، يعزز قدرة اسرائيل التفاوضية، لأن العرب - حسب التصور الاسرائيلى - سوف يكونون اقل رغبة فى تلك الحالة فى الدخول فى حرب مع اسرائيل .ومن ثم، فان الجيش الاسرائيلى يسعى الى الاستفادة من التطور التكنولوجى من اجل الاستمرار فى تطوير القدرات العسكرية على احدث طراز الكترونى تكنولوجى حتى فى ظروف السلام، والعمل على ان تكون الحرب او الحروب المقبلة باسلوب الردع المسبق، الذى يضمن اقل ما يمكن من الخسائر البشرية، على طريقة الضرب من بعيد.

وقد شكلت الحروب الحديثة، وبالذات حرب الخليج وحرب البلقان، ميدانا هاما لاكتساب الدروس بالنسبة لاسرائيل فى تطبيقات التكنولوجيا العسكرية الحديثة فى الصراعات المسلحة .فقد ادت حرب الخليج الثانية الى ابراز عدد من الفجوات فى النظرية العسكرية الاسرائيلية، حيث اوضحت ان الجيش الاسرائيلى لايمتلك قدرة ملائمة مضادة للتهديدات الصاروخية، لاسيما التهديدات القادمة من مئات الكيلومترات، وبدا هذا النقص واضحا فى ظل اعمال القصف الصاروخى العراقى للعمق الاسرائيلى، الامر الذى اكد على انكشاف المؤخرة الاسرائيلية بما فيها من تجمعات سكانية كثيفة امام مثل هذه النوعية من الهجمات، وازداد الادراك الاسرائيلى لخطورة مثل هذا التهديد فى ضوء ما تلمسه المصادر الاسرائيلية من اتساع نطاق التهديد الاستراتيجى الصاروخى الناتج عن ازدياد عدد دول المنطقة المالكة لصواريخ متوسطة المدى ذات قدرة على اصابة اهداف استراتيجية اسرائيلية .أضف الى ذلك، ان حرب الخليج اظهرت ايضا استحالة قيام الجيش الاسرائيلى بتنفيذ مفهومه الامنى التقليدى القائم على نقل الحرب بسرعة الى ارض العدو فى حالة حدوث هجوم صاروخى من دولة تقع خارج خط المواجهة .ففى مثل تلك الحالة، كان الرد الوحيد الممكن على الهجمات الصاروخية العراقية يتمثل فى القوة الجوية، الامر الذى كان يعرض السلاح الجوى الاسرائيلى لمغامرة انتهاك المجال الجوى للدول العربية المجاورة، والمغامرة بالدخول فى حرب معها، علاوة على ان مثل هذا السلوك كان من شأنه تعقيد خطط التحالف الدولى المناهض للعراق فى ذلك الوقت .والاكثر من ذلك، ان عنصر البعد الجغرافى قلل كثيرا من قدرة السلاح الجوى الاسرائيلى على توجيه ضربة عنيفة، وذلك حتى اذا لم تكن المحاذير السابقة الذكر قائمة .ومن ثم، فقد اثارت الحرب تساؤلات بشأن كيفية التعامل الاسرائيلى مع انتشار الاسلحة التقليدية الدقيقة فى المنطقة، ولاسيما ان هذه الاسلحة تتيح لخصوم اسرائيل ضرب العمق الاسرائيلى، بما فى ذلك مراكز تعبئة الاحتياط والمطارات والمدن .

وفى ظل هذه المتغيرات، فان الفكر الاستراتيجى الاسرائيلى يركز على منظومة محددة من التهديدات، ومن بينها :احتمالات التعرض لتهديدات باستخدام اسلحة الدمار الشامل، والهجمات على الجبهة الداخلية لاسرائيل، واحتمالات التعرض لهجمات صاروخية، واحتمالات نشوب حرب تقليدية شاملة، واحتمال تصاعد الموقف العسكرى والامنى بين اسرائيل والفلسطينيين .وفى هذا الاطار العام، يتبنى رئيس الحكومة الاسرائيلية تقويما يقوم على ان اسرائيل تواجه ما يصفه بـ (تهديدين وجوديين ونصف تهديد)، ويتمثل التهديدان الوجوديان فى :التعرض لهجوم تقليدى عربى واسع النطاق من جانب دول المواجهة ودول المساندة فى نفس الوقت، وحصول اى دولة عربية على سلاح نووى واستخدامه ضد اسرائيل .أما نصف التهديد، فهو يتمثل فى امكانية تعرض اسرائيل لهجوم كيماوى على الجبهة الداخلية، وهو "نصف تهديد "لأنه لا يهدد وجود دولة اسرائيل .ولا يعطى باراك اسبقية كبرى للتهديد الصاروخى لأنه لا يؤثر على نتائج الحروب التقليدية بالنسبة لاسرائيل، وانما يؤثر فقط على المعنويات وعلى التطورات السياسية الداخلية فى اسرائيل.

ثانيا : انعكاسات التسوية على الامن الاسرائيلى

تخلق عملية التسوية العربية - الاسرائيلية اثارا مزدوجة على الامن الاسرائيلى، بعضها سلبى، واكثرها ايجابى. فمن ناحية، سوف تؤدى التسوية الى توسيع "الهوامش الامنية "لاسرائيل، أى تعزيز وصيانة الامن الاسرائيلى من خلال الوسائل السياسية، وذلك من حيث ازالة مبررات الحرب فى المنطقة وتحييد بؤر العداء لاسرائيل وابعاد الجيوش العربية - وبالذات الجيش السورى - عن الحدود مع اسرائيل ووقف حرب الاستنزاف فى الجنوب اللبنانى ومقايضة الاراضى العربية المحتلة بالترتيبات الامنية .وفيما يتعلق بالدول البعيدة عن اسرائيل، مثل ايران والعراق وليبيا، فان مواقفها سوف تصبح اقل حدة ضد اسرائيل فى حالة التسوية السلمية، وسوف تفقد مبرراتها للمشاركة فى اى اعمال عسكرية ضد اسرائيل .ولكن من الناحية الاخرى، فان عملية التسوية لن توجد حلولا لما تسميه اسرائيل بـ (الارهاب)او احتمالات نشوب انتفاضة فلسطينية وحرب الاستنزاف التى تتعرضا لها اسرائيل فى الجنوب اللبنانى، وهى تحديات لا تفيد القدرات العالية للجيش الاسرائيلى فى مواجهتها .وهكذا، فان الجيش الاسرائيلى يجد نفسه فى مواجهة خصوم اضعف منه فى القوة والمهارة، ولكنه لا يستطيع ان يحقق نصرا سريعا ضدهم، وانما ينزلق الى صراع لا نهاية له .ومن غير المحتمل ان تتضاءل هذه المعضلات الامنية فى المستقبل. وحتى عملية السلام العربية - الاسرائيلية، فانها لم تؤد الى انهاء الصراع تماما، حيث ما زال السلام باردا بين مصر واسرائيل .وبالتالى، فانه على الرغم من ان اسرائيل تتمتع فى الوقت الحالى بمستوى غير مسبوق على الاطلاق من الامن فى مواجهة اى هجمات تقليدية، الا ان هناك

درجة اقل من الامن على المستوى الشخصي .وبالتالي، فان بيئة الامن الاسرائيلية السابقة كانت خطيرة، ولكنها كانت تتيح على الاقل ميزة الوضوح النسبي والقدرة على التنبؤ بالنسبة للخصوم وطبيعة المواجهات العسكرية المحتملة .أما الان، فان بيئة الامن تظل خطيرة، ولكنها غامضة وغير مؤكدة .

ومن ناحية اخرى، فان عملية التسوية سوف تؤدى بالضرورة الى اجراء تعديلات جيوستراتيجية حيوية بالنسبة لاسرائيل، لاسيما من حيث انها سوف تنطوى على قيام اسرائيل بتقديم تنازلات جغرافية اقليمية في الضفة الغربية وقطاع غزة وهضبة الجولان .وبصرف النظر عن حجم وطبيعة هذه التنازلات، والصيغة النهائية المحتملة للتسوية، فان المحللين الاستراتيجيين الاسرائيليين اهتموا بما يمكن ان تفضى اليه اية تنازلات اقليمية من تآكل في العمق الاستراتيجي الاسرائيلي في الاتجاهين الشمالي والشرقي .ففي النقاط الضيقة الواقعة شرق تل ابيب مثلا، يقتصر عرض اسرائيل حسب حدود ١٩٦٧ على حوالى ١٥ كيلومترا فقط، علاوة على ان الانسحاب من هضبة الجولان سوف يفقد اسرائيل ميزة استراتيجية هامة .

وقد خلقت اتفاقات أوسلو تحديات أمنية جديدة أمام إسرائيل، وبالذات من حيث أن وجود قوة فلسطينية مقاتلة تضم ٢٥ ألف مقاتل على مقربة من الأهداف الاستراتيجية الإسرائيلية يخلق تهديدات جسيمة على أمن إسرائيل، حيث أن هذه القوة يمكن أن تتحول - حسب بعض التحليلات الاسرائيلية - إلى نقطة انطلاق لقوات عربية متحركة من اجل الاقتحام الفورى لمراكز دولة إسرائيل، لأن اى هجوم تقوم به هذه القوات سوف يكون يسيرا لأنه لا توجد أى أسوار أو عقبات في منطقة غرب نهر الاردن، ويمكن ان تصل الى اهدافها من خلال شوارع وطرق ترابية فرعية معروفة لهم جيدا، كما ان قسما من هذه القوات يمكن ان يجتاز الخط الاخضر مشيا على الاقدام او باستخدام السيارات التجارية والخاصة وصولا الى اهدافها .وبالتالي، تخلص هذه التحليلات الاسرائيلية الى ان الوضع الذى نتج عن اتفاقات اوسلو سوف يوفر في النهاية القدرة للفلسطينيين وحلفائهم على شل اسرائيل بشكل كامل، او على الاقل احداث حالة خلخلة عنيفة لعمليات التجنيد وتعبئة الاحتياط في الساعات الاولى من اى حرب مفاجئة، مما سوف يسبب خسائر كبيرة، كما يمكن ان يضر كثيرا بمعنويات افراد الجيش والمواطنين الاسرائيليين .

ولذلك، يشدد باراك كثيرا على اهمية ومحورية الترتيبات الامنية المصاحبة لعملية التسوية، فهذه الترتيبات الامنية تمثل البديل الموضوعي - في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي - لاحتلال الاراضي العربية، وتشتمل هذه الترتيبات على مناطق منزوعة السلاح وشبكات للانذار المبكر وخفض للقوات المسلحة .ولذلك، يؤكد باراك من حيث المبدأ على العلاقة التبادلية بين الأمن والسلام، لأنه في حالة عدم وجود مسيرة سلمية لا يكون هناك أمن، والمكان الذى لا يتوافر فيه الأمن يكون عبء الدفاع عنه كبيرا، كما أنه من الممكن أن تنشب مصادمات عنيفة تجرف المنطقة كلها إلى دوامة من سفك الدماء، ولكن باراك يشدد على الجانب الاخر على اهمية الحفاظ على حدود آمنة، كما يؤكد على أن إسرائيل لن تعود بأى حال من الأحوال إلى حدود ١٩٦٧، ولن تساوم على أمنها وأمن مواطنيها، وأن أى تسوية سلمية يتم التوصل إليها سوف تكون مشروطة بالحفاظ على الأمن وبالقدرة على الدفاع عن الدولة ومواطنيها .ومن ثم، يشدد باراك مثلا على ضرورة ان تظل اسرائيل محتفظة بحوالى ٦٠ %من اراضى الضفة الغربية .

أما على المسار السورى، فان العديد من التقارير يشير الى ان باراك يحتفظ بخطة جاهزة بشأن الانسحاب من الجولان، بما في ذلك وضع تصور متكامل بشأن الترتيبات الامنية اللازمة لتنفيذ هذا الانسحاب .وعلى الرغم من ان هذه الخطة لم تعلن، ولن يكون ممكنا اعلانها من جانب حكومة باراك قبل الوصول اولا الى اتفاق مع سوريا، الا ان العديد من عناصر هذه الخطة تسربت الى وسائل الاعلام الاسرائيلية، وهى تقوم على استعداد باراك للانسحاب من الجولان في ظل ترتيبات امنية مفصلة ومشددة .وتقوم هذه الترتيبات على ان اسرائيل ينبغى ان تحتفظ بمراكز انذار مبكر في هضبة الجولان، مع ضرورة ان تكون المنطقة منزوعة السلاح على الجانب السورى مكشوفة تماما امام الاسرائيليين، وتسيير دوريات عسكرية سورية - اسرائيلية مشتركة، بالاضافة الى تحديد القوات المدرعة السورية المرابطة في دمشق وهضبة الجولان .ومع ذلك، فان هناك خلافات بين الجانبين السورى والاسرائيلى بشأن جدول الانسحاب ومحطات الانذار المبكر وعمق نزع السلاح والانتشار العسكرى والمياه والتطبيع .وعلى الرغم من هذه الخلافات، الا انه يبدو واضحا ان باراك يظل مهتما بالوصول الى اتفاق على المسار السورى، سواء من اجل انهاء الصراع مع سوريا، او باعتبار ذلك مفتاحا للحل والتسوية على المسار اللبنانى.

ثالثا :تحولات الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي

تمتد التحولات الجارية في الشئون العسكرية الاسرائيلية الى جميع المجالات، وتصب اجمالا في اتجاه بلورة عقيدة عسكرية جديدة، اكثر واقعية واكثر تواضعا في توقعاتها، بحيث تكون اكثر قدرة على مواجهة التحولات الحادثة في طبيعة التهديدات التى تواجه الامن الاسرائيلى في الفترة القادمة من ناحية، كما يمكنها مواكبة التطورات الجارية على الاصعدة التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية في اسرائيل .وبشكل عام، فان جوهر ومضمون التغيير في

العقيدة العسكرية الاسرائيلية يتمثل فى ان هذه العقيدة، التى وضعها بن جوريون اول رئيس وزراء اسرائيلى قبل ٥٠ عاما، ظلت تعتمد على مبدأ "نقل الحرب بسرعة الى ارض الطرف الاخر"، فى حين تسعى العقيدة الجديدة الى اعتماد مبدأ "بدء الحرب على ارض الطرف الاخر وعدم الانتظار حتى يشنها ذلك الطرف."

وتعتبر العقيدة العسكرية، بشكل عام، بمثابة المفهوم الاساسى لامن الدولة، والذى يتم على اساسه صياغة اهداف ومهام السياسة العسكرية لهذه الدولة، وتحديد مجالات استخدام القوة العسكرية وتشخيص طبيعة التهديدات العسكرية الفعلية والمحتملة التى تجابهها، بل وطبيعة الحروب المستقبلية التى يمكن ان تنخرط فيها، علاوة على توصيف الاساليب التى يمكن من خلالها مواجهة العدوان بالوسائل العسكرية. وفى هذا الاطار، يمكن القول ان العقيدة العسكرية الاسرائيلية تبلورت على ارض الواقع فى ضوء منظومة الثوابت والمتغيرات الداخلية والخارجية المحيطة بالكيان الاسرائيلى، وشهدت بطبيعة الحال تطورا مستمرا حسب درجة التغير فى المعطيات السياسية والعسكرية والتكنولوجية والجغرافية - الاستراتيجية والاقتصادية والاجتماعية المؤثرة على وظائف القوة العسكرية الاسرائيلية. وقد ظلت العقيدة العسكرية الاسرائيلية تتحرك، برغم مرونتها، فى اطار ثلاث قواعد رئيسية للعمل العسكرى تمثلت بالاساس فى :الردع، نقل المعركة الى ارض العدو، الهجوم المسبق. ويمثل الردع ركيزة اساسية فى هذه العقيدة، حيث يهدف الى اقناع الخصم بعدم جدوى المقاومة او المبادرة بشن الحرب ضد اسرائيل، لاسيما من خلال توفير القوة العسكرية المتفوقة القادرة على تجسيد هذا المعنى.

وقد أدت تحولات البيئة الاستراتيجية الاسرائيلية، على نحو ما سبق ان ذكرنا، الى حدوث تعديل فى بعض مكونات العقيدة العسكرية الاسرائيلية. ويتمثل التطور الجوهرى الرئيسى فى بدء تبلور اتجاه نحو التخلى عن نظام الخدمة العسكرية الشاملة، فالثورة الجارية فى القوات المسلحة الاسرائيلية سوف يكون لها انعكاسات اجتماعية وسياسية هامة، حيث ان من المنتظر ان تؤدى الى التراجع عن مبدأ (الشعب المسلح)القائم على الاعتماد الواسع على نظام تعبئة الاحتياط. ومع ذلك، فان هذا التطور مازال فى مراحله الاولى، وهو لم يخرج حتى الان عن الاطار النظرى والاكاديمى، فمازالت العقيدة العسكرية الاسرائيلية تعتمد بقوة على نظام التعبئة الشاملة، بل ان ايهود باراك ركز بقوة - عقب تشكيل الحكومة الائتلافية - على ضرورة شمول نظام الخدمة العسكرية فى اسرائيل لجميع الاسرائيليين، من دون التفريق بين المتدينين والعلمانيين. ولذلك، اقترح تغيير قانون الخدمة فى المجال الامنى، بهدف الغاء الاعفاء الذى يمنح لطلاب مدارس المتشددين الدينيين (الحريديم)، بحيث يتم تجنيدهم فى الجيش الاسرائيلى، لأن هذا الاعفاء يعكس من وجهة نظر باراك - والاغلبية الساحقة من العلمانيين فى اسرائيل - وضعا غير عادل وغير منطقى، حيث انه يعفى جمهور الحريديم من المشاركة فى حمل العبء الامنى، ويخلق توزيعا غير عادل لهذا العبء، بما يزيد من التوترات، ويبرز عدم التكافؤ بين مواطنى اسرائيل، وهو ما يمثل محاولة من جانب باراك من اجل تصحيح الخلل فى نظام الخدمة العسكرية الاسرائيلية.

أما بالنسبة للمستقبل، فإنه من المتوقع ان يؤدى دخول الاسلحة والمعدات الاكثر تطورا الى الخدمة العاملة فى الجيش الاسرائيلى، الى بروز الحاجة الى اعداد كبيرة من العسكريين المتطوعين الذين يخدمون لفترة طويلة فى الجيش، وليس من خلال فترات التعبئة القصيرة، كما ان الاحتفاظ بجيش ضخم مبنى على مبدأ الشعب المسلح يعتبر مكلفا للغاية من المنظور الاقتصادى. وسوف تضطر اسرائيل الى اجراء تخفيض فى هيكل القوة العسكرية، حيث ستضحى بالكم للحفاظ على النوع، وستركز على امتلاك انواع اكثر تطورا من الاسلحة، مما سوف يجعل فكرة الجيش الشعبى غير قابلة للاستمرار. وسوف تعاد هيكلة القوة العسكرية، حيث يتحول الجيش الاسرائيلى الى تنظيم اكثر تعقيدا عن تنظيمه القديم القائم على اعطاء الافضلية للدبابة والقاذفة المقاتلة، وسوف يصبح هناك اعتمادا اكبر على طائرات الهليكوبتر القتالية والقوات المحمولة جوا والطائرات غير المأهولة، وسوف تلعب القوات البحرية دورا استراتيجيا اكبر. وسوف يظهر نوع جديد من اعادة التوازن اذا حولت اسرائيل مسئولية الامن الجارى (اليومى)الى وحدات مخصصة لهذا الغرض.

وفى مجال الاستخدام القتالى للقوات، فان مناخ التسوية العربية - الاسرائيلية سوف يفرض قيودا على قدرة اسرائيل على استخدام القوة، ولذلك فإن من المنتظر ان تركز العقيدة العسكرية الاسرائيلية على الدفاع والهجوم المضاد اكثر من التركيز على العمليات الهجومية. ورغم ان اسرائيل لن تتخلى ابدا عن خيار الضربة الاجهاضية، فانها سوف تواجه صعوبات سياسية اكبر فى تنفيذها. ويبدو من المستبعد ان تقدم القوات الاسرائيلية على تنفيذ سيناريو العمليات واسعة النطاق، باستثناء تعرضها لهجوم اسلحة الدمار الشامل. أضف الى ذلك، ان اى عمليات عسكرية اسرائيلية فى المستقبل سوف تكون موجهة نحو تدمير قوات العدو اكثر من الاستيلاء على الارض، حيث يصعب على اسرائيل السيطرة على اراض جديدة لانها سوف تضم سكانا معادين يمكنهم الحاق خسائر بالمحتلين، مما سوف يجعل السيطرة على الارض صعبة.

رابعا :

الخصائص الرئيسية للبناء العسكرى المستقبلى الاسرائيلى

تتمثل الركيزة الجوهرية فى عملية تطوير القوة العسكرية

الاسرائيلية فى الحفاظ على التفوق العسكرى باعتباره هدفا فى حد ذاته .ويرتكز تنفيذ هذا المبدأ من الناحية العملية على ضرورة السعى دائما الى بناء قوة ضاربة نوعية، وتحقيق تقدم تكنولوجى للاسلحة، ونظام تعبئة محكم، وسرعة اعداد مسرح العمليات .ولذلك، فان اسرائيل تحرص على اعطاء عناية خاصة لتنمية امكاناتها العلمية بشكل مستمر، وخاصة فى مجال التكنولوجيا العسكرية .وعلى الرغم من الاهتمام الاسرائيلى المتواصل بالعمل على تنمية هذه الامكانات ذاتيا، الا انها تحتاج دائما الى الاعتماد على علاقات وثيقة مع بعض الدول الغربية الكبرى، بما يتيح لها الحصول على الاسلحة الاكثر تقدما بصفة مستمرة .وبشكل عام، فان مبدأ التفوق النوعى كان يدعو القيادة الاسرائيلية دوما الى الحرص على الاحتفاظ بقوات مسلحة قادرة ومتفوقة على جميع العدائيات الفعلية والمحيطة بها، سواء بغرض الاستخدام المباشر فى ظروف العمليات العسكرية الفعلية او بغرض الردع، حيث ارتكز المفهوم الاستراتيجى الاسرائيلى على ان الاحتفاظ بقوات مسلحة متفوقة سوف يثنى الاطراف المعادية عن مخططاتها العسكرية المضادة لاسرائيل، لاسيما عبر مايمكن ان يفضى اليه ذلك من التأثير على الحسابات الاستراتيجية لتلك الاطراف المعادية فيما يتعلق بالتكاليف المادية والبشرية الباهظة التى سوف تتكبدها حال اقدامها على القيام باية اعمال عسكرية معادية لاسرائيل.

ومن ثم، تقوم الفكرة الرئيسية فى البناء العسكرى الاسرائيلى على ضرورة ان تحتفظ اسرائيل بقوة عسكرية متطورة للغاية تتناسب مع القرن الحادى والعشرين تكنولوجيا والكترونيا، سواء فى ظروف السلام الشامل او فى ظروف الجمود، والاستفادة من التطور التكنولوجى من اجل الاستمرار فى تطوير القدرات العسكرية على احدث طراز الكترونى تكنولوجى حتى فى ظروف السلام، والعمل على ان تكون الحرب او الحروب المقبلة باسلوب الردع المسبق، الذى يضمن اقل ما يمكن من الخسائر البشرية، على طريقة الضرب من بعيد .وحسب العقيدة الجديدة، فان القوات الاسرائيلية سوف تعمل على تطوير اسلحة الكترونية على جميع المستويات، وستعتمد على الاقمار الصناعية والتجسس الالكترونى، وسوف يلعب السلاح الجوى دورا اساسيا وجوهريا ومحوريا فيها، وصنع اسلحة صغيرة ذات قدرات تكنولوجية عالية بهدف مواجهة حرب العصابات (مثل القنبلة الذكية التى تطارد هدفها بواسطة التحكم عن بعد)، وتطوير سلاح الغواصات الحاملة للرؤوس النووية للمهمات البعيدة جغرافيا ..وغير ذلك .ولذلك يجرى التركيز فى الوقت الحالى على توفير الاسلحة والمعدات المتطورة، تكنولوجيا والكترونيا، لتناسب ثلاثة مستويات من الحروب التى يمكن ان تدخلها اسرائيل مستقبلا، وهى:

١- حروب المدى القريب، وهى تتعلق بالحرب المستمرة او المتوقعة فى الجنوب اللبنانى، وفى الاراضى الفلسطينية. ففى لبنان، يتعرض الجيش الاسرائيلى لخسائر ضخمة، مما اثار عاصفة ضد السياسة الحكومية تجاه الشأن اللبنانى، وطرحت افكار بضرورة الانسحاب الاسرائيلى من طرف واحد من الجنوب اللبنانى .ومن اجل مواجهة هذا الموقف، يتجه التخطيط العسكرى الاسرائيلى نحو الاعتماد على عدد من الوسائل والاساليب، وهى :التوسع فى استخدام الطائرات بدون طيار حتى تصبح قتالية، وتطوير القنابل الذكية التى تطارد هدفها ولاتنفجر الا بالوصول اليه، وتوسيع نطاق التجسس الميدانى على حزب الله وعلى الجيش السورى فى لبنان .وبالمثل، فان التخطيط العسكرى الاسرائيلى يسعى الى التحسب لاحتمالات اندلاع مواجهة مع الجانب الفلسطينى، وتخطط الحكومة الاسرائيلية لاعادة احتلال مدن وقرى مناطق الحكم الذاتى الفلسطينى فى حالة حدوث مثل هذا التطور، الا ان التقديرات المختلفة تشير الى ان الاقتحام الاسرائيلى لهذه المدن سوف يكلفها خسائر بشرية ضخمة .ولذلك، يسعى التخطيط الاسرائيلى الى ابتكار وسائل للقتال عن بعد فى مثل هذه المواجهة المتوقعة.

٢- حروب المدى المتوسط، حيث لا تستبعد اسرائيل نشوب حرب شاملة مع العرب تتجاوز حدود الجنوب اللبنانى ومناطق الحكم الذاتى الفلسطينى، بحيث تشمل سوريا، وربما مصر، بالاضافة الى احتمال تدخل ايران بصورة ما فى اى مواجهة عسكرية .ولذلك، يجرى الحديث فى اسرائيل عن مجموعة من الاجراءات اللازمة لمواجهة هذه الاحتمالات، وابرزها :تطوير اجهزة التجسس الاسرائيلية، وتعميق التعاون الاستراتيجى مع الولايات المتحدة الامريكية، والتواجد المكثف فى الفضاء من خلال الاقمار الصناعية الاسرائيلية والامريكية، وتطوير الية لتدمير قواعد الصواريخ بعيدة المدى قبل ان تباشر العمل، وتطوير الية اخرى لتدمير الصواريخ فى الجو قبل الوصول الى اهدافها، وتطوير وتوسيع سلاح الغواصات الاسرائيلى وتجهيزها بالرؤوس النووية، ومنح الافضلية لتطوير السلاح الجوى الاسرائيلى الذى يقوم عادة بالدور المركزى فى الحروب التى تخوضها اسرائيل.

٣- حروب المدى البعيد، وهو المدى الذى لا يشمل فقط الدول العربية، ولكنه يمتد ايضا ليشمل الدول الاسلامية ايضا .ولذلك، تخطط اسرائيل لضمان بقاء الجيش الاسرائيلى متفوقا على الجيوش العربية والاسلامية مجتمعة، بما يجعل هذا الجيش واحدا من اقوى الجيوش فى العالم، وعلى مستوى الجيشين البريطانى والفرنسى. ولذلك، يقوم التخطيط العسكرى الاسرائيلى على امتلاك

قوة عسكرية رادعة ومتفوقة فى مواجهة اى تخطيط عربى اسلامى لمهاجمة اسرائيل، والعمل على ضمان عدم المفاجأة، أى الهجوم على من يخطط لضرب اسرائيل قبل ان ينفذ الهجوم.

وبالتالى، فان هذا التصور الاسرائيلى يشير الى ان الفكر العسكرى الاسرائيلى لا يقوم فقط على الاستعداد لاحتمالات نشوب حرب بين اسرائيل ودول عربية، ولكنه يضع فى الحسبان ايضا احتمال مشاركة دول اسلامية، مثل ايران وباكستان، فى الصراع ضد اسرائيل، كما ان هذا التصور يسعى الى توفير اكبر قدر ممكن من الردود على كافة التهديدات الفعلية والمحتملة والمتصورة، أى حتى التهديدات التى لا توجد مؤشرات قوية عليها، بالاضافة الى ان اسرائيل لم تعد تكتفى بتحقيق التفوق العسكرى على دول الشرق الاوسط، ولكنها تسعى ايضا الى امتلاك قوة عسكرية تقف على مصاف القوة العسكرية للدول الكبرى، مثل بريطانيا وفرنسا.

خامسا :
اتجاهات التطوير التسليحى فى الجيش الاسرائيلى

تنطلق خطط التحديث العسكرى الاسرائيلى من ضرورة ان يشتمل البناء العسكرى الاسرائيلى على ردود محددة تجاه كل تهديد من التهديدات التى تتعرض لها اسرائيل .وهناك ثلاثة اهداف رئيسية يسعى ايهود باراك الى تحقيقها على الصعيد العسكرى والاستراتيجى، يتمثل اولها فى ضرورة بقاء الجيش الاسرائيلى الجيش الاقوى فى المنطقة والقادر على تحقيق النصر فى مواجهة اى دولة او تحالف من الدول فى المستقبل، وتطوير الرادع النووى الاسرائيلى، وتحييد التهديد الصاروخى العربى.

وفى ضوء التطورات الجديدة فى الفكر العسكرى الاسرائيلى، فان السلاح الجوى الاسرائيلى سوف يقوم بالدور الاكبر فى معارك المستقبل .ورغم ان السلاح الجوى الاسرائيلى يقوم تقليديا بدور مركزى فى التخطيط العسكرى الاسرائيلى، الا ان هذا الدور ازداد بقوة فى ضوء التطور فى التكنولوجيا العسكرية .ويصل الاهتمام بهذا السلاح الى درجة ان بعض المحللين الاسرائيليين يذهبون الى ان الجيش الاسرائيلى سوف يكون اقرب الى ما يمكن وصفه بـ (الجيش الطائر) وسوف تكون القوات الجوية مكلفة فى المستقبل بمهام وواجبات اكثر بكثير عما كان عليه الحال من قبل، وبالذات من حيث وقف اية حشود عسكرية معادية يمكن ان تندفع تجاه الحدود الاسرائيلية، بحيث يمكن للطائرات القتالية وطائرات الهليكوبتر القتالية الاسرائيلية العمل ضد اى قوات معادية، بالاضافة الى ان هذه القوات يمكن ان تستخدم فى توجيه ضربات جوية وقائية مسبقة لاجهاض نوايا الهجوم لدى اى دولة عربية تفكر فى شن الحرب ضد اسرائيل، بالاضافة الى العمل على تحقيق السيطرة الجوية منذ بداية العمليات الحربية، علاوة على تنفيذ ما يعرف بـ (عزل ميدان المعركة) ومن ناحية اخرى، تتضمن المهام الجوية ايضا مساندة اعمال قتال القوات البرية والبحرية الاسرائيلية، بالاضافة الى امتلاك قدرات القيام بعمليات الابرار الجوى، وتوفير قدرات الدفاع الجوى عن الاهداف الحيوية الاسرائيلية والاستطلاع الجوى بانواعه المختلفة.

ولذلك، فقد انفق الجيش الاسرائيلى حوالى ١٠ مليارات دولار فى عقد التسعينات على شراء الطائرات القتالية، بالاضافة الى بضعة مليارات اخرى من الدولارات فى طائرات الهليكوبتر (سواء القتالية او الخاصة باغراض النقل) وطائرات الشحن والتجسس .ومن المنتظر ان يظل السلاح الجوى الاسرائيلى محتفظا فى المستقبل بافضلية كبيرة فى تخصيص الموارد الدفاعية .وتتمثل الاتجاهات الجديدة فى تطوير السلاح الجوى الاسرائيلى فى زيادة وتوسيع اسطول الطائرات (أف ١٦) وطائرات الهليكوبتر (أباتشى)، بالاضافة الى استخدام اعداد كبيرة من الطائرات بدون طيار للاغراض القتالية الهجومية .وتعتبر اسرائيل من الدول الرائدة فى تطوير واستخدام الطائرات بدون طيار، الا ان استخدامها كان يقتصر فى الماضى على اغراض الاستطلاع والانذار المبكر، فى حين ان الاستخدامات المستقبلية لها تتجه نحو تطويرها للاغراض الهجومية.

ومن ناحية اخرى، ترمى عمليات التحديث فى القوات البرية الى جعل هذه القوات قادرة على شن حرب محدودة او حرب شاملة حسب الظروف السياسية القائمة .ويندرج هذا الهدف فى اطار اوسع للعمل العسكرى الاسرائيلى فى المستقبل، حيث تسعى اسرائيل الى امتلاك القدرة على الدخول فى طائفة متعددة من الصراعات المسلحة التى تستخدم فيها الاسلحة والذخائر التقليدية، والتى قد تتحول الى استخدام الاسلحة فوق التقليدية والنووية وفقا للموقف الاستراتيجى - السياسى والعسكرى .ويرتكز التخطيط العسكرى الاسرائيلى على ان مثل هذه الصراعات المسلحة قد تتسم بعمليات هجومية ودفاعية استراتيجية على جميع الجبهات العربية، وقد لاتقتصر على جبهة واحدة او جبهتين فقط، وتسعى اسرائيل الى امتلاك القدرة على تهديد الاعماق العربية والاسلامية بالكامل، وليس فقط فى اطار دول المواجهة العربية .يتمثل دور القوات البرية الاسرائيلية فى القيام بالعمليات العسكرية فى الاطار الجيوبوليتيكى القريب، وامتلاك القدرة على السيطرة والهيمنة على بعض الموارد العربية القريبة، مع التعاون مع القوات الجوية لتأمين العمليات البرية فى العمق التقليدى والاستراتيجى، والتوسع فى استخدام وسائل الحرب الاليكترونية للسيطرة والاعاقة على القوات المعادية وتأمين اعمال القتال البرى،

وكذا التوسع فى استخدام الهليكوبتر لنقل مجموعات الابرار الجوى لمعاونة القوات المدرعة والميكانيكية فى عملياتها الهجومية البرية، كما ترمى اعمال التطوير البرى الاسرائيلى الى تمكين تلك القوات من امتلاك القدرة على شن الحرب الميكانيكية فى صيغتها الاكثر حداثة حسب المدرسة الامريكية فى اطار النظرية القتالية المعروفة بـ (المعركة البر - جوية)، بالتكامل مع مبادىء (معركة الاسلحة المشتركة).

اما فى المجال البحرى، فان اعمال التحديث والتطوير التسليحى تنطلق من الرغبة فى توسيع نطاق المهام الموكولة الى السلاح البحرى الاسرائيلى، علاوة على محاولة مجابهة التطورات الحادثة فى البحريات العربية .ويتمثل الجانب الاكثر خطورة واهمية فى برنامج التحديث البحرى الاسرائيلى فى السعى الى ادخال السلاح البحرى كجزء رئيسى من منظومة الردع النووى الاسرائيلى، حيث تسعى الى الاستفادة من الغواصات دولفين الجديدة، التى حصلت البحرية الاسرائيلية على واحدة منها من المانيا، وينتظر ان تحصل على غواصتين اخرتين فى الفترة المقبلة، كوسيلة اضافية من وسائل الايصال النووى المنيعة، لانها تمتلك القدرة على اطلاق صواريخ حاملة للرؤوس النووية من اعماق البحر .أما على المستوى التقليدى، فان البحرية الاسرائيلية اصبحت تعتنق عقيدة هجومية تتبنى مبادىء الحشد والمفاجأة والحفاظ على المبادأة وحرية الحركة واتخاذ القرار للقادة على كافة المستويات، من دون التعقيد فى التنفيذ او من دون الالتزام الجامد بالقوالب النمطية، وتعمل دوما على نقل مسرح القتال الى مياه الخصم بغرض اضعاف سيطرته المحلية على مياهه، ومن دون المغالاة فى حجم العمليات البحرية .وفى هذا الاطار، باتت البحرية الاسرائيلية تسعى الى اكتساب القدرة على المبادأة فى مواجهة القوى البحرية المعادية، بما يتيح لها امكانية تدمير هذه القوات فى مناطق تمركزها، وفى مناطق عملها، او على خطوط سيرها، بما يساعد اسرائيل فى النهاية على اجبار القوات البحرية العربية على اتخاذ موقف الدفاع، مع قصر مهام هذه البحريات على مجرد تأمين السواحل العربية، علاوة على تمكين اسرائيل من امتلاك قدرة اكبر على ممارسة التهديد البحرى ضد الدول العربية فى البحرين الابيض والاحمر، وزيادة قدرة اسرائيل على اداء دور الوكيل لمصالح القوى الغربية فى منطقة الشرق الاوسط، بالاضافة الى ادخال غواصات نووية الى صفوف القوات البحرية الاسرائيلية، مما يزيد من قدراتها الرادعة والقتالية.

وأخيرا، فان عناصر الدفاع الجوى الاسرائيلى تشهد تركيزا واضحا فى اعمال التحديث العسكرى، وذلك فى اطار الحرص على اسناد مهام الدفاع الجوى والصاروخى بقوة الى الصواريخ ارض -- جو والصواريخ المضادة للصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات .وتحرص اسرائيل على زيادة فاعلية نظام الدفاع الجوى الخاص بها، وامتدت اعمال التحديث هذه الى جميع المجالات، سواء المتعلقة بالاستطلاع والانذار المبكر او الاعتراض الجوى بعيد المدى او الحرب الاليكترونية، مع التركيز بصفة خاصة على مواصلة جهود انتاج وامتلاك قدرات مضادة للصواريخ الباليستية من اجل مواجهة تزايد القدرات الصاروخية العربية والايرانية، وذلك من خلال الصاروخ (ارو - حيتس)، الذى دخل بالفعل الى الخدمة العاملة فى الجيش الاسرائيلى .وتمثل اعمال التطوير الجوى والبرى والبحرى والصاروخى مقدمة لتغييرات شاملة فى جوهر العقيدة العسكرية الاسرائيلية فى اتجاه تمكين القوات الاسرائيلية من السيطرة على زمام اى مواجهة عسكرية، حتى من قبل ان تبدأ مع اى تكتل عربى او اسلامى، على نحو ما يتصور المسئولون السياسيون والعسكريون فى اسرائيل.

ومن ثم، فان عملية التحديث العسكرى الاسرائيلى ترمى الى اقامة بناء جديد للقوة العسكرية الاسرائيلية، يستفيد من التطورات الهائلة فى مجال التكنولوجى العسكرية، وبما يتجاوب ايضا مع التحولات الجارية على المستويات الاقليمية فى المجتمع الاسرائيلى .وتشير هذه التطورات الى ان عملية تحديث القوة العسكرية الاسرائيلية يعتبر ضرورة حيوية فى الفكر الاستراتيجى الاسرائيلى، حتى فى ظروف السلام الشامل، لأن القوة العسكرية من وجهة النظر الاسرائيلية هى التى اقنعت العرب بعدم جدوى مواصلة الصراع المسلح مع اسرائيل، كما انها تفيد اسرائيل تفاوضيا من خلال ممارسة الابتزاز والترهيب فى مواجهة العرب، كما ان التحديث العسكرى يفيد اسرائيل ليس فقط فى الحفاظ على تفوقها النوعى فى مواجهة الدول العربية وغير العربية فى الشرق الاوسط، ولكن ايضا لتوسيع وتعميق هذا التفوق النوعى ودفعه عدة خطوات الى الامام .وفى الوقت نفسه، تسعى اسرائيل الى امتلاك القدرة على حسم اى صراعات عسكرية تنشب بينها وبين الدول العربية فى اسرع وقت ممكن، وفى ظل مبدأ جديد يقوم على السعى الى بدء الحرب على ارض الخصم، وليس فقط نقل الحرب بسرعة الى ارض الطرف الاخر، على نحو ما كان متبعا فى العقيدة العسكرية طيلة الخمسين عاما الماضية.

عناصر القوات المسلحة الاسرائيلية عام ١٩٩٩

الاسلحة والمعدات	البيان
(١) بيانات عامة :	
اجمالى القوات العاملة (بالالف)	١٧٥
اجمالى قوات الاحتياط (بالالف)	٤٣٠
الانفاق العسكرى (بالمليار دولار)	١١
الميزانية العسكرية (بالمليار دولار)	٧
القوات الاستراتيجية	ما يزيد عن ١٠٠ رأس نووى
(٢) القوات البرية :	
اجمالى القوات البرية (بالالف)	١٣٤
دبابات القتال الرئيسية	٤٣٠٠
عربات الاستطلاع المدرع	٤٠٠
ناقلات الجنود المدرعة	٥٩٠٠
قطع المدفعية المقطورة	٤٠٠
قطع المدفعية ذاتية الحركة	١١٥٠
القاذفات متعددة الفوهات	١٠٠
قطع الهاون	٧٧٤٠
الصواريخ ارض - ارض	اكثر من ٢٠
الصواريخ الدقيقة المضادة للدبابات	اكثر من ١٠٠٠
المدفعية المضادة للطائرات	اكثر من ٩٥٠
الصواريخ المضادة للطائرات	اكثر من ٩٤٥
(٣) القوات البحرية :	
اجمالى افراد القوات البحرية (بالالف)	٩
الغواصات	٣
القراويط	٣
الزوارق الصاروخية	١٨
زوارق الدورية	٣٠
(٤) القوات الجوية :	
اجمالى افراد القوات البحرية (بالالف)	٣٢
طائرات القتال (فى الخدمة)	٤٧٤
طائرات القتال (فى المخازن)	٢٥٠
طائرات الهليكوبتر القتالية	١٣٧

Source : The International Institute for Strategic Studies (I.I.S.S), **The Military Balance 1998-1999** (London; IISS, October 1998), p.p. 130-131.





النشاط والأهداف

أنشئ المركز فى عام ١٩٦٨ كمركز علمى مستقل يعمل فى إطار مؤسسة الأهرام لدراسة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى والقضية الفلسطينية، ثم امتد اختصاصه الى دراسة الموضوعات السياسية والاستراتيجية بصورة متكاملة. ويسعى المركز من خلال نشاطه الى نشر الوعى العلمى بالقضايا الاستراتيجية العالمية والأقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأى العام المصرى والعربى بتلك القضايا، وأيضا بهدف ترشيد الخطاب السياسى وعملية صنع القرار فى مصر.

الدوريات والمطبوعات:

- **التقرير الاستراتيجى العربى:** تقرير سنوى بدأ فى الصدور عام ١٩٨٦، وصدرت أولى طبعاته بالانجليزية اعتباراً من عام ١٩٩٢، ويشترك فى اصداره جميع أعضاء الهيئة العلمية فى المركز، وينقسم التقرير الى ثلاثة أقسام رئيسية: النظام الدولى والاقليمى، النظام الاقليمى العربى، جمهورية مصر العربية، الى جانب مقدمة تحليلية وعدد من الدراسات الاستراتيجية.
- **كراسات استراتيجية:** سلسلة صدرت اعتباراً من يناير ١٩٩١ وتصدر شهرياً باللغتين العربية والانجليزية اعتباراً من يناير ١٩٩٥، وتتوجه الكراسات الى صانعى القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بتقديم قراءة متعمقة للتحديات الاستراتيجية التى تواجه مصر والوطن العربى، وطرح الخيارات والتصورات والسياسات البديلة لمجابهتها.
- **الكتب والكتيبات:** أصدر المركز منذ إنشائه عام ١٩٦٨ العديد من الكتب والكتيبات التى شملت موضوعات متعددة تتعرض لمجالات عمل المركز الرئيسية.
- **«ملف الاهرام الاستراتيجى»**، شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥
- **«مختارات إسرائيلية»**، شهرياً باللغة العربية.اعتبارا من يناير ١٩٩٥

عضوية المركز:

يمكن الاشتراك فى عضوية المركز التى تمنح حقوق الحصول على إصدارات المركز وأوراق الندوات وملخصات لورش العمل والحلقات الفكرية التى يعقدها المركز، وتقديرات المواقف والنشرات التى يصدرها فى لحظات الأزمات، وحضور محاضرات المركز ومؤتمره السنوى، فضلاً عن تكليف المركز بأبحاث تدرج فى خطته العلمية مع تغطية العضو لتكلفتها. قيمة رسم اشتراك العضوية سنوياً (عشرة آلاف جنيه للهيئة وخمسة آلاف جنيه للأفراد).

مطابع الأهرام بكورنيش النيل